هو

دخل في نوبة الأقل ولا العبد المذنب

الحاج فرهاد بن السعيد شهاب الدين ره

في ٦ شهر شوال المكرم

من شهور سنة ١٢٧٤ الهجري

على هاجرها آلاف التحية

عفى عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك اللهم يا من اذهب الليل مظلما بقدرته
وجاء بالنهار مبصرا برحمته ونصلى على اشرف
بريتك محمد وآله وعترته وخاصة على محرم ضميرته
وواقف سريرته وصاحب كرامته اخيه صاحب
السيف والقلم معدن الجود والكرم اسد الله
الغالب مظهر الغرائب والعجائب على بن ابى طالب
اشرف الانبياء والمرسلين ما خلا محمد خاتم
النبيين صلوة متجدده بتجدد الاصباح متكررة
بتكرر الادواح يقول الفقير الحقير الاثم

بمولاه الجليل محمد بن الحسين بن محمد رضا المشهور
باسمعيل عفى الله عن جرائمهم بمحمد وآله وقائمهم هذا
الدعاء الشريف الموسوم بدعاء الصباح الموصوف
بمفتاح الفلاح ومصباح النجاح قد اشتهرت نسبته
الى جناب الحضرة المقدسه والساحة المطهرة نور
الثقلين ومجمع البحرين ابى الحسنين امير المؤمنين
وسيد الوصيين سلام الله عليهم اجمعين ونحن
وان لم نجده بسند صحيح متصل الى ذلك الجناب
المستطاب لكن نقل بعض الاصحاب انه وجده
باسانيد صحيحه وروايات صريحه متصله اليه عليه
السلام ومع قطع النظر عن ذلك فعباراته الشامخه
وكلماته الوافيه ومضامينه العاليه ونظمه الغريب
واسلوبه العجيب ادل دليل واعدل شاهد
على صدوره من ذلك المصدر الاعلى تبارك مصدرا

ولقد احسن من قال واصدق ان كلامه بابي وامي
صلى الله عليه فوق كلام المخلوق ودون كلام
الخالق فلا اشتراك فيه ولا اشتباه بل حيثما كان
كان ممتازا امتيازا فلله در من قائل حيث بلغ بصفاته
العليا مبلغا لم يبلغه غيره واحد بل هو هو كما سماه
راسه بل نفسه فقصدت مع قصور الباع واختلال
الاوضاع ان اشير الى جملة ما في فقراته وعمدة ما في
كلماته اجابة لالتماس من ينبغي اجابة التماسه تسهيلا
للدعاء ما في محل التباسه فانه بحر عميق وكلام دقيق
صدر من مصدر التحقيق وقد شاع وذاع في هذا
الزمان قرائته في كثير من اهل الايمان وكاد ان يكون
قرائته اغلبهم مجرد تحريك اللسان لعدم وقوفهم بمعانيه
المقصودة فيحتاجون الى البيان لكيلا يكون حالهم حال منه ٤
مصروع تكلم بشئ ولم يخطر معناه بالجنان وبالله الاستعانة

الصواب

للصواب وعليه الثقة والتكلان

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرب الى الاسم الاعظم من سواد العين الى بياضه
والرحمن الرحيم صفتان مبنيتان للمبالغة من رحم
كالغضبان من غضب والعليم من علم والرحمة رقة
القلب وانعطاف اي ميل روحاني يقتضي التفضل
والاحسان واذا وصف الله تعالى بها كان المراد بها
غايتها اي التفضل والاحسان لان الرقة من الكيفيات
المزاجية التابعة للتاثر والانفعال والله سبحانه للتأثر د
منزه عنها وهو اما من باب المجاز المرسل بذكر السبب
وارادة المسبب اذ الرحمة والرأفة سبب التفضل
والاحسان واما طريقة التمثيل بان شبه حاله تعالى على ٤
بالقياس الى المرحومين في ايصال الخير اليهم بحال
الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم فاصابهم بمعروفه

وانعامه فاستعير الكلام الموضوع للهيئة الثانية للاولى
من غير ان يتجوز في شئ من مفرداته وعلى ذلك فقس سائر يتجوز د هذا و
الصفات التي لا يصح اتصافه تعالى بها سواء كانت انفعالات
كالرحمة والحياء والغضب او لا كالاستهزاء والمكر
والخداع ونحوها قيل ان صفات الله التي على صيغة
المبالغة كلها مجاز لانها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة
فيها فان المبالغة تكون في صفات تقبل الزيادة والنقصان
وصفات الله تعالى منزهة عن ذلك وفيه ان صيغ المبالغة
قسمان قسم تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل
وقسم بحسب تعدد المفعولات ولا شك ان تعددها
لا يوجب للفعل زيادة اذ الفعل الواحد قد يقع
على جماعة وعلى هذا تنزل صفاته تعالى ويرتفع الاشكال
هذا وقد ورد في بعض الروايات ان الرحمن العاطف
على خلقه بالرزق لا ينقطع عنهم مواد رزقه وان انقطعوا

عن طاعته

عن طاعته والرحيم بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم
طاعاته وبعباده الكافرين في دعائهم الى موافقته
والرحمن اسم خاص بصفة عامة والرحيم اسم عام بصفة
خاصة والرحمن ابلغ من الرحيم لدلالة زيادة المباني
على زيادة المعاني فعند اعتبار الابلغية فيه باعتبار
الكمية نظرا الى كثرة افراد المرحومين يقال يا رحمن
الدنيا ورحيم الاخرة لشمول رحمة الدنيا للمؤمن
والكافر واختصاص رحمة الاخرة بالمؤمن وعند
اعتبار الابلغية فيه الكيفية وهي جلالة الرحمة باعتبار
ودقتها بالنسبة الى مجموع كل من الرحمتين
يقال يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا
بجلالة رحمة الاخرة باسرها بخلاف رحمة الدنيا
وباعتبار نسبة بعض افراد كل من رحمة الدنيا
والاخرة الى بعض يقال يا رحمن الدنيا والاخرة و

رجيهما الان بعضا من كل منهما اجل من بعض وبعضا
من كل منهما ادق وقد ورد كل ذلك فى الادعية المأثورة
عنهم عليهم الصلوة والسلام

يا من دلع لسان الصباح بنطق تبلجه

يوجد فى بعض النسخ اللهم يا من دلع فيكون عطف
بيان جئ به للمدح كما تجئ الصفة لذلك لا للايضاح
فان الله على الاصح علم للذات الواجب الوجود الخالق
لكل شئ فلا ابهام فيه ولا اشتراك ليحتاج الى الايضاح
واحتمال البدلية لذلك غير جيد والتاكيد غير مناسب

مقدمة صفة الذات ما يكون الذات بذاته كافية فى
تحققه والاتصاف به لانه اما عين الذات كما هو الحق
او لازمه على القول بالزيادة بخلاف صفة الفعل
اذ الذات بذاته غير كافية فى تحققها والاتصاف بها
بل هو باعتبار كونه مبدءا الفعل من الافعال يكون

منشاء لتحققها والاتصاف بها والفرق بينهما من وجوه
فان صفات الذات واجبة قديمة غير مقدورة لا يمكن
الاتصاف بها وبعدمها بلا انها والضابط ان كل شيئين
متضادين وصف الله بهما وهما فى الوجود فهما من
صفات الفعل كالعفو والانتقام والرضا والسخط
فانه يقال عفى عمن تاب وانتقم عمن اصر ورضى عمن اطاعه
وسخط على من عصاه وصفات الذات لا يجوز وصفه
تعالى بها وبضدها فلا يجوز ان يقال هو عالم وجاهل
او قادر وعاجز وبالجملة كل صفة توجد فيه سبحانه دون
نقيضها فهى من الصفات الذاتية وكل صفة توجد فيه
ونقيضها فهى من الصفات الفعلية والمراد بصفات
الجلال السلبية وبصفات الجمال الثبوتية او المراد
بالاول صفات الغضب كالقهارية وبالاخر صفات
الرحمة كالغفارية والرزاقية وبعد تقديم هذه الجملة

بخلاف صفات الفعل فانها ممكنة حادثة مقدورة يمكن الاتصاف بها وبعدمها
ح

اقول لما كان من شرايط اجابة الدعاء تقديم المدحة لله
والثناء عليه قبل المسئلة كما ورد في الخبر اذا طلب احدكم
الحاجة فليثن على ربه وليمدحه فان الرجل منكم اذا
طلب الحاجة من السلطان هيأ له من الكلام احسن
ما يقدر عليه وفي كتاب صاحب الدعا امير المؤمنين
سلام الله عليه ان المدحة قبل المسئلة ذكر قبل ان يطلب عليه السلام
منه تعالى حوائجه صفات عديده ذاتيه وفعليه جماليه
وجلاليه تدل على مدحه وثنائه تعالى مع رعاية
مناسبة تلك الصفات لتلك الحاجات قضاء لحق العبارة
وجريا في مقام الفصاحة والبلاغة وهو الذي قد بلغ
في الفصاحة غايتها وتجاوز في البلاغة نهايتها وقد قيل
اذا اراد العبد ان يستجاب له فليدع بما يناسبه من الاسماء
الحسنى والامثال العليا وجعل تلك الصفات الملائمة
جملة فعلية عاطلة عن حلية الدوام والثبات ايماء الى

ان التجدد

٤

ان التجدد اولى بالاعتبار في المقام من الثبات والدوام
لدلالته على ان تلك الآثار العجيبة وهذه الافعال
الغريبة متجددة شيئا فشيئا ومتصرمة وقتا فوقتا فلا
تخلو لحظة من انعام جديد ومزيد للاحسان غب مزيد
ثم لما كانت الافلاك مرتفعة عنها الحيوة على ما دل
عليه بعض الاخبار وصرح به بعض الاخيار مدعيا عليه
اجماع المسلمين وكانت مدبرة مسخرة لله تعالى والملائكة
الموكلين بتحريكها مطيعين لله امره لا يعصونه ما
امرهم ويفعلون ما يؤمرون صح اسناد الدلع والتسريح
وما شاكل ذلك اليه تعالى وتوصيفه بها والا ففي الحقيقة
هذان الفعلان من الافعال المنتمية الى الافلاك
والمسببة من حركاتها ومن جزئيات تحريكاتها فالاسناد
مجاز عقلي من حيث انه سبب امر كقولهم بنى الامير المدينة
وقطع الامير اللص قال سيدنا المرتضى علم الهدى

قدس سره فی بعض رسائله لاخلاف بین المسلمین فی ارتفاع
الحیوة عن الفلك وما یشتمل علیه من الکواکب وانها
مدبرة مسخرة مصرفة وذلك معلوم من دین رسول الله
صلی الله علیه وآله ضرورة انتهی وذکر نحو ذلك فی
ملحقات الغرر والدرر قیل وللبحث فی دعوی الاجماع
والعلم بذلك من الشریعة مجال **اقول** لا مجال له و
کثیر من الاخبار الصحیحة والموثقة وغیرها المذکورة فی
الفقیه وغیره صریحة فیما ادعاه السید وقد ذکرنا نبذة
منها فی بعض رسائلنا مع ایمائنا هناك الی انها غیر
قابلة للصرف والتأویل فلیطلب من هناك وکذا الامر   التعویل ۂ د
لو بنی علی قانون الفلاسفة وقیل ان الافلاك باجمعها
حیة مطیعة لمبدعها وغرضها من حرکاتها بجنابه   التشبه ۂ
والتقرب الیه جل شانه فان افعالها لما کانت مضمحلة
فی فعله تعالی وارادتها مستهلکة فی ارادته جاز وصفه

بذلك

بذلك کما مر او یقال انه اشارة الی مقام توحید الافعال   لما مر ۂ
بان لا مؤثر فی الوجود الا الله کما ذهب الیه قوم منهم
الحکماء القائلون بان الله تعالی هو الفاعل الحقیقی
لجمیع الممکنات وان ما عداه بمنزلة الشرایط والالات
کما فهم من کلمات بعض المتأخرین والفضل للسابق
کما ان القصور للمتأخر هذا واثر کلمة یا من بین حروف
النداء الموضوعة للنداء البعید علی ما نقل عن
الزمخشری وابن هشام مع انه سبحانه اقرب الیه
من حبل الورید هضما لنفسه واستبعادا لها
عن مظان الزلفی رعایة لقانون الادب الذی
هو داب السالکین وطریقة العاشقین فان طرق
العشق کلها اداب او تعظیما وتبعیدا للحضرة المقدسة
والساحة المطهرة عن قرب الداعی المتکدر بالکدورات
البشریة والمتغمس بالانغماسات الهیولانیة او تنبیها

على شدة حرصه وقوة رغبته على اقباله كانه امر بعيد
وعلى ما ذهب اليه الشيخ ابن الحاجب من انها تعم
القريب والبعيد لانها لطلب الاقبال مطلقا فلعل
الوجه في ايثارها ان ما عداها يقتضي قرب المكان
او بعده بخلافها فانها لا يقتضي شيئا منها وفيه
ان التعميم لا يقتضي ذلك غاية الامر انها جنس منحصر
في نوعين فلا بد من وجوده في ضمن افرادها فالحق
انها موضوعة للنداء البعيد وقد ينادى به
القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته او
لغفلته او للاعتناء بالمدعو له وزيادة الحث عليه
وهذا ايضا يصلح ان يكون وجها آخر لايثارها
هنا قال ابن المنير واصلها صوت تهتف به لمن كان
بعيدا منك ثم استعمل في كل نداء وان قرب المنادى
كانك تقدر المخاطب ساهيا عنك وكفى بالغفلة

بعداً

بعداً اذ توقظه بذلك الصوت من سنة السهو ثم تؤذنه
بخطابك وان كان مصغيا بان الامر الذي بعده مهم
عندك وكانك في غفلة عنه فتزيده يقظة الى يقظة
بالتصويت ثم قال فان قلت فقد استعمل هذا الحرف
في الدعاء وقد علم ان الله تعالى لا يجوز عليه السهو و
لا الغفلة ولا البعد فانه اقرب الى الداعي من حبل الوريد
قلت استقر انها بالاتساع صارت موذنة باهتمام
المتكلم بالمقصود الذي ياتي بعدها اعم من ان يكون
الساهي غافلا او حاضرا واظهار الاهتمام بالحاجة من
قبيل الضراعة والحاح المطلوب في الدعاء وقال
الزمخشري وقول الداعي في جؤاره يا الله يا رب مع
كونه اقرب اليه من حبل الوريد استقصار منه و
استبعاد لها في مظان الزلفى وهو اقناعي لان
الداعي يقول في دعائه يا قريبا غير بعيد وربما قال

قو ٤ يا من اقرب الي من حبل الوريد فاين هذا من الانتصاب
في مقام البعد انتهى كلام ابن المنير واجيب عنه بان
هذا الكلام من الداعي غير مناف لانتصابه في مقام
البعد ولا بعد منه لان المراد استقصاد نفسه و
استبعادها تماما بقربه الى رضوان الله انتهى وليس
المراد بندائه تعالى اقباله وتوجهه بوجهه وبقلبه
على ما يزعمه المجسمه والمشبهه ومن يحذو حذوهم
تعالى عن ذلك بل المراد بكونه مطلوب الاقبال
كونه مسئول الاجابة او الاقبال هنا كناية عن الاعتناء
والاكرام لان من اعتنى باحد واكرمه التفت اليه
واقبل بوجهه عليه فلا حاجة الى القول بان ندائه
تعالى مجاز لتشبيهه بما له صلوح النداء اذ القول بانه
غير صالح للنداء بعيد مع ان القول بالتشبيه ايضا
بين ٢ غير مناسب والموصول من المعارف ليتمكن من اجراء

تلك

تلك الصفات عليه فيكون ادل على غرضه المسوق له الكلام
لانه تعالى لما كان قادرا على تلك الافاعيل العجيبه
والاثار الغريبه كان قادرا على انجاح ما دعوه واسعاف
مطالبه التي ستاتي عقيب ذلك او ليشير به الى ان مدعوه
ومناداه انما يمكن ان يعرف بواسطة تلك الصفات
والصلات على ما هو وضع الموصول او لينبه على
ان تلك الصفات والصلات معلومة الانتساب اليه
فلا يذهب منها وهم الى غيره اذ العلم بمضمونها ونسبتها
اليه فطري بديهي حاصل لكل احد من الموحدين والمشركين
والمقرين والمنكرين ولذا حين ما قال خليل الرحمن
ان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب لم
يمكنه معارضته ومجادلته لعلمه بان القادر على ذلك
ليس الا هو ولذلك سكت وبهت كما اخبر الله سبحانه
عنه بقوله تعالى فبهت الذي كفر او ليشعر بان الباعث

له على دعائه انما هو اتصافه بتلك الصفات والصلاة
وقوله دلع فيه التفات من الخطاب الى الغيبة واطناب
للايضاح بعد الابهام تفخيما لشان المبهم وتعظيما له
والدلع الاخراج ومنه انه كان يدلع لسانه للحسن اى يخرجه
حتى يرى حمرته فيهش اليه يقال دلع وادلع ومنه
الحديث ان امرأة رأت كلبا فى يوم حار قد ادلع
لسانه من العطش ومنه يبعث شاهد الزور يوم
القيمة مدلعا لسانه فى النار وفى القاموس دلع لسانه
كمنع اخرجه كادلعه فدلع كمنع ونصر دلعا ودلوعا
وانما عبر عن ظهور ضوء الصبح وتباشيره وابتدائه
بدلع لسانه لانه انصداع ظلمة عن نور ولهذا يسمى
بالصديع وكان الافق كان بحرا مملوا من الظلمة
ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه جدولا
من النور وبعبارة اخرى انشقاق ظلمة الليل بضوء

الصبح

الصبح المستطير وهو اثر ضوء الصبح يرى كانه جدول
ماء صاف يسيل فى بحر كدر بحيث لا يتكدر الصافى
بالكدر ولا يختلط الكدر بالصافى فذلك الجدول
هو المعبر عنه بلسان الصباح وقد يقال له عمود الفجر
والمراد انه تعالى فلق الظلمة فانشقت عن ضوء يستضيء
به ما كان كدرا فى نفسه كثيفا فى جوهره كالارض واجزائها
المتصلة والمنفصلة واللسان فى الاصل معناه الفصاحة
ومنه اللسن اى الفصيح وانما سميت تلك الجارحة به لكونها
آلة لافصاح المعانى وايضاحها واضافته الى الصباح
اضافة اللجين الى الماء فى قوله والريح تعبث بالغصون
وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء حيث قدم
المشبه به على المشبه واضيف اليه اى اصيل كالذهب
على ماء كاللجين وكذا الكلام فى بطون تبلجه على ما سبق
وعلى هذا فليس فى الكلام استعارة بل فيه تشبيهان فقط

ويحتمل ان يكون الاضافة فيه لامية كما سنشير اليه
ان شاء الله العزيز وبما قررناه ظهر ان لا حاجة الى
القول بالتجريد بان الدلع عبارة عن اخراج اللسان
من الفم فهو على طريقة يتفلق الدماء وسبحان الذي
اسرى وفي لسان الصباح براعة استهلال لان
هذا الدعاء لما كان موضوعا لان يطلب به الداعي
خير صباحه فذكره في مقام الوصف والثناء براعة
بارعة كما لا يخفى والصباح اول النهار اذا جاء ضياؤه
وهو الفجر ومثله الصبح وقد يطلق على منتصف الليل
الى اخر الزوال كما نقله ابن الجواليقي عن العرب والجمع
اصباح والمراد به هنا اول النهار وهو ضوء الشمس
يظهر في جانب المشرق قبل طلوعها لانها اذا قربت من
الافق الشرقي مال مخروط ظل الارض عن سمت الراس
وقربت الاجزاء المستضيئة في حواشي الظل من البصر

وفيه

وفيه ادنى قوة فيدركه البصر وكلما ازدادت الشمس
قربا من الافق ازداد ضوء نهايات الظل قربا من البصر
الى ان تطلع الشمس ويظهر واما كرة البخار القابل للظلمة
والنور او ما يقارب الافق من الاجزاء البخارية المختلطة
بالهواء القابلة للضوء لكونها متلونة في الجملة فيتحقق شرط
التكيف بالضوء والكلام فيه وفيما فيه يطلب من موضع
آخر ثم الظاهر ان المراد بالصباح هنا هو الفجر المستطير
المسمى بالصادق لان الاطلاق منصرف اليه لكونه متبادرا
الى الذهن لا المستطيل المسمى بالكاذب وان كان كل منهما
يطلق عليه الصباح كما ورد في الخبر لا يغرنكم الفجر المستطيل
فكلوا واشربوا حتى يطلع الفجر المستطير ولان الصادق
والكاذب من الصباح وان كان لكل منهما لسان مدلع
ونطق والا لم يتصور منهما صدق ولا كذب الا ان
التبلج والاشراق مما يلائم الصدق بل هو نفسه لان الضوء

عند قرب الصباح يظهر مستدقا ضعيفا مستطيلا
كالعمود ويشبه بذنب السرحان لدقته واستطالته
ويبقى وجه الارض على ظلامه يظلها ثم يزداد الضوء
الى ان ياخذ طولا وعرضا فينبسط فى عرض الافق
كنصف دائرة هذا اول التبلج والاسفار فتامل
ونطق ينطق من باب ضرب تكلم بصوت وحروف يعرف
بها المعانى ويقال نطق اللسان كما نطق الرجل والنطق — يقال ع
يطلق على الظاهرى الذى هو اللفظ والباطنى الذى
هو ادراك الكليات وعلى القوة التى هى مصدر
ذلك الفعل ومظهر هذا الانفعال اعنى الناطقة
والمراد به هنا الاول على وجه الاستعارة والباء
فيه اما بيانية او آلية او سببية واضافته
الى التبلج اضافة الذهب الى الاصيل حيث شبه
التبلج الذى هو السبب لكشف الستر بالنطق الذى

هو

هو السبب لظهور ما فى الضمير ثم قدم عليه واضيف اليه
وكان النطق لازم اللسان المتكلم فكذا التبلج لازم
للسان الصباح او لامية او فيه بيانية فى تبلجه لامية
والضمير فيه يعود الى الصباح والتبلج الاشراق و
الاضاءة يقال بلج الصبح وفى الحديث ليلة القدر — وتبلج وابلج اذا اشرق واضاء واسفر والبلجة بالضم والفتح ضوء الصبح ع
بلجة اى مشرقة ومنه ما نقل عن السيد الحميرى فى رد
الشمس على صاحب الدعا عليه السلام ردت عليه
الشمس لما فاته وقت الصلوة وقد دنت للمغرب
حتى تبلج نورها فى وقتها للعصر ثم هوت هوى
الكوكب وقد عرفت ما فى التشبيه وذلك ان — الكلام من ع
نقول تشبيه الصباح فى النفس بالشخص المتكلم بجامع
الاظهار والكشف اذ الصباح كاشف الستر كما ان
المتكلم كاشف الضمير استعارة بالكناية واثبات
اللسان له تخييل وهذه الاستعارة قرينة الاستعارة

الاولى كالاظفار للمنية فى قوله واذا المنية انشبت اظفارها
لان المكنية والتخييلية على مذهب صاحب الايضاح
ومن يرى رأيه متلازمان لا يتحقق احدهما بدون
الاخرى اذ التخييلية على هذا المذهب يجب ان تكون
قرينة المكنية كما انها يجب ان تكون قرينة التخييلية
تبعية او هو محمول على حقيقته وانما قلنا على هذا
المذهب لان صاحب الكشاف والمحققين من شراح
كلامه يقولون ان المكنية قد توجد بدون التخييلية
وان قرينتها قد يكون تحقيقية تصريحية كاستعارة النقض
لابطال العهد فى قوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من
بعد ميثاقه حيث استعار الحبل للعهد وهى مكنية
ونبه عليها بذكر النقض الذى هو ابطال تأليف الجسم
وهى استعارة تحقيقية تصريحية حيث شبه ابطال
العهد به واطلق اسم المشبه به على المشبه وهذا معنى

البتة والنطق اما ترشيح او تخييل وفى دلع استعارة

ينقضون

قوله

قوله فى الكشاف شاع استعمال النقض فى ابطال
العهد من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل
الاستعارة لما فيه من اثبات الوصلة بين المتعاهدين
ومنه قول ابى التيهان فى بيعة العقبة يا رسول الله
ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى
ان الله عز وجل اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك
وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا عن
ذكر الشئ المستعار ثم يرمزوا بذكر شئ من روادفه
فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحو قولك شجاع
يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس لم تقل هذا
الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد و
بحر انتهى كلامه قال العلامة التفتازانى استفدنا
منه ان قرينة الاستعارة بالكناية لا يجب ان تكون
استعارة تخييلية بل قد يكون تحقيقية وقال

صاحب الكشاف دل كلامه من غير تكلف على ان الرادف
المؤتى به قد يكون ما لا يستقل والغرض منه التنبيه
فقط كما فى مخالب المنية وقد يكون ما يستقل و
ان تفرع على الاول كالنقض والاغتراف للابطال
والانتفاع ونحن فى ذلك نتابعه انتهى وههنا
بحث ان يقال استعار الصباح للشخص المتكلم وهى
مكنية ونبه عليها بذكر اللسان الذى هو آلة
الافصاح والايضاح وهى استعارة تصريحية حيث
شبه ايضاح الصباح واظهاره الاشياء كما ينبغى
باللسان ثم اطلق اسم المشبه به على المشبه فتامل
فيه وحاصل المعنى انه ادعو والذى الذى اخرج
لسان الصباح بان جعله مشرقا مضيئا للعالم معربا
لما فيه من الاشياء كالنطق الذى هو معرب لذات
الصدور اوباظهار نوره واعتراض ضوئه

ضوء الصباح انما هو من ضياء الشمس قطعا وبيان
ذلك على ما حرره ارباب الهيئة ان المستضئ
بالشمس من الارض اكثر من نصفها دائما لانها اعظم
منها ومتى استضائت كرة صغرى من كرة عظمى كان
المستضيئ من الصغرى اكثر من نصفها والمظلم اقل
ويكون ظلها مخروطيا فظل الارض على هيئة مخروط
يلازم راسه مدار الشمس وينتهى فى فلك الزهرة
كما علم بالحساب والنهار مدة كون المخروط تحت الافق
والليل مدة كونه فوقه فاذا ازداد قرب الشمس من شرقى
الافق ازداد ميل المخروط الى غربيه ولا يزال كذلك
حتى يرى الشعاع المحيط به واول ما يرى منه هو
الاقرب الى موضع الناظر لانه اصدق رؤية وهو
موضع خط يخرج من بصره عمودا على الخط المماس
للشمس والارض فيرى الضوء مرتفعا عن الافق

مستطيلا وما بينه وبين الافق مظلما لقربه من قاعدة
المخروط الموجب لبعد الضوء هناك عن الناظر وهو
الصبح الكاذب ثم اذا قربت الشمس جدا يرى الضوء معترضا
منبسطا وهو الصبح الصادق ومنهم من قال انما سمى
الاول كاذبا لانه معقب بالظلمة بناء على فناء ضوئه
وزواله بخلاف الثانى وفيه ان الضوء لا يفنى بل يختفى
بغلبة الضوء الثانى عليه كما ان ضوء المصباح يختفى
فى جنب ضوء الصباح هذا وهذا لا ينافى كونه تعالى فالقه
كما ان وجود النهار بطلوع الشمس لا ينافى كونه تعالى
خالقه والفخر الرازى اراد ان ذلك بقدرة الفاعل المختار
فنفى كون الصبح بضوء الشمس بدلائل اخترعها وكلها
خلاف المعقول والمنقول من علم الرياضة فكانت ساقطة
عن درجة الاعتبار نازلة عند اولى الابصار تزيب
للصبحين علامة شرعية يعرفان بها قال سيدنا الصادق

صلوات الله

صلوات الله عليه وقت الغداة اذا اعترض الفجر فاضاء
حسنا واما الفجر الذى يشبه ذنب السرحان فذلك الفجر
الكاذب والفجر الصادق هو المعترض كالقباطى فى
القاموس القبط بالكسر اهل مصر واليه تنسب الثياب
القبطية بالضم على غير قياس والجمع قباطى وقال عليه السلم
الفجر هو الذى اذا رايته كان معترضا كانه بياض نهر سوراء
فى القاموس سورى كطوبى موضع بالعراق وهو من بلد
السريانيين وموضع من اعمال بغداد وقد يمد
وَسَرَّحَ قِطَعَ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ بِغَيَاهِبِ تَجَلِّيهِ
معطوفة على دلع وما فيه من رعاية محسنات الوصل
بعد تحقق مجوزاته غير خفى اما الاولى فلتناسبهما
فى الفعلية والفعلتين فى الماضوية واما الثانية
فلاتحاد المسند اليه والمناسبة الظاهرة بين المسندات
وتسريح الماشية ارسالها يقال سرحت الماشية اى

انفشتها واسمتها وارسلتها للرعي وسرحت هي بنفسها
رعت وهو من الافعال اللازمة والمتعدية وسرّحتها
بالتثقيل مبالغة وتكثير فالمراد بالسرح هنا التخلية
وعدم المنع كما تسرح الماشية في المرعى وهو استعارة
تبعية او مكنية كما سياتي وتسريح المراة تطليقها ومنه
فامساك بمعروف او تسريح باحسان وفيه ايماء لطيف الى
ان تلك القطع مشتغلة بعمال مشيته وفي ذهابها و
ايابها وطلوعها وافولها مؤتمرة باوامره فاذا امر الملك
الموكل بتحريك الفلك ان يحركه حركه الى ان تنقضي تلك
القطع بحذافيرها وبذلك يدلع لسان الصباح ولو امره
بتسكينه سكنه فيبقى سكان هذا العالم على ظلامه قل
ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة من اله
غير الله ياتيكم بضياء افلا تسمعون والقطع جمع قطعة
وفي الارض قطع متجاورات كانما اغشيت وجوههم قطعا

من الليل مظلما والليل هو الزمان الذي يقع ما بين غروب
الشمس وطلوعها عند اهل اللغة وما بين غروبها وطلوع
الفجر الصادق عند اهل الشرع وقد سبق انه عبارة
عن مدة كون مخروط ظل الارض فوق الافق وبعبارة اخرى
اذا كان مركز الشمس تحت الافق الحقيقي فهو زمان الليل
والعامة يعتبرون جرمها وضوءها فاذا كان جرم الشمس
بتمامه غائبا عن النظر لا لمانع كان زمان الليل وفي عرف
المتشرعة ابتداء الليل عند اهل السنة من زمان مجاوزة
جرم الشمس بتمامه عن الافق الغربي وعند الامامية
على المشهور من زوال الحمرة المشرقية وظهور الظلمة
في ذلك الجانب وقيل علامته استتار القرص ولا عبرة
بالحمرة وفيها كلام يطلب من كتب الفروع وانتهاؤه
بالاتفاق عند طلوع الصبح ولما كان الليل عبارة عن
الزمان المذكور وكان الزمان من الكميات المتصلة

القابلة للقسمة بذاتها كانت لها اجزاء وقطع والظاهر ان المراد
بقطعه ساعاته واناته ودقايقه وثوانيه وثوالثه وروابعه
الى غير ذلك من المقادير المذكورة في كتبهم فانهم قسموا
اليوم بليلته على اربعة وعشرين قسما متساوية وسموا
كل قسم ساعة بستين قسما وسموا كل قسم دقيقة وسموا وقسموا كل ساعة
الساعات المذكورة مستويات لتساويها في المقدار
ابدا طال كل من الليل والنهار ام قصر لكنها تختلف في
العدد بحسب طول كل منهما وقصره وقد يقسمون كل يوم
وكل ليلة باثني عشر قسما متساوية ويسمونها الساعات
الزمانيات والمعوجة لعدم تساويها في المقدار وان
استوت في العدد فان مقدار كل ساعة يزيد وينقص
بحسب طول كل من الليل والنهار وقصره لكنها لا تختلف
في العدد فهي عكس المستويات فهذه الدقايق والساعات
هي المراد هنا بالقطعات او المراد بها طلوع قطعة قطعة

من القوس التي بين نقطتي المشرق والمغرب تحت الارض
من دائرة مدار الشمس اعني طلوع قوس الليل شيئا فشيئا
وافولها كذلك والظلمة ماخوذة من قولهم ما ظلمك ان
تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر وتمنع الروية
وبغياهب لجلجه نظير بنطق تلجلجه والغيهب الظلمة و
الشديد السواد من الخيل والليل يقال فرس ادهم غيهب
اذا اشتد سواده وليل غيهب مظلم والجمع الغياهب
ومنه ما قيل ارقب الكوكب وارمق الغيهب واللجلجة
والتلجلج التردد في الكلام فهو صفة المتكلم اذا ثقل لسانه
فلم يقدر على تقرير مرامه وتحرير كلامه اما للدهشة
او خشية او ما شاكل ذلك ومنه قولهم المنكر ما يصد
عن الكافر من التلجلج عند سوال الملكين وقولهم في المثل
السائر الحق ابلج والباطل لجلج اي الحق ظاهر والباطل
متردد وقريب منه الحديث المشهور خذ الحكمة اني

كانت فان الحكمة تكون فى صدر المنافق فتلجلج فى صدره
حتى تخرج فتسكن الى صواحبها فى صدر المؤمن فتشبيه
قطع الليل بقطع الماشية استعارة مكنية واثبات
التسريح لها تخييل او ترشيح وفى سرح باعتبار ضمير
الفاعل استعارة تبعية اذ الغرض منه تمثيل حاله
تعالى فى ارساله واذهابه قطع الليل شيئا فشيئا بحال
الراعى فى تسريحه قطع الماشية مكانا فكانا الا انه
لم يصرح فى جانب المشبه به ما بازاء المشبه من الالفاظ
الا بكلمة سرح فان مدلولها هو العمدة فى هذه الهيئة
وما عداه تبع يلاحظ فى ضمن الفاظ منوية فلا يكون
لفظ سرح استعارة ويمكن جعله من قبيل التمثيل
المفرد بان يشبه ذات الله تعالى عن ذلك بالراعى و
يشبه قطع الليل بقطع الغنم وارساله اياها بتسريحه
اياها الى غير ذلك من الاعتبارات ولعل الاول اولى

بالاعتبار

بالاعتبار عند اولى الابصار وانما اضاف التلجلج اليه
باعتبار ان الاشياء الواقعة فيه لا يمكن تشخيصها و
لا تميزها كما ان من له التلجلج لا يمكن تميز كلامه وفهم مراده
فالليل كالحيوان الصامت او الانسان الابكم فى انه
لا يمكن ان يفهم غرضه من صوته او يصعب والنهار كالحيوان
الناطق الفصيح المفهوم غرضه من صوته واضافة الغياهب
الى التلجلج اضافة المشبه الى المشبه به او العكس والباء
فيه للملابسة والمراد انه دعى من اذهب قطعه بدجا
فى حال تلبسها بالظلمات المشبهات بالتلجلج
تقديم الجملة الاولى على الثانية والنظم الطبيعى يقتضى
العكس اما للاهتمام بشان الصباح وغاياته او للاشعار
بتقديم النور على الظلمة والقول بان الظلمة هى الاصل
والنور طار عليها يسترها ثم الاستدلال عليه بقوله
تعالى اولم يروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

اى كانتا مظلمتين ففتقهما الله باظهار النور فيهما اذ لا يكون
مع الرتق الا الظلام فهو سابق على النور ومما قد ثبت
ان القيمة لا تقوم الا نهارا فدل على ان ليلة اليوم سابقة
على نهاره اذ كل يوم له ليلة فكان الليل قبل النهار
يدفعه قول الرضا عليه السلام ان طالع الدنيا السرطان
والكواكب فى مواضع شرفها زحل فى الميزان والمشترى
فى السرطان والشمس فى الحمل والقمر فى الثور فذلك يدل
على كينونة الشمس فى الحمل فى العاشر من الطالع فى وسط
السماء فالنهار خلق قبل الليل انتهى او للايماء الى انه
وجودى والظلمة عدمية اذ هى عدم النور عما من شانه
ان يصير مستنيرا والملكات اصل بالنسبة الى الاعدام
قال صاحب الكشف الظلمة عبارة عن عدم النور وهذا
هو المطابق للغة وعليه المحققون وزيادة عما من شانه
النور غير مسموعة انتهى وقال السعد التفتازانى اذا اجرى

علم

علم النور على اطلاقه كان بين النور والظلمة تقابل الايجاب
والسلب وان زيد عما من شانه فبينهما تقابل الملكة و
العدم وعند بعض المتكلمين هى عرض ينافى النور عرض
فبينهما تقابل التضاد انتهى وهى على هذا وجودية
وعلى الاولين عدمية والمناقشة بان الظلمة مرئية ولا
شئ من الاعدام كذلك واهية اذ لا نجد فرقا بين اغماض
العين فى الظلمة الشديدة وفتحها كما تشهد له التجربة
وَاَتْقَنَ صُنْعَ الفَلَكِ الدَّوّارِ فى مَقادِيرِ بُرُجِهِ
اتقن الامر احكمه والمراد انه جعله محكما قوى الخلق
ثابتا لا ينهدم من حيث الاركان ولا يؤثر فيه مرور
الازمان وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا السماء
سقفا محفوظا والصنع بالضم مصدر قولك صنع اليه
معروفا وصنع به صنيعا قبيحا اى فعله كذا قال الجوهرى
فى الصحاح وتبعه صاحب القاموس فقال صنع اليه معروفا

كمنع صنعا بالضم فعله والشيء عمله وقال الراغب الصنع اجادة
الفعل فكل صنع فعل وليس كل فعل صنعا قال تعالى صنع الله
الذي اتقن كل شيء انتهى والفرق بين صنع الشيء وخلقه
ان الصنع عبارة عن اخراجه من العدم الى الوجود والخلق
عبارة عن تقديره على مقتضى الحكمة اخرجه الى الوجود
ام لا فكل ما يخرج من العدم الى الوجود مفتقر الى تقديره
اولا والى ايجاده على وفق التقدير ثانيا والى تصويره بعد
الايجاد ثالثا وهذا كالبناء المحتاج الى تقدير ما لا بد
منه في وجوده من الخشب واللبن ومساحة الارض
وعدد الابنية وطولها وعرضها وهذا يتولاه المهندس
ثم يحتاج الى بناء يتولى الاعمال التي عندها تحدث
اصول الابنية ثم الى مزين ينقش ظاهره ويزين صورته
هذا في غير افعاله تعالى واما فيها فان ذاته بذاته هو الخالق
والصانع والمصور من حيث ترتيبه صور المصنوعات احسن

الترتيب المشاهد هذا واضافة الصنع الى الفلك اضافة
الجرد الى القطيفة والاخلاق الى الثياب اي الفلك
المخلوق المصنوع والفلك بفتحتين مدار النجوم سمي بذلك
تشبيها له بفلكة الدولاب والمغزل لمشابهته لهما
في الدوران قال ابو ريحان ان العرب والفرس سلكوا
في تسمية السماء مسلكا واحدا فالعرب سموه فلكا تشبيها
له بفلكة الدولاب على محور وقطبين والفرس سموه
آسمان تشبيها له بالرحى فان اس بلغتهم الرحى ومان
دال على التشبيه اقول فكما ان فلكة الدولاب الخسيس
يحتاج في وجوده ودورانه الى موجد يوجده ومدبر
يدبره ومدير يديره كذلك هذا الدولاب الشريف الاعظم
المصنوع بحكمة تقصر فيها اذهان البشر يحتاج الى
موجد يوجده ومدبر يدبره ومدير يديره هذا
الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن فهو اول دليل

على وجود صانعه وقدرته وعلمه وحكمته اذ الضرورة قاضية
بان فاعل هذه الامور المشتملة على لطايف الصنع وبدايع
النظم والترتيب عالم لطيف خبير والمراد بالفلك جنسه
او الالف واللام فيه للاستغراق فيشمل الافلاك الكلية
والجزئية باسرها والدوّار من ابنية المبالغة من دار يدور
اذا طاف حول الشيء واذا عاد الى الموضع الذي ابتداء
منه والعرب قد بنت مثال من كثر الفعل على فعّال
فقالوا للكثير السوال سأّل والاسناد الحقيقي في العرف
واللغة هو ما يكون من حق الاسناد ان يسند اليه سواء
كان فاعلا حقيقيا او علة قابلية فان اهل العرف يسندون
الافعال الى تلك الاسباب ولا يدققون فيها التدقيقات
الكلامية فاسناد الدوران اليه لا ينافي ما ورد ان الله
وكل بالفلك ملكا معه سبعون الف ملك وهم يديرونه
فاذا ادارة دارت الشمس والقمر والنجوم معه ومخالفته

لقوانين

لقوانين الفلاسفة غير مضر لانها نظريات لم يثبت برهان
فالقول بها وهمي لا يعارض النصوص الشرعية ولا سيما
اجماعهم كما سبق قال غياث الدين منصور قدس سره
الذي يستفاد مما افاده القدماء من الحكماء ان كل
فلك كلي شخص واحد فكل من الكليات التي للسيارات
السبع شخص له قلب هو كوكبه واعضاء هي افلاكه الجزئية
وبدن هو الفلك الكلي والنفس الكلية يتعلق اولا بالقلب الفلكية
الذي هو الكوكب ثم بغيره من الاعضاء وهذا كالشخص
الانساني فان نفسه اولا تتعلق بروحه الحيواني الذي
في القلب ثم بساير اعضائه والارادة النفسية في الكواكب
فالنفس بالارادة الكوكبية تحرك البدن وساير الاعضاء
على ما شاء واراد كما ان كل انسان وحيوان يحرك بدنه
واعضائه على ما اراد انتهى وقد قرر اصحاب الارصاد
بمقتضى ما ادت اليه ارصادهم ان كل نقطة تفرض على

مقعر الفلك التاسع تتحرك فی عشر عشر سبع ساعة مستوية
احد وسبعين الف فرسخ وستمائة وست فراسخ و
استنبطوا منه انه فی مدة ما یتلفظ به الانسان بلفظ
واحد تتحرك الفا وسبعمائة واثنين وثلثين فرسخا فانظر
فی مبالغة دورانه كما وكيفا ظاهر ثم لو كانت للارض
حركة وضعية من المغرب الی المشرق وكانت الحركة
السريعة من المشرق الی المغرب وهی اليومية مستندة
اليها والبطيئة المختلفة من المغرب الی المشرق وهی الخاصة
مستندة الی الفلك كما زعمه قوم لما صح وصفه بالدوار
حول الارض ففيه دلالة على بطلان ما ذهبوا اليه الا
ان يقال لا منافات بين البطوء فی الحركة والمبالغة فی
الدوران بحسب العدة بمعنی صدور هذا الفعل عنه
مرارا كثيرة بحسب طول المدة نعم بينهما منافاة بحسب
الشدة فتامل   ذهبت الفلاسفة الی ان الافلاك ٤

باجمعها حية ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها
واكثرهم على ان غرضها من حركاتها نيل التشبه بجنابه
والتقرب اليه جل شانه وبعضهم على ان حركاتها
لورود الشوارق القدسية عليها آناً فآناً فهی من قبيل
الطرب والرقص الحاصل له من شدة السرور والفرح و
ذهب جمع منهم الی انه لا ميت فی شیء من الكواكب ايضا
حتی اثبتوا الكل منها نفسا محركة حركة مستديرة على
نفسه وابن السينا فی الشفا مال الی هذا القول و
رجحه فی الاشارات وقال العلامة البهائی قدس سره
فی الحديقة الهلالية لم يرد فی الشريعة المطهرة ما ينافی
ذلك القول ولا قام دليل عقلی على بطلانه ولو قال
به قائل لم يكن مجازفا ثم قال واذا جاز ان يكون لمثل
البعوضة والنملة فما دونها حيوة فای مانع من ان
تكون لتلك الاجرام الشريفة ذلك وتبعه فی ذلك

كلام القاساني قدس سره في تعليقاته على هذا الدعاء وقال
ما قال ثم زاد عليه ابيات فارسية حيث قال وانشد بعضهم

از ملك تا فلك چو كرد است — فلك آمد تن وملك جان است
عرش وكرسي وچرخهاي كرات — كمتر است از بهائم وحشرات
خنفساء ومگس چار قبان — همه با جان ومهر ومه بي جان

اقول قول ابن سينا واضرابه باعترافهم ليس بحجة يركن
اليها الذين يأنون في امثال تلك المطالب ولاسيما
اذا كان مجرد دعوى عرية عن الحجة والبرهان مخالفا
لما انعقد عليه اجماع المسلمين كما نقله السيد السند
الجليل المرتضى علم الهدى كما سبق وكفى به ناقلا اذا
قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام
حيث قال لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحيوة
عن الفلك وما اشتمل عليه من الكواكب وانها مسخرة
مدبرة مصرفة وذلك معلوم من دين رسول الله صلعم

ضرورة

ضرورة مع انه مخالف لما رواه محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلم
قال سألته عن ركود الشمس فقال ان الشمس اذا طلعت
جذبها سبعون الف ملك بعد ان اخذ بكل شعاع
منها خمسة الاف من الملائكة من بين جاذب ودافع حتى
اذا بلغت الجو وجازت الكو قلبها ملك النور ظهر البطن
الحديث كذا في الفقيه وفيه عن سيد العابدين صلوات
الله عليه وعلى ابائه وعلى ابنائه الطاهرين ان الله وكل
بالفلك ملكا معه سبعون الف ملك فهم يديرون الفلك
فاذا اداروه دارت الشمس والقمر والنجوم معه فنزلت
في منازلها التي قدرها ليومها وليلتها الحديث وله
نظائر كثيرة في الاخبار المنقولة عن الصادقين الاخيار
والى هذا اشار السيد بقوله وانها مدبرة مسخرة و
اما تاويل تلك الاخبار بنفوس الافلاك وقواها و
خاصة على القول بان لكل كوكب نفسا تحركه فغير جائز

فان تاويل الظواهر انما يجوز اذا دلت القواطع على خلافه
وهنا ليس كذلك بل ليست لهم على ذلك شبهة فالواجب
الاعراض عن التاويل فانه جار في اكثر المذاهب الباطلة
والاديان العاطلة والتعرض له انما ينشاء من التعصب
المبرى عنه اهل الحق وكانا قد ذكرنا الكلام في ذلك
اوضح من ذلك في بعض رسائلنا فليطالع من هناك
هذا وفي مقادير تبرجه متعلق باتقن ولفظة في لظرفية
مدخولها الشيء اعني حلول الشيء فيه حقيقة او مجازا
وظاهر ان المقادير ليست ظرفا للاتقان فامتنع حمل
اللفظ على حقيقته فليكن على طريق الاستعارة على قياس
زيد في نعمة بان يشبه الهيئة المنتزعة من الاتقان
والمقادير ومصاحبة احدهما الاخر بالهيئة المنتزعة
من المظروف والظرف واصطلحا بهما فيكون في
الكلام استعارة تمثيلية تركب كل من طرفيه لكنه

لم يصرح

لم يصرح مابازاء المشبه به من الالفاظ الا بكلمة في فان
مدلولها هو العمدة في تلك الهيئة وقد تنظيره فتذكر
والتبرج اظهار الزينة يقال تبرجت المراة اذا اظهرت زينتها
للرجال ومنه ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى ولعل
المراد باتقانه في مقادير التبرج انها جعلت ثابتة دائمة
غير متغيرة ولا متفاوتة بمرور الشهور وكرور الدهور
فان البروج الاثني عشر مثلا ستة منها شمالي دائما
مشتملة على ثلثة ربيعية وثلثة صيفية وستة اخرى
جنوبية دائما مشتملة على ثلثة خريفية وثلثة شتوية
وكذا الكواكب بعضها ثابتة لا يفارق في سيره مركزه من
الفلك ولا يتغير الا مجتمعا وبعضها سيارة ينتقل من برج
الى برج ويفترق في سيره ولكل منهما حركتين — منهما حركتان مختلفتان خ د
مختلفتين عامة من المشرق الى المغرب وخاصة من المغرب
الى المشرق وهذه الهيئات المختلفة والاوضاع المتفاوتة

المورثة لبرجه وتزيينه للناظرين مستمرة على نهج واحد
ونظام مشاهد ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها
للناظرين قال السيد غياث الدين منصور قدس سره
المستفاد من ارباب الارصاد الروحانيات والنبوات
والانبياء واعاظم الحكماء ان الافلاك تسعة لا غير
وهي منحصرة في سبع سموات وكرسي وعرش وقال
الشيخ الجليل ميثم البحراني في شرح نهج البلاغة الشرع
والبرهان تطابقا على ان الافلاك تسعة بعضها فوق
بعض فمنها سبع سموات ثم الكرسي والعرش بعبارة
الناموس الالهي قالوا وهي اجسام كرويات متسعات
مجوفات مركبة بعضها في جوف بعض واكثرها يشتمل
على الكوكب وهي اجرام نورانية مستديرة مصمتة
مركوزة في اجرام الافلاك ومايلينا ليس فيه من الكواكب
الا القمر ويسمى فلك القمر وسماء الدنيا وهو محيط

بالهواء من جميع الجهات كاحاطة قشر البيضة ببياضها
والارض في جوف الهواء كمحة البيضة في بياضها ومن
وراء فلك القمر فلك العطارد وليس فيها من الكواكب
غيرها ومن ورائه فلك الزهرة وليس فيه غيرها ومن
ورائه فلك الشمس وليس فيه غيرها ومن ورائه فلك
المريخ وليس فيه غيره ومن ورائه فلك المشتري وليس
فيه غيره ومن ورائه فلك زحل وليس فيه غيره وهذه
السبعة الكواكب يقال لها السيارة ومن وراء فلك
زحل فلك الكواكب الثابتة وهو يشتمل على ما سوى
السبعة المذكورة من الكواكب ويسمى فلك البروج و
فلك الثوابت لكونه مكانا لهما وتسميتهم كواكبه بالثوابت
اما البطوء حركتها فلا يحس واما الثبات اوضاع بعضها
من بعض فانا نجد دائما وضعا معينا بين النسر الطائر
والنسر الواقع ويسمى في الشرع بالكرسي ومن ورائه الفلك

المحيط لاحاطته بجميع الافلاك ويسمى فلك الافلاك
والفلك الاعظم والفلك الاطلس لانه غير مكوكب
اما لخلوه من الكواكب او لعدم ادراكنا لما فيه منها
ان كان وهو المسمى بالعرش المجيد فى لسان الشرع
وهذا الفلك دائم الدوران كالدولاب يدور من
المشرق الى المغرب فوق الارض وبالعكس تحتها فى
كل يوم وليلة دورة ويدير ساير الافلاك والكواكب
معه كما قال عز اسمه وكل فى فلك يسبحون وساير الافلاك
يدور كل منها بحركة مختصة به من المغرب الى المشرق
فوق الارض وبالعكس تحتها بدليل ان الهلال يرى
فى الليلة الاولى فى مكان وفى الثانية ينتقل الى مكان آخر
اخذا الى جهة الشرق وهكذا الى اخر الشهر حتى يتم بفلكه
التعدد وهى ان يعود الى النقطة التى كان عليها اولا
فكان لكل من الافلاك الثمانية دوران ذاتية وهى التى

من المغرب الى المشرق وقسرية وهى التى من المشرق الى
المغرب وشبهوا ذلك بنملة على رحى والرحى تسعى
الى جهة اليمين مثلا والنملة الى جهة اليسار فللنملة حركتان
ذاتية وقسرية وانما سميت هذه الحركة العظمى قسرية
لانها تقسر الافلاك وتديرها الى غير جهة حركتها
الذاتية عكسا وهذه الحركة هى التى يرى بها الشمس كل
يوم فى شروق وغروب والا فلكها لا يتم لدورة الا فى
قريب من سنة اذا عرفت هذا فالمراد بالفلك الدوار
فى عبارة الدعاء اما الفلك الاعظم وانما عبر عنه به
لكثرة دورانه كما سبق او جميع الافلاك عموما كما اومأنا
اليه او السيارات السبع خاصة اذا اريد بالدوران
والمبالغة فيه ما يعم الذاتى والقسرى وهو الانسب
بعبارة ناموس الالهى لان الاول مع انه لا يناسبه قوله
فى مقادير تدبيره وان ناسبه وصفه بكثرة الدوران لا

يسمى بالفلك بلسان الشرع وقد عرفت حقيقة الحال و
حقيقة المقال فتذكر ثم اعلم انه لم يتبين لاحد من الاوايل
والاواخر كمية عدد الافلاك على ما هي عليه لا عقلا و
لا نقلا فان الذي دل عليه ظاهر القران ان الله سبحانه
سبع سموات لكن تخصيص عدد بالذكر لا يدل على نفي
الزايد روى ثقة الاسلام في كتاب الروضة بسنده
عن ابي حمزة الثمالي عن ابي جعفر عليه السلام قال قال
لي ليلة وانا عنده ونظر الى السماء يا ابا حمزة هذه قبة
ابينا ادم عليه السلام وان لله سواها تسعة وثلثين قبة
فيها خلق ما عصوا الله طرفة عين وله نظاير اوردنا
نبذة منها في هداية الفواد واشبعنا الكلام فيه فيها
فليطلب من هناك

وشعشع ضياء الشمس بنور تاجه

الشعشع والشعشعان والشعشعاني الطويل ومنه ما قال
ابن ابي الحديد في قصيدته المشهوره في وصف سيف صاحب
الدعاء سلام الله عليه وروحي له الفدا وحيث الوميض
الشعشعاني فايض من المصدر الاعلى تبارك مصدرا
فليس سواع بعد ذا بمعظم ولا اللات مسجود ا
لها ومعزا والشعشاع الخفيف والمتفرق والضوء
والنور مترادفان لغة وقيل هو اقوى من النور فهو
فرط الانارة وقد يسمى تلك الكيفية ان كانت من
ذات الشيء ضوء وان كانت مستفادة من غيرها
نورا اخذا من قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقال صاحب الكشف والتحقيق ان الضوء
فرع النور يطلق على الشعاع المنبسط والنور يطلق
على ما للشيء في نفسه كالنور القايم بنفس الشمس ولهذا
يقع على الذوات الجوهريه بخلاف الضوء قال الراغب
النور الضوء المنتشر الذي يعين على الابصار وهو

ابن ابي الحديد

امير المؤمنين ع

ضربان دنيوى واخروى فالدنيوى ضربان معقول بعين
البصيرة وهو ما انتشر من الانوار الالهية كنور العقل
ونور القران ومنه قد جاءكم من الله نور ومحسوس بعين
البصر وهو ما انتشر من الاجسام النيرة كالقمرين والنجوم
النيرات ومنه هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا
ومن النور الاخروى قوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم
انتهى والمشهور ان ضياء الشمس ذاتى قائم بذاتها
غير مستفاد من غيرها تستفيد منها ساير الكواكب
انوارها المزيلة للظلام حتى قال صاحب الهياكل
ان رخش وعنى به الشمس قاهر الغسق رئيس السماء
فاعل النهار صاحب العجايب عظيم الهيبة الذى يعطى
جميع الاجرام ضوئها والمعروف من الاخبار ان ضوئها
مستفاد من نور العرش ففى كتاب التوحيد عن ابى ذر
عن النبى صلى الله عليه واله بعد كلام فيانيها جبرئيل

بحلة

بحلة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار
فى طوله وقصره وما بين ذلك فتلبس تلك الحلة كما
يلبس احدكم ثيابه ومخالفته لقواعد الفلاسفة لا تخفى
لما تروهم فى تحقيقها مختلفون فقال بعضهم هى
فلك اجوف مملو نارا له فم يجيش بهذا لوهج والشعاع
وقال اخرون هى سحابة واخرون هو جسم زجاجى
يقبل نارية فى العالم ويرسل عليه شعاعها وقال
اخرون هو صفو لطيف ينعقد من ماء البحر وقال
اخرون هو اجزاء كثيرة مجتمعة من النار واخرون
هو جوهر خامس سوى الجواهر الاربع والتاجج تلهب
النار ومنه قوله متى تاتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا
جزلا ونارا تاججا واللهب محركة اشتعال النار اذا
خلص من الدخان اولهبها لسانها والاضافات
بلا شبهة لامية والباسية وتشبيه الضوء بالنار

مكنية واثبات التاج والتلهب له ترشيح والتمييز

اما عايد الى الشمس ولم يؤنث رعاية للسابقات و

موافقة لسائر الفقرات او الى الضيا والمراد ان ضيائها

تشعل ولسان وتشعله ولسانه نور خالص ليس

كانوار سائر الشعل كالكبريت وما شاكله فان شعلته

ولسانه اما لا نور له او له نور غير خالص والمعنى

انه تعالى طول ضيائها بسبب نور لسانه وشعلته

والمراد انه قدر بلطيف حكمته دورانها حول الارض

فاذا كان فوقها نفذ ضوئها في اجزاء الهواء الى

وجه الارض فيستضيئ به اجزائها فكانه بذلك

جعل ضيائها طويلا مديدا بالغا واصلا الى وجه

الارض وجميع ما في عالم العناصر او المراد انه جعل

ضوئها متفرقا منتشرا ممتدا كالرماح ونحوها كالرماح

ويعبر عنه بالخطوط الشعاعية وهو مبني على ما

ذهب اليه جماعة من الاوائل من كونها اجساما دقاقا

تنفصل من المضيئ وتتصل الى المستضيئ ولما انجر الكلام

منه عليه السلام من نوع وصف الى اخر اعاد ذكر الموصوف

جل شانه وناداه ثانيا بقوله

يا من دل على ذاته بذاته

الدلالة الهداية والارشاد والدليل الهادي والمرشد

الذات يطلق في الاصطلاح على عين الشيء جوهرا كان

ام عرضا واما في اللغة فيطلق على حقيقة الشيء وقد يستعمل

بمعنى صاحب ويجمع على الذوات وتثنيته ذواتا كما في

التنزيل ذواتا افنان وقد يراد بذات الشيء ماهيته

باعتبار وجودها الخارجي اذ المعدوم لا ذات له ولا حقيقة

فلا يقال ذات العنقاء ولا حقيقتها بل ماهيتها وقد

يقال على الحقيقة وعلى الهوية الخارجية وهذا هو المراد

هنا وقد يراد بذات الله تعالى ما يضاف اليه سبحانه

من الاوامر والنواهى والحدود والاحكام كجنب الله تعالى
فى قوله تعالى يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله ومنه
قوله صلى الله عليه واله ان عليا لَاُخَيشِنٌ فى ذات الله
وفيه شاهد على الاستعمال الذات بهذا المعنى ورد
على من انكر قال ابو تمام ويضرب فى ذات الاله فيوجع
المراد انه عليه السلام شديد الصلب والتشدد فى
الامور الالهية لا يدارى فيها ولا يداهن ولا تاخذه لومة
لائم لان الاخيشن تصغير اخشن افعل التفضيل من
خشن خشونة ضد لان قال فى الاساس ومن المجاز فلان
خشن فى دينه اذا كان متشددا فيه والتصغير هنا
للتعظيم كقوله دويهية تصفر منها الانامل ومنه
حديث ان عليا ممسوس فى ذات الله والمراد انه
صلوات الله عليه لتشدده وتصلبه فى الامور الالهية
وعدم ملاحظته للوم لائم اورعاية جانب شبيه بالمجنون

الذى

الذى لا يبالى بما يقال فيه من لوم او ملامة اذ الممسوس الذى
به مس من جن قال فى الاساس رجل ممسوس مجنون
وقد يطلق الذات على ما يقابل الوصف ويستعمل استعمال
النفس والشئ ولذا يجوز تذكيره وتانيثه ومنه قوله تعالى
واصلحوا ذات بينكم قال صاحب الكشاف الاحوال التى
بينكم للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقنى ذا انائك يريدون
ما فى الاناء من الشراب وقوله تعالى بذات الصدور وهى
مضمراتها وبذاته متعلق بدل والباء فيه كما فى قولك
دل بهذا على ذلك اى جعله دليلا عليه ومعرفا له — فلان،
فذاته تعالى دليل على ذاته ومعرف له لا غيره والا لزم
كون المعرف اخفى من المعرف كيف لا وهو سبحانه اعرف
الاشياء واظهرها عند العقل لانه ظاهر بذاته ومظهر
لغيره فظهوره ذاتى وظهور غيره عرضى حاصل بالنسبة
اليه واستنادا عدله فمعنى دلالة ذاته على ذاته انه ظاهر

بذاته لا يحتاج الى دليل يدل عليه بخلاف غيره فانه خفى بذاته
وانما يظهر به فهو دليل عليه لا ذاته ولهذا لما سئل النبى ص
بما ذا عرفت ربك قال ص بالله عرفت الاشياء اى بظهوره
وخفائها من حيث الذات والصفات يعنى انى نظرت الى
الاشياء فوجدتها مدبرة مسخرة قائمة بالغير به قوام
ذاتها وظهور اثارها وصفاتها فعرفت اولا ان لها
ربا صانعا صنعها وجعلها مبدأ للآثار وقومها ثم عرفتها
بقيامها به وانتسابها اليه فبهذا النظر بالله عرفت الاشياء
وحاصله يؤل الى الاستدلال بوجود العلة على وجود
المعلول فان من نظر الى وجوده تعالى من حيث انه وجود
واجب قائم بذاته يظهر له انه اظهر الامور وبه ظهرت
الاشياء كلها فينتقل منه اليها ويجعله وسيلة المعرفة
انها موجودة قائمة لا بذاتها بل بغيرها ومن هنا يقال
ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله او معه وعن بعض

الصادقين

الصادقين صلوات الله عليهم اجمعين تعرفت الى فى كل شئ
فرايتك ظاهرا فى كل شئ فانت الظاهر لكل شئ وعنه ع
منك اطلب الوصول اليك وبك استدل عليك وقال
وكيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر اليك
ايكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو
المظهر لك متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك
ومتى بعدت حتى تكون الاثار هى التى توصل اليك
ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى دل باثار ذاته وبما خلقه
فى الآفاق والانفس على معرفة ذاته او صفات ذاته او
وجود ذاته الذى هو عين ذاته فحذف المضاف فى
الموضعين للعلم به وظهوره فيكون اشارة الى الاستدلال
بالمعلول على العلة والى نفى الاولوية الذاتية والخارجية
فان دلالة وجود الممكن على وجود الواجب انما تتم
وتثبت بعد نفى تلك الاولوية اما بدلالة البرهان عليه

او بدعوى الضرورة واشارة العقول اليه وكان الاول
اظهر لفظا واقوى معنى الا ان معرفته بهذا الوجه كانها
متعذرة او متعسرة للعوام بل لاكثر الخواص بخلاف الثاني
فان من له ادنى بصيرة اذا تفكر في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار ونظر الى الاشياء من حيث ان
لها ماهيات لا يمكن ان توجد بذاتها عرف ان لها
صانعا صنعها ومدبرا دبرها ولذا قال علي عليه السلام
البعرة تدل على البعير وآثار القدم تدل على المسير افسماء
ذات ابراج وارض ذات فجاج لا تدلان على اللطيف الخبير
حكى ذو النون المصري قال سمعت شخصا قائما في وسط
البحر وهو يقول سيدي سيدي انا خلف البحور والجزائر
وانت الملك الفرد بلا حاجب ووزير من ذا الذي انس بك
فاستوحش ام من ذا الذي نظر الى آيات قدرتك فلم
يدهش اما في نصبك السماء ذات الطرائق ورفعك الفلك

فوق رؤس الخلائق واجرائك الماء بلا سائق وارسالك الثلج
بلا عائق ما يدل على فردانيتك اما السموات فتدل على
صنعتك واما الفلك فتدل على حسن صنعتك واما الرياح
فتنشر من نسيم بركاتك واما الرعود فتصوت بعظيم آياتك
واما الارض فتدل على عظيم حكمتك واما الانهار فتفجر
بعذوبة كلمتك واما الاشجار فتخبر بجميل صنايعك واما
الشمس فتدل على تمام بدايعك وهنا احتمال آخر وهو
ان الحكماء ذهبوا الى ان العلة الفاعلية للمعرفة تصورا كان
او تصديقا بديهيا كان او نظريا شرعيا كان او غيره
انما يفيض من الله على الذهن بعد حصول استعداد له
بسبب احداث او تجربة او استماع او نظر او فكر او غير ذلك   احساس
فهذه الامور معدات والعبد كاسب للمعرفة لا موجد
لها والظاهر من اكثر الاخبار ان العبد انما كلف بالانقياد
للحق وترك الاستكبار عن قبوله واما المعارف فانها

باسرها تماما يلقيه الله فى قلوب عباده بعد اختيارهم الحق
ثم يكمل ذلك شيئا فشيئا بعد اعمالهم وطاعاتهم حتى يوصلهم
الى درجة اليقين فالمراد انه تعالى دل بذاته على معرفة ذاته
بان القاها على قلب من شاء من عباده بعد اختيار الحق
او افاضها عليه بعد استعداده لها ويدل على الاول حسنة
محمد بن حكيم قال قلت لابى عبد الله عليه السلام المعرفة
من صنع من هى قال من صنع الله ليس للعباد فيها صنع و
اعلم ان طرق دلالته وارشاده سبحانه الى معرفة ذاته وان
كانت لا تحصى جهاتها كثرة الا انها تنحصر فى اقسام ثلثة
تندرج تحت كل قسم مراتب غير محصورة احدها طريق
الدلالة بحسب الفطرة وهذه طريقة يشترك فى سلوكها
العوام ايضا اذ ما من احد الا ويعلم ان له صانعا صنعه
ومدبرا دبره بحسب فطرته الاصلية لما ركب فيه من
العقل الذى هو الحجة الاولى وان انكر وجوده منكر فانما

هو لغلبة

هو لغلبة شقاوته المكتسبة المبطلة لاستعداده الفطرى
وهو مع ذلك يعترف به حال الاضطرار كما هو الوارد فى
الاخبار الثانى الطريق الحاصل بالانظار والاستدلال
بالاثار وهذه الطريقة يشترك فى سلوكها جميع الخواص
المستدلين من العالمين حتى الانبياء والمرسلين و
ان كانوا فيه على تفاوت مراتب عقولهم الا ترى انك
تستدل بملكوت السموات وحركات الكواكب وبزوغها
وافولها على صانعها ومدبرها كما استدل بها خليل
الرحمن لكن لا يحصل لك من ذلك الا علم ضعيف لا
يكاد يمازجه ايقان بل ولا ايمان حتى لو وقعت فى
ادنى بلية تلوذ بكل من تتوهم انه ينجيك والذى حصل
له عليه السلام كان علما ثابتا ويقينا جازما حتى قال
له الروح الامين وقد رمى بالمنجنيق فكان فى الهواء
مائلا الى النار الك حاجة قال اما اليك فلا فاعرض

عنه فی مثل هذه الحالة والمحاذاة الی ربه لیس الا الله
وای ماسواه مفتقرا الیه خاشعا لدیه خاضعا بین یدیه
بل لم یر موجودا سواه ولا ملجاء الا اباه الثالث الطریق
الحاصل بالریاضة والمجاهدة الموصل الی حق الیقین [بل عین الیقین]
وهذه طریقة الخواص الخواص الذین یعرفون الحق بالحق
وهذه الفقرة الشریفة ممکنة الانطباق علی جمیع هذه
الطرائق اما علی الثالث منها فظاهر لما عرفت ان
خواص الخواص انما یعرفون الله بالله ثم به یعرفون الاشیاء
واما علی الاول والثانی فبعد اعتبار حذف المضاف
کما سبق بان یقال انه تعالی دل علی معرفة ذاته وصفاته
باثار ذاته التی منها افاضة المشاعر الظاهرة والباطنة
واعطاء العقول النظریة ونصب الامارات الانفسیة
والافاقیة المرشدة الی ذاته وصفاته التی هی عین
ذاته کما قال عز من قائل سنریهم ایاتنا فی الافاق وفی

انفسهم حتی یتبین لهم انه الحق اولم یکف بربک انه علی
کل شیء شهید هذا وذلک ان تجعل الباء فی بذاته هی الداخلة
علی المفعول له کما فی کریمة فبظلم من الذین هادوا حرمنا
علیهم الطیبات والمراد انه تعالی دل باثار ذاته علی ذاته
لاجل ذاته فیکون اشارة الی انه سبحانه باعتبار ذاته علة
غائیة لافعاله لانه الفاعل بذاته فهو الغایة بذاتها اذ الفاعل
بذاته هو ما لا یکون فاعلا بامر ولا لامر غیر ذاته فذاته هی
الغایة وهو الغایة بذاته ولذلک قیل انه تعالی ما احب شیئا
بالذات غیر ذاته المقدسة وان احب غیره فانما احب بتبعیة
محبة ذاته لانه من توابعها فکل ما هو اقرب الیه کان احب عنده
فیرجع محبته لما سواه الی محبته لذاته کما یدل علیه ما ورد
فی الحدیث ان الله جمیل یحب الجمال فلا نظر له الی غیره [من حیث انه غیره]
بل نظره الی ذاته والی افعاله فقط ولیس فی الوجود الا
نفسه وافعال نفسه وصنایعه واثاره وکلها راجع الیه

وهو غاية كل شئ فلا يتجاوز محبته ذاته وتابع ذاته من حيث
هو متعلق بذاته فهو اذاً لا يحب الا ذاته فذاته هي الغاية و
هو الغاية بذاته

وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ

تبعد يقال تنزه تنزها اذا بعد وتنزيه الله تبعيده عما
لا يجوز عليه من النقايص وكلمة عن للمجاوزة والمجانسة
المشاركة في الجنس والاتحاد فيه بان يكون جنس واحد
مشتركا بين الواجب وبين مخلوقاته كاشتراك الحيوان
بين الفرس والانسان وذلك واضح البطلان اما اولا
فلاستلزامه التركيب المنافي للوجوب الذاتي لان كل جنس
ماهية مبهمة في ذاتها محصلة بفصلها فالفصل علة
لتحصلها وتعينها وانطباقها على حقيقة واحدة من
الحقايق المندرجة تحتها وهذه الاجزاء لا تكون واجبة
لذواتها فتكون ممكنة فالمحتاج اليها اولى بان يكون ممكنا

وهذا

وهذا في نفي التركيب الخارجي تمام واما نفي التركيب الذهني
فبان يقال وجود الجنس والفصل واحد لصحة الحمل و
هما متحدان فوجودهما لا يكون عينهما وقد ثبت ان
وجود الواجب عينه فلا يجوز كونه مركبا واما ثانيا
فلاستلزامه ان لا يكون الواجب علة لمخلوقاته المشاركة
له في ذلك الجنس وذلك لما تقرر ان الطبيعة الواحدة
لا يمكن ان يكون بعض افرادها علة لبعض اخر لذاته
لانه لو فرض كون نار مثلا علة لنار فعلية هذه و
معلولية تلك اما النفس كونهما نارا فلا رجحان لاحديهما
في العلية وللاخرى في المعلولية بل يلزم ان يكون كل
نار علة للاخرى بل علة لذاتها وهو محال وان كانت
العلية لانضمام امر اخر فلم يكن ما فرضناه علة علة بل
العلة ذلك الامر فقط لعدم الرجحان في احديهما
للشرطية والجزئية ايضا لاتحادهما من جهة المعنى

المشترك وكك لو فرض المعلولية لاجل ضميمة فتبين ان
جاعل الشئ يستحيل ان يكون مشاركا له وبه يعرف
ان كل كمال وكل امر وجودى يتحقق فى الموجودات
الامكانية فنوعه وجنسه مسلوب عنه تعالى ولكن
يوجد له ما هو اعلى واشرف منه اما الاول فلتعاليه
عن النقص وكل مجعول ناقص والا لم يكن مفتقرا الى جاعل
وكذا ما يساويه فى المرتبة كاحاد نوعه وافراد جنسه واما
الثانى فلان معطى كل كمال ليس بفاقد له بل معدنه ومنبعه
وما فى المجعول رشحه وظله واما ثالثا فلان كل ممكن زوج
تركيبى حادث زائدة صفاته على ذاته وهو اما جوهر
او عرض والواجب بخلاف ذلك فانه بسيط حقيقى
واحد من جميع الجهات قديم صفاته عين الذات ومنه
يعلم انه ليس بجوهر فانه ماهية اذا وجدت فى الخارج
كانت لا فى الموضوع فوجوده زائد على ذاته ويحتمل ان

يكون

يكون المراد بالمجانسة هنا المماثلة اذ الجنس قد يطلق على
ما يعبر عنه فى المنطق بالنوع واهل اللغة يسمونه ايضا جنسا
وقد يطلق على الكثير والقليل كالماء الذى يقال على القطرة
والبحر وقد يطلق على نفس الحقيقة ومفهوم المسمى من غير
اعتبار ماصدق عليه من الافراد كما يقال الجنس الرجل
افضل من جنس المراة فيكون الغرض نفى وجدانه تعالى
بالتمثيل وذلك ان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود
لذاته لان المثلية اما ان يتحقق من كل وجه فلا تعدد
اذن لان التعدد يقتضى المغايرة بوجه ما وذلك ينافى
المثلية والاتحاد من كل وجه واما ان يتحقق من بعض الوجوه
وح ما به التماثل اما الحقيقة او جزئها او امر خارج عنها
فان كان الاول كان ما به الامتياز عرضا للحقيقة لازما
او زائلا لكن ذلك باطل لان المقتضى لذلك العرض اما
الماهية فيلزم ان يكون مشتركا بين المثلين لان مقتضى

ما يطلق عليه

الماهية الواحدة لا تختلف فما به الامتياز لاحد المثلين
عن الاخر حاصل للاخر او غيرها فيكون ذات واجب
الوجود مفتقرة فى تحصيل ما يميزها عن غيرها الى امر خارجى
واما ان كان ما به التماثل والاتحاد جزء من المثلين لزم كون
كل منهما مركبا فبقى ان يكون التماثل بامر خارج عن حقيقتهما
مع اختلاف الحقيقتين لكن ذلك باطل اما اولا فلامتناع
وصف واجب الوجود بامر خارج عن حقيقته لاستلزام
اثبات الصفة الخارجة عنه له تثنيته وتركيبه واما
ثانيا فلان ذلك الامر الخارجى المشترك ان كان كمالا
لذات واجب الوجود فواجب الوجود مستفيد للكمال
من غيره وان لم يكن كمالا كان نقصانا لان الزيادة على
الكمال نقصان فثبت ان كل ما له مثل فليس بواجب الوجود
لذاته وهذه الاحتمالات على تقدير ابقاء المجانسة هذا الاحتمال آت نخ
على معناها الاول وهو الاتحاد فى الجنس لا الاتحاد فى

النوع لان المثل فى اللغة يقال لاى مشاركة كانت كما صرح
به الراغب ولما لم يكن الله تعالى داخلا تحت جنس لبرائته
من التركيب المستلزم للامكان ولا تحت نوع لافتقاره
الى التخصص بالعوارض الى غيره لا جرم لم يكن له مثل
كيف ولو كان للواجب مثل لكان ممكنا معلولا لامتناع
تعدد الواجب ولا يمكن ذلك لامتناع معلولية
احد المثلين للاخر اذ العلة لا بد ان يكون اقوى من
المعلول فانه ظل للعلة والقول بجواز كون ذلك المثل
معلولا لمعلوله لا معلوله بلا واسطة مقدوح اذ المحذور
ح اخس كما لا يخفى وبالجملة وجوب الوجود يدل على
سرمديه الواجب ونفى الزايد والشريك والمثل و
التركيب بمعانيه والضد والتحيز والحلول والحوادث
فيه والحاجة والالم مطلقا واللذة المزاجية والاحوال
والصفات الزائدة وامكان الوجود على خلاف ذلك

فكيف يتصور المشاركة الجنسية والحال هذه بين الوجوب
والامكان الذاتيين هذا والخلق في الاصل مصدر
بمعنى التقدير يقال خلقت الاديم للسقاء اذا قدرته له
قبل القطع ثم استعمل في ايجاد الشئ وانشائه على غير
مثال سبق فقيل خلق الله الاشياء خلقا باعتبار الايجاد
على وفق التقدير الذي اوجبته الحكمة ثم اطلق على
المخلوق من باب اطلاق المصدر على اسم المفعول مجازا
وفي هذه الفقرة الشريفة ايماء لطيف الى فساد عقيدة
قوم قالوا انه تعالى جسم يجلس على العرش ويزيد عليه
من كل جانب ستة اشبار بشبر نفسه وانه ينزل في كل
ليلة جمعة الى حمار وينادي الى الصباح هل من تائب
هل من مستغفر وحملوا ايات التشبيه كقوله تعالى
الرحمن على العرش استوى والسموات مطويات بيمينه
خلقت بيدي يد الله فوق ايديهم بل يداه مبسوطتان يوم

يكشف

يكشف عن ساق يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله و
الارض جميعا قبضته يوم القيمة وجاء ربك والملك صفا
صفا كل شئ هالك الا وجهه وجوه يومئذ ناضرة الى
ربها ناظرة الى غير ذلك من الايات على ظواهرها والسبب
في ذلك حمقهم وقلة تميزهم اذ الضرورة قاضية بان
كل جسم لا ينفك عن الحركة والسكون وقد ثبت انهما
حادثان وان ما لا ينفك عن الحادث حادث فيلزم حدوثه
تعالى عن ذلك وكل حادث محتاج الى المؤثر فيكون
الواجب محتاجا اليه فلا يكون واجبا وقد تمادى
اكثرهم في الغي الى ان قالوا انه تعالى يجوز عليه المصافحة
وان المخلصين في الدنيا يعانقونه وقال بعضهم اعفوني
عن الفرج واللحية واسئلوني عما وراء ذلك وقال
ان معبوده ذو لحم ودم وجوارح واعضاء وانه بكى
على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة

لما اسبلك ومن المشبهة من قال انه تعالى نور متلألؤ
كالسبيكة البيضاء طوله سبعة اشبار بشبر نفسه
ومنهم من قال انه على صورة انسان فنهم من قال انه
شاب امرد جعد قطط ومنهم من قال انه شيخ اشمط
الراس واللحية تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا ومثل
هولاء قوم اثبتوا لله تعالى صفات زائدة على ذاته قديمة
هى العلم والارادة والحيوة والكلام والسمع والبصر و
التكوين والبقاء والوجود الموصوف به واخرون
اثبتوا له احوالا اربعة هى العالمية والقادرية والحيثية
والموجودية وزعموا انها ثابتة مع الذات فى الازل و
زاد بعضهم خامسة هى علة للاربعة مميزة للذات هى
الالهية واخرون جوزوا ان يكون الله تعالى محلا
للحوادث وهذا كله منهم كذب بحت وتشبيه الله تعالى
بمخلوقاته كما يدل عليه العقل والنقل منه ما رواه فى

الكافى بسند كاد ان يكون صحيحا فان محمد بن عيسى بن
عبيد اليقطينى وان ضعفه قوم الا انه وثقه النجاشى
وهو يروى عن حماد عن جرير عن محمد بن مسلم عن ابى
جعفر ع انه قال فى صفة القديم انه واحد صمد احدى
المعنى ليس بمعانى كثيرة مختلفة قال قلت يزعم قوم من
اهل العراق انه يسمع بغير الذى يبصر ويبصر بغير الذى
يسمع قال فقال كذبوا والحدوا وشبهوا تعالى الله
عن ذلك انه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع
قال قلت يزعمون انه بصير على ما يعقلونه قال فقال
تعالى الله انما يعقل ما كان لصفة المخلوق وليس الله
كذلك انتهى قوله عليه السلام

وجل عن ملائمة كيفياته

جل يجل جلالة فهو جليل عظم والجليل والحقير ضد
والملائمة المجامعة والموافقة يقال لام ولائم بين

الشيئين اذا جمع بينهما ووافق وتلائم الشيئان والتاما
بمعنى وفي حديث ابن مكتوم لي قائد لا يلائمني اي يوافقني فائدة
ويساعدني والكيف عرض لا يقتضي لذاته قسمة ولا لا قسمة
ولا نسبة واقسامه اربعة مشهورة المحسوسة والاستعدادية
والنفسانية والمختصة بالكم واضافة الكيفيات الى الضمير
العائد اليه لادنى ملابسة وهو علاقة العلية والمعلولية تعالى
اي الكيفيات التي صنعها وخلقها وفيه دليل على المدعى
لان تلك الكيفيات لما كانت من مصنوعاته تعالى فكيف
تلائمه وتناسبه والمصنوع لا يلائم الصانع بل بينهما
مباينة كلية والكيفية منسوبة الى الكيف اي الحال المنسوبة
الى كيف وهو الاستفهام عن الحال والتانيث باعتبار
الحال التي هي مؤنث سماعية والمراد انه تعالى اجل واعظم
من ان يجامع كيفية من كيفياته بان يكون موضوعا ومعروضا
لكيفية من الكيفيات الامكانية الخلقية الحادثة لامتناع

كونه

كونه محلا للحوادث ولما سبق في الفقرة السابقة ولو كانت
تلك الكيفيات ازلية والازلي عندهم لا يكون اثر الجاعل
لزم استنادها الى الذات على وجه الايجاب ولذا قال
سيدنا الصادق ع ان الله لا يوصف بالكيف وكيف اصفه
بالكيف وهو الذي كيف الكيف حتى صار كيفا فعرفت
الكيف بما كيف لنا من الكيف ولكن في حديث الزنديق
الذي اتاه عليه السلام وسأله عن مسائل التوحيد انه
قال فله كيفية قال عليه السلام لا لان الكيفية جهة الصفة
والاحاطة ولكن لا بد من الخروج عن جهة التعطيل والتشبيه
لان من نفاه فقد انكره ورفع ربوبيته وابطله ومن
شبهه بغيره فقد اثبته بصفة المخلوقين المصنوعين
الذين لا يستحقون الربوبية ولكن لا بد من اثبات
ان له كيفية لا يستحقها غيره ولا يشاركه فيها ولا يحاط
بها ولا يعلمها غيره الحديث فهو يدل على ان له تعالى

كيفية ذاتية هي نفس ذاته المجردة البسيطة ولا بد لها
غيره ولا تكون كالكيفيات الامكانية الحادثة ولعلهم الى
ذلك اشاروا بقولهم ان اللذة ادراك الملائم من حيث
هو ملائم فمن ادرك كمالا في ذاته التذ به كما يشهد به
الوجدان وكماله تعالى اجل الكمالات وادراكه اقوى
الادراكات فوجب ان يكون لذاته اقوى اللذات
هذا ما ذهب اليه الفلاسفة واما المتكلمون فقد اطلقوا
القول بنفي اللذة عنه تعالى اما لاعتقادهم نفي اللذات العقلية
او لعدم ورود ذلك في الشرع ويرد على الفلاسفة انهم
ان ارادوا ان الحالة التي يسمونها اللذة هي نفس ادراك
الملائم فغير معلوم وان ارادوا انها حاصلة عند ادراك
الملائم فربما يختص ذلك بادراكنا دون ادراكه تعالى
فانهما مختلفان قطعا والحق ان اللذة ليست ادراك الملائم
نفسه بل هي حالة مترتبة عليه لظهور ان السرور ليس نفس

تخيل

تخيل المحبوب بل مترتب عليه وايضا قد يبقى ادراك
الملائم بحاله ولا تبقى اللذة على حدها بل تضعف او
تفنى كما في ابصار الوجه اذا تكرر واستمر فاللذة ليست
نفس الادراك فتعريفها به مسامحة هذا وقيل قوله
لا يستحقها غيره الى آخره احتراز عن توهم ان المراد
بالكيفية المعنى المعروف لغة وعرفا وهو الهيئة الحاصلة
للشيء باعتبار اتصافه بالصفات التابعة للحدوث
الموجبة لتغير موصوفاتها وتأثر موضوعاتها فان هذا
المعنى ممتنع في شأن الواجب بالذات جل جلاله وقد
وقع التصريح بنفيها عنه تعالى في غير موضع من كلامهم
عليهم السلام فمنه قول امير المؤمنين صلوات الله عليه في
خطبة لا تقع الاوهام له على صفة ولا تعقد القلوب
منه على كيفية وقوله عليه السلام لما وحده من كيفه اي
وصفه بكيفية وقول الباقر ع ليس لكونه كيفية ولا

لانه كان اول بلا كيف ويكون آخرا بلا اين وعن ابي عبد الله
كيف اصف ربي بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف
بخلقه وهو في اخبارهم عليهم السلام كثير جدا قال بعض
علمائنا قول امير المؤمنين ع ما وحده من كيفه دل
بالمطابقة على سلب التوحيد عمن وصفه بالكيفية
وبالالتزام على انه لا يجوز تكيفه لمنافاة ذلك للتوحيد
وبيانه انهم رسموا الكيفية بانها هيئة قارة في المحل لا
يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة الى امر خارج عنه
ولا قسمة في ذاته ولا نسبة واقعة في اجزائه فتبين ان
وصفه بها يستلزم تشبيهه اذ هي صفة زائدة على الذات
وهو تعالى ليست له صفة تزيد على ذاته فينافي ثبا نه
له توحيده **يا من قرب من خواطر الظنون**
اي القلوب والعقول والاضافة لامية والمراد بقربه منها
انها قابلات قادرات لادراكه ومعرفته بافعال ذاته وآثار

صفاته فان كل عاقل يرى على نفسه نعمة متوالية مترادفة ظاهرة
بالمنة تارة كبيرة واخرى صغيرة وتارة صحة واخرى سقما
وتارة عسرا واخرى يسرا فاذا راجع نفسه علم ان له
مقلبا يقلب احواله ومغيرا يغيرها وانه يخطر بباله انه لا
يأمن ان يكون له صانع صنعه ومدبر دبره ان اطاعه
اثابه وان عصاه عاقبه فيحصل له الخوف وهو ضرر
يجب دفعه ولا يمكن الا بالنظر فاذا نظر نظرا صحيحا
اداه الى معرفته ومنه يعلم ان النظر واجب ويمكن ان
يكون اشارة الى ان اصل معرفته تعالى فطري بديهي
ويحتمل ان يكون اضافة الخواطر الى الظنون اضافة
المجرد الى القطيفة يعني انه تعالى قريب من الظنون
الخاطرة بالقلوب او المراد انه تعالى عالم بذات الصدور
لا حجاب بينه وبينها فهو قريب علما وبعيد ذاتا
والخاطر الهاجس والجمع خواطر خطر بباله وعليه خطورا

ذكره بعد نسيان واخطره الله كذا في القاموس وقيل الخاطر
ما يرد على القلب ويمر بالبال مما لبس للعبد فيه تعمل
وهو اقسام رحماني وهو ما كان باعثا على ما فيه
صلاح وقربة ويسمى الهاما ونفساني وهو ما فيه حظ
النفس ويسمى هاجسا وشيطاني وهو ما يدعو الى
مخالفة الحق ويسمى وسواسا وقال بعض العلماء الخاطر
اربعة اقسام رباني وهو اول الخواطر وهو ما لا يخطي
ابدا وقد يعرف بالقوه والتسلط وعدم الاندفاع با
الدافع وملكي وهو الباعث على مندوب او مفروض
وبالجملة كل ما فيه صلاح ويسمى الهاما ونفساني
وهو ما فيه حظ للنفس ويسمى هاجسا وشيطاني
وهو ما يدعو الى مخالفة الحق قال الله تعالى الشيطان
يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء وقال النبي صلعم لمة
الشيطان تكذيب بالحق وايعاد بالشر ويسمى وسواسا

ويعتبر

ويعتبر بميزان الشرع فما فيه قربة فهو من الاولين وما فيه
كراهة او مخالفة الشرع فهو من الآخرين ويشتبه
في المناجات فما هو اقرب الى الهوى وموافقة النفس
فهو من الآخرين والصادق الصافي القلب الخاطر — الحاضر خ د
القلب مع الحق سهل عليه الفرق بينهما بتيسير الله — بتيسير الله خ د
وتوفيقه وقال بعضهم الخواطر التي لا يشعر بتفصيلها
اذا خالفت اوامر الله قد تستتبع حركة بعض الجوارح
الى فعل خارج عن حدود الله ايضا وذلك وان
كان لا يوجب اثرا في النفس ولا يوخذ الا انه ربما
يقوى بقوة اسبابه وكثرتها فيقطع العبد عن سلوك
سبيل الله كما في حق المتمكنين في لذات الدنيا المجربين — المنهمكين له
لها فان احدهم ربما دام التشبه بمن يصلي الفرض
فيصلي الصلوة الواحدة مرتين او مرارا ولا يثبت
عدد ركعاتها وسجداتها والتوبة والاستغفار عن مثل

ذلك يجذب العبد عن الاسباب الموجبة لما انتهى والمراد
ههنا ما يخطر بالجنان اما من قبل الرحمن بان ياتيه ملك
الى ناحية صدره ويقول في سمع عقله كلاما خفيا
بان لك صانعا صنعك ومدبرا دبرك فيجب عليك
النظر لمعرفته واما من قبل الشيطان بان ياتيه بعض اباليسه
فيمنعه عن ذلك ويسد عليه طريقه بوسوسته
والظنون كالفنون جمع ظن فقد يراد به اعتقاد راجح
غير جازم وقد يطلق على ما يقابل اليقين كما قاله
الشيخ في منطق الاشارات وعلى اليقين نفسه كما
روى عن الرضا عليه السلام في حديث للمامون
انه قال معنى فظن ان لن نقدر عليه استيقن ان لن
نقدر عليه وقد يقال انه من الاضداد فيطلق على
الراجح والمرجوح معا وعلى الثاني حمل ان نظن
الا ظنا وان الظن لا يغني من الحق شيئا وان بعض الظن

اثم وهو بهذا المعنى يرادف الوهم وهذا هو المناسب
للمقام لان العقول وان كانت في ادراك ما سوى الله
كاملة بالغة كنه الاشياء وحقايق الامور على ما هي
عليه في نفس الامر الا انها فيما يتعلق بذات الله وصفاته
تعالى كالظنون والاوهام حيث انها لا تبلغ كنه الامور
وحقيقتها بل تحكم احكاما غير مطابق للواقع قرئ بين
يدي العالم عليه السلام لا تدركه الابصار وهو يدرك
الابصار فقال عليه السلام انما عنى ابصار القلوب
وهي الاوهام فقال لا تدركه الاوهام كيفيته
وهو يدرك كل وهم واما عيون البشر فلا تلحقه
لانه لا يحد ولا يوصف هذا وما نحن عليه كلنا
ولذا قال عليه السلام

وَبَعُدَ عَنْ مُلاحَظَةِ الْعُيُونِ

البعد بين الشيئين انما يطلق على اقصر المسافات

بينهما او على مسافة لا اقصر منها لا على الاول فقط الا
يرى ان بعد المركز من المحيط هو نصف القطر مع انه
ليس اقصر الخطوط الواصلة بينهما وقد عرفت ان القرب
والبعد بالاضافة اليه تعالى ليس مكانيا مسافتيا لانه
من صفات الاجسام وهو تعالى عن ذلك ومنه
يعلم انه لا يمكن رؤيته تعالى لان المرئيات بين ان
تكون جسما او عرضا حالا فيه وقد ثبت انه تعالى
ليس كذلك وكلمة عن للمجاوزة وهي متعلقة بمحذوف
اى بعد بعدا متجاوزا عن ملاحظة العيون والملاحظة
المفاعلة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذى يلى
الصدغ واما الذى يلى الانف فالموق والماق وفيه
من المبالغة ما لا يخفى لان المرئى اذا كان للمبصر قفا
مشكلا ادراكه يجمع الرائى نور عينه الى ذلك الشق
رجاء ان يدركه فاذا كان الله تعالى لتجرده وعدم تحيزه

بعيدا

بعيدا عن تلك الملاحظة ايضا فلا محالة يمتنع ان تدركه
العيون لان الافراط فى البعد يمنع عن الرؤية والعيون
الابصار والبصر قوة مرتبة فى العصبة المجوفة مدركة
لما يقابل العين بتوسط جرم شفاف لا بخروج شعاع
يلاقى المبصرات ولا بانعكاسه ولا بانطباع الصور
المرئية فى الرطوبة الجليدية ولا فى ملتقى العصبتين المجوفتين
ولا بالاستدلال لبطلان ذلك كله كما بين فى محله
بل بمقابلة المستنير للعين السليمة وهى ما فيها رطوبة
صافية شفافية مرآتية فح يقع للنفس علم اشراقى حضورى
على ذلك المبصر المقابل لها فتدركه النفس مشاهدة
والمراد انه تعالى لكونه مجردا غير ذى وضع ولا متحيز
لا بالذات ولا بالعرض تمتنع رؤيته ولا تدركه العيون
والابصار ولا تحيط به الاوهام قال صاحب التعليقات
جلت له الفدا وحين سئله رجل يقال له ذعلب

دعلب نخ

هل رأيت ربك ويلك يا ذعلب ما كنت اعبد ربا
لم اره فقال كيف رأيته قال ويلك لم تره العيون بمشاهدة
الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان وبالجملة
الرؤية يستلزم كون المرئي اما جسما او جسمانيا ذا جهة
وحيز يكون بينه وبين الرائي هواء ينفذه البصر فاذا
لم يكن بينهما هواء وعدم الضياء الذي هو شرط الرؤية
لم تصح الرؤية بالبصر فالادراك المخصوص المعلوم بالوجه
الممتاز عن غيره لا يمكن ان يتعلق بما ليس في جهة والا
لم يكن للبصر فيه مدخل بل المدخل فيه للعقل فلا وجه
ح لتسميته ابصارا فالقول بجواز رؤيته تعالى عن ذلك
منزها عن المقابلة والجهة والمكان ليس مما يحمله العقل
بل هو محض الهذيان واستدل في المشهور على نفي امكان
رؤيته تعالى بان المرئي بالبصر يجب ان يكون في جهة
وهو تعالى منزه عنها والا وجب كونه عرضا او جوهرا

جسمانيا

جسمانيا وهو مح واعترضه الغزالي بان احد الاصلين
من هذا القياس مسلم وهو ان كونه في جهة يوجب المحال
ولكن الاصل الآخر وهو ادعاء هذا اللازم على اعتقاد
الرؤية ممنوع فنقول لم قلتم انه ان كان مرئيا كان في
جهة من الرائي أعلمتم ذلك ضرورة ام بنظر لا سبيل
الى دعوى الضرورة واما النظر فلا بد من بيانه ومنتهاه
انهم لم يروا الى الآن شيئا الا وكان في جهة من الرائي
مخصوصة ولو جاز هذا الاستدلال لجاز للمجسم ان
يقول ان الباري تعالى جسم لانه فاعل فانا لم نر الى الآن
فاعلا الا جسما وحاصله يرجع الى الحكم بان ما شوهد
وعلم ينبغي ان يوافقه ما لم يشاهد ولم يعلم واجيب بان
دعوى كون المرئي بهذه العين مطلقا يجب ان يكون
في جهة ليس مبناها على ان المرئيات في هذا العالم
لا يكون الا في جهة حتى يكون من باب قياس الغائب

على الشاهد بل النظر والبرهان يؤديان اليه وهو ان
القوة الباصرة التي في عيوننا قوة جسمانية وجودها
وقوامها بالمادة الوضعية وكل ما وجوده وقوامه بشيء
فقوام فعله وانفعاله بذلك الشيء اذ الانفعال والفعل
بعد الوجود وفرعه اذ الشيء يوجد اولا اما بذاته
او بغيره ثم يؤثر في شيء او يتأثر عنه فكل ما كان وجود
القوة بنفسها متعلقا فيه بمادة جسمانية بما لها من الوضع
كان تأثيرها او تأثرها ايضا بمشاركة المادة ووضعها
بالقياس الى ما تؤثر فيه او تتأثر عنه فلاجل ذلك بان يحكم صح
البصر لا يرى الا ما له نسبة وضعية الى محل فالباصرة و
السامعة لا تبصر ولا تسمع الا ما وقع منها في جهة او
اكثر فهذا هو البرهان قال السيد نظام الدين احمد
قدس سره في رسالته لاثبات الواجب تعالى قد ثبت
في محله انه يجوز ان تعلم بعض النفوس المجردة الالهية

الكاملة ذات الواجب تعالى بالعلم الحضوري الذي
هو عبارة عن مشاهدة ذاته من غير تكيف ولا مماسة
ولا محاذاة واذا جاز ذلك فما المانع من قول من يجوز
رؤيته تعالى في الآخرة فان الرؤية في الحقيقة عن مشاهدة عبارة صح
حضورية ولا يشترط فيها وقوعها بالجارحة المخصوصة
بل بعض القائلين بجوازها صرح بان رؤيته تعالى لا يجب
ان تكون بتوسط تلك الجارحة المخصوصة قال في شرح
التجريد لا يلزم من نفي الرؤية مطلقا اذ يمكن ان يرى بالبصر نفي الرؤية صح
لا بتلك الجارحة المخصوصة كما هو المدعى فان المثبتين
لرؤيته تعالى يدعون ان الحالة المخصوصة التي تحصل
لنا بالبصر في الدنيا وتسمى رؤية تحصل لنا في تلك النشأة
بعينها بالنسبة اليه تعالى من غير توسط تلك الجارحة
انتهى ويؤيد ما ذكرناه ما قال المعلم الثاني في فصوصه
من ان كل ادراك يحصل بلا واسطة استدلال فهو المخصص

باسم المشاهدة وكل ما لا يحتاج في ادراكه الى الاستدلال
فهو ليس بغائب بل هو شاهد فادراك الشاهد هو
المشاهدة والمشاهدة اما بمباشرة وملاقاة وهذا هو
الرؤية والحق الاول تعالى لا يخفى عليه ذاته وليس ذلك
بالاستدلال فحاذ على ذاته مشاهدة كمالية من ذاته فاذا
تجلى لغيره مغنيا عن الاستدلال وكان بلا مباشرة ولا
مماسة كان مرئيا لذلك الغير فانه صريح فيما ذكرناه فان
قلت اذا كانت المشاهدة الحضورية هي الرؤية فلا مانع
منها في هذه النشأة ايضا فلم اختص جواز الرؤية با
النشأة الاخرة كما هو مذهب اكثر القائلين بجوازها
قلت لعل هؤلاء لا يمنعون الجواز بل الوقوع ولعل السر
في ذلك ما صرح به بعض الاعاظم من ان النفس سيما
الكاملة المشرقة اذا شاهدت المبدء الاول والتذت
بلذات مشاهدته قل اقبالها على الجسم وعالم التجسيم

واما من غير مباشرة وملاقاة صح

وكلما

وكلما زاد اقبالها عليه نقص توجهها الى هذا العالم
فينقص توجهها الى ما تدبره من الجسم بل تعرض عنه با
الكلية فتفتت اجزاء بدنها وتفسد وتنحل تركيبه وتبطل
نظام اعضائه وانفصالها فلم يبق حيوة بدنية لاعراضها
عن البدن بالكلية فان نظام البدن واتصاله من
اثار المجرد المدبر على ما هو المشهور وبهذا يظهر تفسير
الاية الكريمة الحاكية عن سوال موسى ع فانه حيث سئل
الرؤية وهي المشاهدة الحضورية اجيب بلن تراني اي
لن تشاهدني وانت في هذه النشأة التعلقية ويؤيد
هذا ما في التورية لا يراني ابن ادم وهو حي اي في حال
حيوة البدنية فان قيل فلا يكون الرؤية مع بقاء
الحيوة في النشأة الاخرة ايضا قلت لعل البدن الذي
في النشأة الاخرة غير قابل للتفرق والتفتت او لعل
النفس لكمال قوتها التي اكتسبها في تلك النشأة اذا

شاهدت المبدء الاول فيها فاقبلت عليه اقبالا كليا
لا تعرض عن البدن بالكليه ولا يشغلها شان عن شان
ولا يخفى على الخبير ان ما ذكرنا ليس توجيها لكلام القائلين
بجواز رؤيته تعالى وهم الاشاعره فان جمهورهم صرح بان
الله تعالى يرى فى الاخرة بهذه الجارحه المخصوصه
بل هو تفسير وتاويل للايات والاخبار الداله على جواز
رؤيته تعالى ووقوعها فى النشاءة الاخرة فيكون جوابا
لاستدلالهم بتلك الايات والروايات سيما ما ذكروه
من ان طلب موسى ع الرؤية دال على جوازها والا
لزم ان يكون جاهلا بصفاته تعالى فانه انما طلب المشاهدة
الحضوريه الصرفه الخاليه عن شوب الخيالات والاوهام
لا الرؤية بالبصر ولا حاجة الى تكلفات ارتكبها القائلون
بامتناعها فافهم انتهى كلامه

وَعَلِمَ بِمَا كَانَ قَبْلَ اَنْ يَكُوْنَ

ماوان مصد تبان كان ويكون تامنان والمراد انه تعالى
كان عالما بالكون اى الوجود على ما هو عليه قبل الكون
قبلية ذاتيه او دهريه او زمانيه على الخلاف والاوسط
اوسط كما فصلنا القول فيه فى رسالتنا المعمولة لبيان
الحدوث الدهرى وذلك لان ذاته تعالى بذاته مبدء
فيضان جملة الموجودات عنه فعلمه بذاته علمه بجميع
الموجودات وانكشافها له ولا حاجة له فى ذلك الى
امر مغاير لذاته وانكشافها له انكشافا تفصيليا اذ العلم
التام بالعلة علم تام بالمعلول ومنهم من قال بان علمه
تعالى بما سواه لما كان علما حضوريا وظاهر ان حضور
الاشياء انما يمكن حين وجود ذاتها لا قبلها فلا بد
من اثبات علم له تعالى اجمالى هو عين ذاته ومقدم على
~~كافة الايجادات واما من ذهب منهم الى ان علمه تعالى~~
~~اجمالى هو عين ذاته ومقدم على كافة الايجادات~~

واما من ذهب منهم الى ان علمه تعالى بالاشياء علم حصولى
وقال بان صورها فى الازل كانت قائمة بذاته تعالى
عن ذلك اما الكليات فعلى وجهها واما الجزئيات
فعلى وجه كلى فلا حاجة لنا الى اثبات ذلك العلم الاجمالى
والظاهر من الاخبار ان علمه تعالى عين ذاته وانه كان
عالما بالاشياء قبل احداثها فلما احدثها وقع العلم
منه على ما كان معلوما له فى الازل وانطبق عليه
وتحقق مصداقه قال سيدنا ابو عبد الله الصادق ع
على ما رواه عنه ابو بصير لم يزل الله عز وجل ربنا
والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مسموع والبصر
ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور فلما احدث
الاشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم و
السمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على
المقدور ويحتمل ان يكون المراد بوقوعه عليه العلم به

على انه

على انه حاضر وكان قد تعلق به على وجه الغيبة وانه يستوجد
والتغير يرجع الى المعلوم لا الى العلم ولتفصيل المقام — المسئلة نخ
موضع اخر

يا مَن ارقدنى فى مِهادِ امنِه وامانِه

الرقد النوم كالرقاد والرقود بضمهما او الرقاد خاص
بالليل وارقده انامه ولما كانت اسباب النوم واليقظة
وايجاد الليل والنهار منه سبحانه تعالى اسند الفعل
فى الموضعين اليه مجازا فكانه تعالى كالوالد البر الرحيم
الذى ارقد ولده الصبى فى مهد امن وامان بحراسته
له وكلائته اياه عما يضره ويوذيه حكى ذو النون المصرى
انه كنت فى البيت اذ وقعت زلزلة فى قلبى وصرت بحيث
ما ملكت نفسى فخرجت من البيت وانتهيت الى شط
النيل فرايت عقربا قوية تعدو فتبعتها فوصلت الى
طرف فرايت ضفدعا واقفا على طرف الوادى فقربت — النيل ع

العقرب على ظهر الضفدع واخذ الضفدع يسبح
ويذهب فركب السفينة وتبعته فوصل الى
الطرف الاخر من النيل ونزلت العقرب عن ظهره
واخذت تعدو فتبعتها فرايت شابا نائما تحت شجرة
ورايت افعى تقصده فلما قربت الافعى من الشاب
ووصلت العقرب الى الافعى لذعته والافعى ايضا
لذعت العقرب فماتا معا وسلم ذلك الانسان انتهى
فانظر الى حسن صنعه بعباده وكيف تعلقت عنايته
بالاحسان اليهم والرحمة لهم هذا ويحتمل ان يكون محمولا
على الحقيقة كما تدل عليه مرسلة ابي منصور المذكورة
في اصول الكافي المروية عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام
قال ستة اشياء ليس للعباد فيها صنع المعرفة والجهل
والرضا والغضب والنوم واليقظة والمهد معروف
وهو الموضع الذي يهيئ للصبي ويوطاء والارض

كالمهاد

كالمهاد والارض فرشناها فنعم الماهدون الم نجعل
الارض مهادا اي بساطا ممكنا للسلوك وقيل المهاد
بالكسر الفراش وجمعه مهد ككتاب وكتب ويكون
المهاد جمع مهد ايضا كسهام وسهم ويجمع على مهود
ايضا كفلس وفلوس والاضافة من قبيل لجين الماء
حيث شبه الامن والامان بالمهاد بجامع الراحة ثم
قدم المشبه به على المشبه واضيف اليه او بيانيه
او شبه الامن والامان بفضاء متسع ثم اثبت له
المهاد ولعله الانسب بالنظر الى لفظ الجمع واما على
الاولين فلعله محمول على المبالغة او اريد به المفرد
والامن ضد الخوف وهو اطمينان القلب وسكون
البدن من عدم القلق والاضطراب الحاصل من
مصادمة المكروه وهو المؤمن العائذات الطير يمسحها
ركبان مكة بين الغيل والسند وهو الذي امن عباده

الضال والسلم

من الظلم والجور وقيل الامن عدم توقع مكروه فى المستقبل
وفى المصباح امن زيد الاسد امنا وامن منه مثل سلم
وزنا ومعنى والاصل ان يستعمل فى سكون القلب انتهى
وامانه تعالى حفظه وحراسته وكلائته عباده عن الآفات
والعاهات والبليات التى لا تقتضى حكمته جلت عظمته
اصابتها لهم وهو الذى يمسك السموات والارض ان
تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده و
لا رقاده تعالى عباده فى مهاد امنه وامانه اسباب وبواعث
من التطهر والدعوات والتعوذ بالكلمات التامات
مذكورة فى مكانها فليطلب من هناك مظانها

وَاَيقَظَنِى اِلى ما مَنَحَنِى بِهِ مِن مِنَّتِهِ وَاِحسانِهِ

اليقظه محركه نقيض النوم وايقظه نبهه ومنحه
كمنعه اعطاه والمنحه العطيه والظرف متعلق بمحذوف
اى نبهنى هاديا ومرشدا الى ما اعطانى من توفيقه

لعبادته وتاهيله لطاعته وما يحصل به المعاش وينتظم
به المعاد ولفظة من بيانيه والمنن جمع منة بالكسر بمعنى
النعمه وهو الذى اسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة
والمن العطاء وكثيرا ما يرد المن فى كلامهم بمعنى الاحسان
الى من لا تستثيبه ولا يطلب الجزاء عليه وفى القاموس
من عليه منا انعم واصطنع عليه صنيعة ومنه امنن وقيل
المنة النعمة الثقيلة وتطلق على معنيين احدهما ان
تكون بالفعل نحو من عليه انقله بالنعمة ومنه لقد من الله
على المؤمنين الثانى ان تكون بالقول وهو عدّ الاحسان
وهو مستقبح ولهذا قيل المنة تهدم الصنيعة الا عند
الكفران وقال بعض العلماء المنة تذكر المنعم المنعم عليه
بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى يا بنى اسرائيل
اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم فى غير موضع من كتابه
وهى صفة مدح للحق سبحانه وان كانت صفة ذم لخلقه

والسبب المفارق كون كل منعم سواء يحتمل ان يتوقع لنعمته
جزاء ويستفيد كمالا يعود اليه مما افاده و يفتخر بين العالم
بنعمته و يتوقع جزاء ان يمن بها او بما يستلزم المن من
التطاول بما يتاذى به المنعم عليه فيبطل بذلك استعداد
نفسه لقبول الرحمة وجزائه ولذلك ورد النهى عن المنة
فى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى فجعلهما سببا لبطلان الصدقة اى عدم استحقاق
ثوابها وفيه نظر فقد ورد فى الدعاء عنهم عليهم السلام
تنزيهه تعالى عن الامتنان بالمعنى المذكور كقول على ابن
الحسين ع فى دعائه لطلب الحوائج يا من لا يكدر عطاياه
بالامتنان وقوله فى وداع شهر رمضان ولم تشب عطاءك
بمن وذلك لان الامتنان بالمعنى المذكور لما كان رذيلة
ناشئة عن دنائة النفس وصغر الهمة واستعظام النعمة
والاحسان كان تعالى منزها عنه لان كل نعمة من نعمه تعالى

وان عظمت

وان عظمت وكل عطية من عطاياه وان جلت بالنسبة
الى العبد والمنعم عليه فهى حقيرة بالنسبة الى عظمته تعالى
وشانه جلت قدرته اجل ان يكون لها عنده موقع
فيمن بها ويعتد على من اعطاه وانعم عليه فقوله ان
المن بالمعنى المذكور صفة مدح للحق سبحانه وان كان
صفة ذم للمخلوق ليس بشئ وعبارة الدعاء تشهد ببطلانه
واعلم ان النوم حالة تعرض للحيوان من استرخاء اعصاب
الدماغ من رطوبات الابخرة المتصاعدة بحيث تقف
الحواس عن افعالها لعدم انصباب الروح الحيوانى
اليها واليقظة زوال تلك الحالة وتفصيله ان الروح
الحيوانى وهو الجوهر البخارى اللطيف الحاصل من
لطيف الاغذية المنتشرة فى الاعضاء والعروق و
بسببه يحصل للاعضاء قوة الحس والحركة وهو مركب
الروح الانسانية اذا انتشر فى جميع اعضاء البدن

ظاهره وباطنه حصل الحس والحركة وهذا هو اليقظه
وان بقى فى الباطن ولم يصل الى الظاهر تعطلت الحواس
الظاهره وهذا هو النوم وبقاؤه فى الباطن يكون
لاسباب منها طلب الاستراحة عن كثرة الحركة ومنها
تحلله بسبب الافعال الكثيرة الصادرة من الحواس
فتشتغل الطبيعة بنضج الغذاء ليستمد الروح من لطيفه
ومنها انسداد المجارى فان الانسان اذا شرب الشراب
مثلا انضاعدت الجذبه من المعده الى الدماغ ونزلت
الى الاعضاء فامتلات المجارى وانسدت فلا يقدر
الروح على النفوذ كما ينبغى وربما كان اكل الطعام موجبا
للنوم لهذا السبب

وَكَفَّ اَكُفَّ السُّوءِ عَنِّي بِيَدِهِ وَسُلْطَانِهِ

حيث اعاذنى حين ما انا منى من شر ما ذرء ومن شر
ما برء ومن شر كل دابة هو اخذ بناصيتها من الحيات

والعقارب

والعقارب والحيات والهوام وغيرها من الموذيات الانسية
والجنية والكف المنع يقال كففت الرجل عن الشئ
فكف يتعدى ولا يتعدى وهو الذى كف ايديهم
عنكم والاكف جمع كف وهى الراحة مع الاصابع سميت
بذلك لانها تكف الاذى عن البدن وفى القاموس
الكف اليد او الى الكوع والجمع اكف وكفوف انتهى و
قال المرقش الاكبر يصف النساء النشر مسك والوجوه
دنانير واطراف الاكف عنم وفيه تجنيس محرف كما فى
جنة البرد جنة البرد وبيانه انه اذا اختلف لفظا
المتجانسين فى اعداد الحروف بان يكون حروف احدهما
اكثر من الاخر بحيث اذا حذف الزايد اتفقا فى النوع
والهيئة والترتيب سمى الجناس ناقصا لكن ههنا
بعد الحذف يصير محرفا لانحراف هيئة احد اللفظين
عن هيئة الاخر والسوء بضم السين المهملة وفتحها

ما يسوؤك ويشينك وقرئ قوله تعالى عليهم دائرة السوء بالوجهين
وقيل هما لغتان من ساء يسوء اذا قبح غير ان المفتوح غلب
في ان يضاف اليه ما يراد ذمه والمضموم جرى مجرى الشر
وكلاهما في الاصل مصدر وبالضم اسم منه وقيل المفتوح وقيل بالفتح مصدر
الرداءة والفساد والمضموم الشر والضرر وقيل السوء
في الاصل مصدر ساءه يسوءه اذا حزنه يطلق على جميع
المعاصي سواء كانت من اعمال الجوارح او افعال القلوب
لاشتراك كلها في انها تسوء صاحبها بعواقبها او الطرفان
متعلقان بكف ويده تعالى قدرته لانها تستعمل مجازا
تارة في القدرة واخرى في النعمة وعن الباقوري اليد
في كلام العرب القوة والنعمة والسماء بنيناها بايد
بقوة ولفلان عندي ايادي كثيرة فواضل واحسان
وله عندي يد بيضاء اي نعمة والسلطان مصدر
بمعنى الغلبة والتسلط والقدرة ومنه قوله تعالى فانفذوا

لا تنفذون الا بسلطان اي بقوة وقهر وغلبة وقد يجئ
بمعنى الحجة والدليل لتسلطه على القلب واخذه بعنانه
فالعطف تفسيري او قريب منه وفي الكلام استعارة
مكنية وتخييلية ومجاز مرسل وترشيح له وهو قوله
كف والترشيح غير مختص بما يقترن بلفظ المشبه به و
لا بالاستعارة المبنية على التشبيه لتصريحهم بان
الطول لكن ترشيح للمجاز المرسل الذي في اليد ولا تشبيه
فيه اصلا واما تعبيرهم له بذكر ما يلائم المشبه به فانما تعبيرهم و د
هو في الترشيح الذي في التشبيه وكذا ما ذكروا
من الاقتران بلفظ المشبه به فالمراد انه كذلك فيما اذا كان
في الكلام تشبيه صرح بذلك بعض المحققين والاولى
ان يكون ذلك جاريا على سنن التمثيل الذي يسميه
اهل البيان تمثيلا تخييليا اي الايقاع في الخيال
بتصوير المعاني العقلية بصور اعيان الحسية لكونها

اظهر حضورا واكثر خطورا وهذا ما قال الحكماء ان الناس
للتخييل اطوع منهم للتصديق فاكثروا من استعمال القضايا
المخيلة في مقام الترغيب والترهيب والاستعطاف والاستماحة
ونحو ذلك وهي وان كانت ترى بحسب الظاهر كاذبة
فليست بكاذبة لان القصد منها تشبيه تلك الحال
بحال من تعرض له تلك الصورة المحسة مثلا مثل حال
كلائه وتسلطه وقدرته تعالى على دفع الافات والعاهات
والمؤذيات عن العباد بحال من تكون له يد يكف بها
الاذى عن غيره فيحفظه ويحرسه من غير ان يذهب
بها الى جهة حقيقة بالنسبة اليه تعالى كما يذهب اليه المجسمة
او مجاز بان يراد باليد القدرة وانما المراد بالمفردات
في مثل ذلك حقايقها في نفسها كما في قولك اراك
تقدم رجلا وتؤخر اخرى لكن لا بالنسبة الى الممثل
له بل بالنسبة الى الممثل به وهو باب جليل في علم البيان

وعليه

وعليه يحمل كثير من متشابهات القران كقوله تعالى والارض
جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه وقوله
والسماء بنيناها بايد قال صاحب الكشاف ان ذلك
تمثيل وتصوير لعظمته تعالى وتوقيف على كنه جلاله
من غير ذهاب بالقبضة واليمين والايدي الى جهة
حقيقة او مجاز بل يذهب الى اخر الزبدة والخلاصة
من الكلام من ان يحمل بمفرداته حقيقة او مجازا كقوله غير مع
تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه
مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور يد ولا غل
ولا بسط وشدد النكير على من تاول القبضة با
الملك واليمين واليد بالقدرة وقال انه من ضيق
العطن والمسافرة من علم البيان مسافة اعوام
قال وكم اية من ايات الله في التنزيل وحديث من
احاديث الرسول قد ضيم وسيم الخسف بالتاويلات

العنه والوجوه الرثه واعتذر الشيخ عبد القاهر من تاويلهم
القبضة بالملك واليد بالقدرة ونحو ذلك بان الغرض
منه ان لا يقع السامع في التشبيه والتجسيم ريثما يتنبه على
كون الكلام للتصوير والتمثيل صَلِّ اللّهُمَّ
عَلَى الدَّلِيلِ اِلَيْكَ فِى النَّيْلِ الاَقْبَلِ
لما كانت النفوس البشرية في الاغلب منغمسة في العلايق
البدنية الحاصلة بسبب تدبير البدن وتكميله مكدرة
بالكدورات الطبيعية الناشية من القوة الشهوية و
الغضبية وكان ذات المفيض عز اسمه في غاية التنزه
عنها ولم يكن بينهما بذلك مناسبة موجبة لفيضان
كمال وجب عليها في استفاضة الكمالات واستنجاح
المطالب والحاجات من تلك الحضرة المنزه التوسل
الى متوسط يكون ذا جهتي التجرد والتعلق ليقبل
ذلك المتوسط الفيض منه بتلك الجهة الروحانية التجردية

ويقبل

ويقبل النفس منه بهذه الجهة الجسمانية التعلقية فلذلك
وقع منه ع في مقام التعليم التوسل الى المؤيد بالرياستين
مالك ازمة الامور في الجهتين والى اتباعه الذين قاموا
مقامه بافضل الوسايل واكمل الفضايل اعني الصلوة
اصالة عليه وعليهم تبعا فقال يا من هذا الذي ذكرنا
شانه صل عليه وعليهم على ان يكون اللهم بدل يا من
دلع واخواته المذكورة او هو استيناف كلام وما قبله
تعداد صفات تقدمها للوسيلة على طلب الحاجة و
الصلوة اصلها الدعاء لكنها منه سبحانه مجاز في
الرحمة والمشهور انها منه تعالى الرحمة وعن الملائكة
الاستغفار ومن المؤمنين الدعاء وقال بعض المحققين
والمحققون انها تستعمل في قدر مشترك بينها وهو الامداد
لان المدد كما يصل من فوق بالافاضة يصل من تحت
بالاستفاضة وانما عدلنا عن المشهور لاستلزامه

الاشتراك والمجاز خير منه والمناقشة بان العطف فى قوله تعالى
اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة يدل على
مغايرتهما ولذا جعلها بعضهم بمعنى الرضوان مدفوعة
بان التصريح بالحقيقة بعد ارادة المجاز يفيد تقوية المقصود
على ان العطف لا يدل على المغايرة مطلقا فان من اقسامه
عطف الشىء على مرادفه وقد عدّ بعضهم منه الاية
وقوله انما اشكو بثى وحزنى الى الله وقوله لا ترى فيها
عوجا ولا امتا وغاية السؤال بالصلوة عايدة الى
المصلى كما تدل عليه صحيحة صفوان بن يحيى المذكورة
فى الكافى فى باب العطاس قال كنت عند الرضا ع
فعطس فقلت صلى الله عليك وقلت له جعلت فداك
اذا عطس مثلك يقال له كما يقول بعضنا لبعض يرحمك الله
او كما نقول قال نعم قال اليس تقول صلى الله على
محمد وال محمد قلت بلى قال ارحم محمدا وال محمد قال

بلى

بلى وقد صلى عليه ورحمه وانما صلواتنا عليه رحمة
لنا وقربة وهى تدل على ان الله تعالى قد اعطاه من اعلاء
الكلمة وعلو الدرجة ورفع المنزلة ما لا يؤثر فيه
صلوة مصل ولا دعاء داع وقد اوضحنا الكلام فيه
فى تعليقاتنا على الايات الاحكامية المنسوبة الى الفاضل
الاردبيلى ره وقيل بل غاية الصلوة طلب زيادة
كماله صلى الله عليه واله وقربه من الله اذ مراتب استحقاق
نعم الله عز وجل غير متناهية وقيل معنى الصلوة عليه
تعظيمه فى الدنيا باعلاء كلمته وابقاء شريعته و
فى الاخرة بتضعيف مثوبته والزيادة فى رفع درجته
وهل تجب الصلوة عليه عند ذكره على الذاكر والمذكور
عنده ظاهر كثير من الاخبار الوجوب لقوله صلى الله
عليه واله من ذكرت عنده ولم يصل على دخل النار
وقوله من ذكرت عنده فنسى الصلوة على خطى به طريق

الجنة وقوله من ذكرت عنده ولم يصل علي فدخل
النار فابعده الله الوجوب لمكان الوعيد الدال عليه
وهو مختار الصدوق والمقداد من اصحابنا والطحاوي
من العامة وقال الزمخشري وهو الذي يقتضيه الاحتياط
ومنهم من اوجبها في كل مجلس مرة ومنهم من اوجبها
في العمر مرة وهذه اقوال لا مستند لها فالقول بها
تحكم والاولى وجوبها عند كل ذكر للاخبار الكثيرة
الصريحة بالامر بها كلما ذكر والاصل في الامر الوجوب
واما القول بالاستحباب مطلقا كما ذهب اليه جماعة
مستدلين بالاصل والشهرة المستندين الى عدم
تعليمه ص للمؤمنين وتركهم ذلك مع عدم وقوع نكير — للمؤذنين خ
عليهم كما يفعلون الان ولو كان لنقل ففيه ان عدم
التعليم ممنوع وكذا عدم النكير كعدم النقل لما في الكافي
عن الباقر ع اذا اذنت فافصح بالالف والهاء وصل

على النبي ص

على النبي ص كلما ذكرته او ذكره ذاكر في اذان وغيره على
ان عدم النقل لا يدل على عدمه واصالة البراءة لا
يصح التمسك بها بعد ورود القران والاخبار
هذا واسمه تعالى من حيث هو اسمه يتعلق به اهتمام
واعتناء وقد تعرض له بحسب المقامات عناية اخرى
كقصد الاختصاص مثلا فاذا اجتمعت العنايتان
كما في التسمية قدم لا محالة واذا انفردت الاولى
عن الثانية فان لم يعارضها ما هو اولى بالاعتبار
قدم ايضا والا فلا كما في اقرء فانه قد عارضها
العناية بالقراءة مع رعاية الاصل الذي هو تقديم
العامل وهذا بعينه ما نحن بصدد بيانه فانه قد
عارضها العناية بالصلوة عليه ولزم مع رعاية الاصل
فلاجرم قدمه عليه وكذا الحال في فقرات الغابرة و — في سائر خ
المشهور ان اللهم اصله يا الله حذف منه حرف النداء

وعوض عنه المیم المشدده ولذا لا یجتمعان وهذا من خصائص هذا
الاسم کدخول یا علیه مع لام التعریف والدلیل فعیل
من دله علی الطریق اذا هداه الیه وارشده له وعلی
الدلیل متعلق بصل وهو من ابنیة المبالغة یعنی کلما
تکررت الضلالة من السالك تکررت منه الدلالة له
الهدایة وانما علق الصلوة علی کونه دلیلا وما سکاد
غیرهما مما سیاتی غب هذا البدل بذلك علی ان
استحقاقه لها انما هو لاتصافه بتلك الاوصاف للصلوة لخ
ولذا ترك التصریح بالاسم وهو الاعرف والاشهر
ادا لوجه فیه ادعاء تعیینه وان الوهم لا یذهب والاوصاف
هذه الی غیره ثم الظاهر انه علیه واله السلام دلیل
وضعی وان کانت دلالته لفظیه لانه انسان کامل
بعثه الله الی خلقه لتبلیغ احکامه وتبیین کلامه
وتعیین مرامه یا ایها النبی انا ارسلناك شاهدا

ومبشرا

ومبشرا ونذیرا وداعیا الی الله باذنه وسراجا منیرا او
لما ضمنه معنی الهادی او الداعی عداه بالی والافعال
استعماله بعلی والیك یتعلق به وفیه حذف وایصال
ای الی معرفتك ورضوانك وقربك وجنانك ودلیل
الحذف هو العقل واما تعیین المحذوف فلانه المقصود
الاصلی من بعثة الرسل او فیه تمثیل تخییلی علی
قیاس ما مر فی الفقرة السابقة یعرفه من له ادنی مسکة
بالبیان اذا تامله والالیل تاکید علی طریقة ظل ظلیل
وداهیة دهیاء وشعر شاعر وحقیقته انهم یشتقون
من لفظ الشیء الذی یریدون المبالغة فی وصفه
ما یتبعونه تاکیدا وتنبیها علی تناهیه فی ذلك و
ذلك انه صلعم قد بعث علی فترة من الرسل واختلاف
من الملل وانقطاع من السبل ودروس من الحکمة
وطموس من اعلام الهدی والبینات فبلغ رسالة

دينه وصدع بامره وادى الحق الذى عليه فهو دليل الله
وسلم به يرتقى اليه صلى الله عليه وسلم قال صاحب الدعاء جعلت
له الفداء بعث الله محمدا الاعجاز علته وتمام نبوته ماخوذا
على النبيين ميثاقه مشهودة بسماته كريما ميلاده واهل
الارض يومئذ ملل متفرقة واهواء منتشرة وطرائق
متشتتة بين مشبه لله بخلقه او ملحد فى اسمه او مشير
الى غيره فهداهم من الضلالة وانقذهم بمكانه من الجهالة
انتهى واليه يشير قوله جل وعلا هو الذى بعث
فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم و
ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال
مبين وسياق فى ذلك كلام ابسط من ذلك انشاء الله
تعالى وفى الكلام استعارة مصرحة حيث شبه الفترة
وما فيها من البدعة والجهالة والضلالة بالليل
لكونه جاعلا صاحبه كمن يمشى فى الظلمة فلا يهتدى

للطريق

للطريق ولا يامن ان ينال مكروها ثم ذكر المشبه به وارادة
المشبه وفيه دلالة على ان هذا الدليل انما ظهر من قبيلة
ما كانوا من اهل العلم بل كان من بلدة ما كان فيها
احد من العلماء بل كانت الجهالة غالبة عليهم فاذا
خرج من هذه البلدة ومن مثل هذه القبيلة انسان
من غير ممارسة شئ من العلوم ولا تلمذ احد من
العلماء ثم بلغ فى معرفة ذات الله وصفاته وافعاله
واسمائه الى هذا المبلغ الذى عجز جميع الاذكياء
من العقلاء عن القرب منه بل اقروا واطرا بانه لا يمكن
ان يزداد فى تقرير الدليل على ما ورد فى القران
ثم ذكر قصص الاولين وتواريخ المتقدمين بحيث
لم يتمكن احد من الاعداء ان يقول انه اخطا فى
شئ منها او طالع كتابا او تلمذ استادا او كان
هذه الاحوال الظاهرة معلومة للاصدقاء والاعداء

فكل من له قلب سليم وطبع مستقيم اذا تأمل ادنى تأمل
يعلم ان هذه الاحوال لا تتيسر الا بالنعائم الالهية
والهدايات الربهانية والى ذلك يشير بقوله وامسك

مِنْ اَسْبَابِكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الأَطْوَلِ

عطف على الدليل وكذا ما يأتي من الجملتين معطوفان
عليه من باب عطف الصفات بعضها على بعض لاتحادها
في الموصوف وتغايرها في المفهوم ويوجد في بعض
النسخ المتمسك يقال مسك به وامسك ومسك و
تمسك احتبس واعتصم به والمسكة بالضم ما يتمسك
به والمسيك كالبخيل وزنا ومعنى من يمسك ما في
يده ولا يعطيه احدا وكلمة من تبعيضية والسبب في
الاصل حبل يتوصل به الى الماء ثم استعير لكل ما
يتوصل به الى المطلوب من القدرة والعلم والالة و
غيرها وهذا معنى ما ورد في بعض الادعية يا مسبب الاسباب

من غير سبب

من غير سبب واتيناه من كل شيء سببا وتقطعت بهم
الاسباب اي الوصل والمودات والعرب تشبه النور
الممتد بالحبل ومنه ما ورد في صفة القران كتاب الله
حبل ممدود من السماء الى الارض اي نور ممدود يعني
نور هداه وفي خبر اخر وهو حبل الله المتين اي عهده
وامانه الذي يؤمن من العذاب والحبل العهد والميثاق
واضافة الحبل الى الشرف اضافة الذهب الى الاصل
والشرف بفتحتين القدر والقيمة والرفعة والعلو
ومنه الاستشراف وهو ان تضع يدك على حاجبك
وتنظر كالذي يستظل من الشمس ليتبين الشيء ليستبين ود
كانه ينظر اليه من موضع مرتفع فيكون اكثر لادراكه
شرف ككرم وهو شريف وشرفه تشريفا اعلاه
واصله من الشرف وهو المكان المشرف العالي ثم
استعمل في القدر والمنزلة مجازا قال في الاساس

ومن المجاز لفلان شرف وهو علو المنزلة وشرفه الله والمراد
بالطولية انه اشرف من ساير الكتب السماوية واجمع منها
علما وبيانا وهو معجزة دونها فهو حبل وثيق عروته
ومعقل منيع ذروته وفي الكلام استعارة مصرحة
حيث انه استعار له الحبل من حيث ان التمسك سبب
للنجاة عن الردى كما ان التمسك بالحبل للسلامة عن
الردى واستعار للوثوق به والاعتماد عليه التمسك
والاعتصام ترشيحا للمجاز فاعتصموا بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا هذا اذا كان المراد بحبل الله كتابه واما
اذا كان المراد دينه فشرافته والطولية ظاهرة لانه
لما كان خاتم النبيين كانت شريعته الغراء وملته البيضاء
باقية الى يوم الدين او يقال ان الحبل الاطول كناية
عما هو اقوى واحكم في الايصال الى المطلوب والاول
هو المتبادر والمتساق الى الذهن وهو الاكمل

والناصح

والناصع الحسب في ذروة الكاهل الاعبل

الناصع الخالص من كل شيء ومن الالوان احسنها ونصع
الامر نصوعا وضح ولونه اشتد بياضه ويقال للذي فيه
حمرة من الصفرة احمر ناصع والحسب في الاصل الشرف
في الآباء وما يعده الانسان من مفاخرهم وقيل الحسب
والكرم يكونان في الرجل وان لم يكن له آباء لهم شرف
والشرف والمجد لا يكونان الا بالآباء ومنه الحديث
حسب الرجل نقاء ثوبه اي انه يوقر لذلك حيث هو
دليل الثروة والجدة وبالجملة الحسب عبارة عن شرف
الانسان ومكارمه ومناقبه كالشجاعة والسخاوة
وحسن الخلق قال رسول الله صلى الله عليه وآله
آفة الحسب الافتخار اي ان الافتخار يهدم الحسب
لذا قال سيد البشر على ما ورد عنه في الخبر انا سيد
ولد آدم ولا فخر والذروة بالكسر والضم اعلى سنام

البعير وذروة كل شيء اعلاه ومنه الحديث على ذروة
كل بعير شيطان وكاهل البعير مقدم ظهره وهو الذي
يكون عليه المحمل والمذكور في كتب الادب انه ما بين الكتفين
ويجمع على كواهل ويقال فلان كاهل بني فلان اي عمدتهم
في الملمات واسندهم في المهمات وفي القاموس الكاهل
كصاحب الحارك او مقدم على الظهر مما يلي العنق وهو
الثلث الاعلى وفيه ست فقر او موصل العنق في الصلب
والعبل الضخم من كل شيء والعبلاء حجارة بيض قال الشاعر
كانما لا شيها الاعبل فكانما استعير البياض لخلوص
الحسب والنسب والخلق والخلق ولما كان الناصع
ماضيا لم يعمل او يقال انه مضاف الى الحسب بناء
على تقدم اعتبار الاضافة على دخول اللام كما هو
مذهب الفراء واضافة الذروة لامية والاعبل صفة
الكاهل والمعنى صل اللهم على من وضحت وخلصت مفاخره

الجسمانية

الجسمانية والروحانية من شائبة نقص وقدح حال كونهما
ثابتة في اعلى محل واشرف موضع واحفظ مكان لا يمكن
ان تناله يد طاغية فتشبيه الحسب وهو من المعاني   طاغية يد
المعقولة بالاجسام المحسوسة تشبيه معقول بمحسوس
مبالغة في وضوحه وظهوره وعدم خفائه كانه امر
محسوس مشاهد وكذا في اسناد الخلوص والوضوح
اليه وكونه في ذروة الكاهل ثم في وصفه بالعبل عدة
تاكيد ومبالغة في وضوحه وعدم امكان انكاره و
القدح فيه كيف وله بابي وامي صلى الله مفاخر غزيرة   عليه وآله ع
ومآثر كثيرة لا يحيط بها احد ولا يحصيها عد فان الحجر
لا يترف وسر الغيب لا يعرف منها تسبيح الحصى وحنين
الجذع واشباع الخلق الكثير من الطعام اليسير وانشقاق
القمر ونبوع الماء من بين اصابعه وشكاية الناقة   وشهادة ع
الشاة المسمومة وتكلم الضب وظل الغمام ورؤيته من خلفه

وسماع الصوت نائما والتكلم بكل لسان والعلم بالسنة
الطيور والوحوش وكل ما يدب على الارض وما كان
من حال ابي جهل وصخرته حين اراد ان يضرب على
راسه وما كان من شاة ام معبد حين مسح على ضرعها
وانه ما كان للدنيا في قلبه وقع اصلا وكان مع اهلها
في غاية الترفع ومع الفقراء واهل المسكنة والدين
في غاية التواضع وكان في اعلى مراتب الفصاحة
والبلاغة حتى اوتيت جوامع الكلم ولم يسمع منه لا قاله
في مهمات الدين ولا في مهمات الدنيا كذب قط و
لم يقدم على قبيح قط ولم يفر من عدوه قط وكان في وكان عظيم الرأفة بامته
اعلى درجات السخاء حتى عوتب بلا تبسطها كل حتى كاد ان يذهب نفسه
عليهم حسرات
البسط وقصة فداء عباس لما اسر يوم احد ودعاء
الشجرتين في قتال بني قريظة لما اراد قضاء الحاجة و
ضمان الظبية من صيادها وشفاء رمد ابن عمه صلوات الله

عليهما

عليهما والهما يوم خيبر بريقه الى غير ذلك من مفاخره
وماثره الغير المحصورة مشهورة وفي كتب السير والاخبار
مسطورة ويمكن ان يكون قوله صلوات الله عليه في فدوه
الكامل الاعبل اشارة الى انه صلى الله عليه وآله مع انه كان خالص
الحسب وواضح النسب كان في ظل حماية عمه ابي طالب
واسمه عبد مناف ولقبه عمران وكفف رعايته وهو
الذي تسود القريش بعد ابيه عبد المطلب ورعى النبي
صلى الله عليه وآله حق رعايته وحماه جدا وكف عنه اذى المشركين و
شر المنافقين فكان كاهل قومه وعمدتهم في الملمات
وسندهم في المهمات ففي الكافي في رواية صحيحة وحسنة
على المشهور بابراهيم بن هاشم القمي عن ابن ابي عمير
عن هشام بن الحكم عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام بينما
النبي صلى الله عليه وآله في المسجد الحرام عليه ثياب له جدد فالقى المشركون
عليه سلا ناقة فملؤا ثيابه بها فدخله من ذلك ما شاء الله

فذهب الى ابي طالب فقال يا عم كيف ترى حسبي فيكم فقال
وماذاك يا ابن اخي فاخبره الخبر فدعا ابو طالب حمزة و
اخذ السيف وقال لحمزة خذ السلا ثم توجه الى القوم
والنبي معه فاتى قريشا وهم حول الكعبة فلما راوه عرفوا
الشر في وجهه ثم قال لحمزة امر السلا على اسبلتهم ففعل
ذلك حتى اتى على اخرهم ثم التفت ابو طالب الى النبي ص
فقال يا ابن اخي هذا حسبك فينا وفيه عنه ع قال لما
ولد النبي ص مكث اياما ليس له لبن فالقاه ابو طالب
على ثدي نفسه فانزل الله فيه لبنا فرضع منه اياما حتى
وقع ابو طالب على حليمة السعدية فدفعه اليها وفيه عنه ع
قال لما توفي ابو طالب نزل جبرئيل ع على رسول الله ص
فقال يا محمد اخرج من مكة فليس لك بها ناصر وثارت
قريش بالنبي ص فخرج هاربا حتى جاء الى جبل بمكة يقال
له الحجون فصار اليه والاخبار والقصايد في ذلك من

طرق العامة والخاصة اكثر من ان تحصى روى الثعلبي
في سورة الانعام في تفسير قوله تعالى وهم ينهون عنه
وينأون عنه باسناده قال قال مقاتل نزلت في ابي
طالب واسمه عبد مناف وذلك ان النبي ص كان
عند ابي طالب يدعو الى الاسلام فاجتمعت قريش
الى ابي طالب يريدون سوءا بالنبي ص فقال ابو طالب
والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك
منك عيونا ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد صدقت
وكنت قبل امينا وعرضت دينا لا محالة انه من خير
اديان البرية دينا والى ذلك اشار عليه السلم بقوله
والناصح الحسب في ذروة الكاهل الاعبل

وَالثَّابِتِ الْقَدَمِ عَلَى زَحَالِيفِهَا فِي الزَّمَنِ الْاَوَّلِ

الثبات القرار وعدم العثرة في العاثور والقدم معروفة

وهو الرجل كما في القاموس مؤنث سماعي والالف و
اللام فيها عوض عن المضاف اليه اي قدمه وحمل كلمة
على على معنى مع يعطي من المبالغة ما لا يعطيه حملها
على معناها يعرفه العاقل اذا تأمله والزحاليف كا
الاكاليب والزحلوفة موضع تزل فيه الاقدام ولا
تكاد تثبت بوجه وفي القاموس الزحلوفة مكان منحدر
مملس وفي مجمع البحرين الزحاليف جمع زحلوفة وهي
المكان المنحدر الاملس ومنه في صفة الثابت
القدم على زحاليفها في الزمن الاول اي قبل النبوة
والضمير للدنيا وان لم يجر لها ذكر لمعلوميتها والكلام
استعارة انتهى والاضافة لامية والزمن لفظ مفرد
مقصور من الزمان كم ديم ودم وفي الزمن الاول
يتعلق بالثابت والمعنى صل اللهم على من كانت قدمه
ثابتة مع وجود مزالها في الزمن الاول فان حملت القدم

على ما هو

على ما هو المعروف منها وهو الرجل فالمراد بالزمن
الاول صدر الاسلام قبل شوكته كيوم الاحد ويوم
الاحزاب فانه عليه وآله السلام كان قوي القلب فارسا
كميا شجاعا في الحروب محاميا واثقا بالله وبمواعيده
لم يفر من احد من اعدائه قط لا قبل النبوة ولا بعدها
وان عظمت البلية وشدت المحنة الا ما كان فيه مأمورا
من الله بالهرب والفرار لضرب من المصلحة كهربه من قريش
في ليلة الغار وعلى هذا فثبات قدمه كناية عن شجاعته
من ذكر الملزوم وارادة اللازم فان ثبات القدم في باب ٤
المخاطر والمهالك ادل دليل واقوى امارة على
الجرأة والشجاعة وقوة القلب والجسارة فهو كقولك الجسارة نزد
زيد طويل النجاد او كثير الرماد تريد به طول قامته
وغاية جوده وسخائه وكثرة طبخه وضيافته وان
حملتها على قدم الذهن وثبات الفكر على سبيل الاستعارة

بالكناية والتخييل والترشيح فيحتمل ان يكون المراد بالزمن
الاول ما قبل بعثته فان هذا الزمان كان زمان
فترة وجاهلية والناس فيه كانوا عابدي اصنام
لهم عاكفين عليها ساجدين لها وهو عليه وآله السلام
كان عارفا بالله وبصفاته العليا واسمائه الحسنى ولم
يسجد لصنم اصلا كما قال انتهت الدعوة الي والى
علي لم يسجد احدنا لصنم فاتخذني نبيا واتخذ عليا
وليا هكذا رواه ابن المغازلي الشافعي في تفسير كريمة
لا ينال عهدي الظالمين وتفصيل هذه الجملة
ان الخلق عند مقدمه صلى الله عليه وآله كانوا بين
من عليه اسم الشرايع وغيرهم اما الاولون فاليهود و
النصارى والمجوس وكانت اديانهم اضمحلت من ايديهم
وانما بقوا متشبهين باهل الملل وقد كان الغالب
عليهم دين التشبيه ومذهب التجسيم كما حكى القران

الكريم عنهم وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله
واحباؤه وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله والمجوس اثبتوا اصلين اسند والى
احدهما الخير والى الثاني الشر وسموهما النور والظلمة
وبالفارسية يزدان واهرمن وزعموا انه جرت بينهما
محاربة ثم ان الملائكة توسطت واصلحت بينهما على ان
يكون العالم السفلي خالصا لاهرمن الذي هو الظلمة
سبعة آلاف سنة ثم يخلي العالم ويسلمه الى يزدان
الذي هو النور الى غير ذلك من هذيانهم وخبطهم
واما غيرهم من اهل الاهواء المنتشرة والطرائق المتشتتة
فمنهم العرب اهل مكة وغيرهم وقد كان منهم معطلة
ومنهم محصلة نوع تحصيل اما المعطلة فصنف منهم
انكروا الخالق والبعث والاعادة وقالوا بالطبع
المحيي والدهر المفني وهم الذين حكى القران عنهم و

قالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيي وما يهلكنا
الا الدهر وقصروا الموت والحيوة على تحلل الطبايع
المحسوسة وتركبها فالجامع هو الطبع والمهلك هو
الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون و
صنف منهم اقروا بالخالق وابتداء الخلق عنه وانكروا
البعث والاعادة وهم المحكي عنهم في القران الحكيم
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام
وهي رميم وصنف منهم اعترفوا بالخالق ونوع من
الاعادة ولكنهم عبدوا الاصنام وزعموا انها
شفعاؤهم عند الله ويعبدون من دون الله ما
لا يضرهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ومن
هؤلاء قبيلة ثقيف وهم اصحاب اللات بالطايف وقريش
وبنو كنانة وغيرهم اصحاب العزى ومنهم من كان يجعل
الاصنام على صور الملائكة ويتوجه بها الى الملائكة

ومنهم من كان يعبد الملائكة واما المحصلة فقد كانوا
في الجاهلية على ثلثة انواع من العلوم احدها علم الانساب
والتواريخ والاديان الثاني علم تعبير الرؤيا الثالث
علم الانواء وذلك مما يتولاه الكهنة والقافة منهم
وعن النبي صلعم من قال مطرنا بنوء كذا فقد كفر بما انزل
على محمد ومن غير العرب البراهمة من اهل الهند ومدار
مقالتهم على التحسين والتقبيح العقليين والرجوع
في كل الاحكام الى العقل وانكار الشرايع وانتسابهم
الى رجل منهم يقال له براهام ومنهم اصحاب البددة
والبدد عندهم شخص في هذا العالم لا يولد ولا
ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت ومنهم
اصحاب الفكرة وهم اهل العلم منهم بالفلك واحكام
النجوم ومنهم اصحاب الروحانيات الذين اثبتوا وسائط
روحانية تأتيهم بالرسالة من عند الله في صورة البشر

من غير كتاب فنامرهم وتنهاهم ومنهم عبدة الكواكب
ومنهم عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر وهولاء يرجعون
بالاخرة الى عبادة الاصنام اذ لا تتم لهم طريقة الا
بشخص حاضر ينظرون اليه ويرجعون فى مهماتهم اليه
ولهذا كان اصحاب الروحانيات والكواكب يتخذون
اصناما على صورها فكان الاصل فى وضع الاصنام
ذلك اذ يبعد ممن له ادنى فطنة ان يعمل خشبا او حجرة
بيده ثم يتخذه الها الا ان الخلق لما عكفوا عليها و
ربطوا حوائجهم بها من غير اذن شرعى وبرهان
من الله كان عكوفهم عليها وعبادتهم لها اثباتا
لالهيتها ووراء ذلك من اصناف الاراء الباطلة
والمذاهب العاطلة المزلة للاقدام اكثر من ان تحصيها
لسان الاقلام او يعلمها الا الله العلام واليه الاشارة
بقوله ع والثابت القدم على نجائها فى الزمن الاول

ويمكن

ويمكن ان يكون المراد بهذا الزمان بدو فطرته واول
زمان خلقته ص فانه اول من اقر بربوبيته تعالى
ووحدانيته على ما دلت عليه اخبار جمة صحيحة منها
ما روى عن ابى عبد الله ع ان بعض قريش قال لرسول الله
باى شئ سبقت الانبياء وانت بعثت اخرهم وخاتمهم فقال
انى كنت اول من امن بربى واول من اجاب حيث اخذ الله
ميثاق النبيين واشهدهم على انفسهم الست بربكم فكنت
اول نبى قال بلى فسبقتهم بالاقرار بالله عز وجل ويحتمل
ان يكون اشارة الى عصمته وطهارته ص وعدم خطائه
فى امر الدين والدنيا من مهده الى لحده والله اعلم بمقاصد
اوليائه فان كلامهم صعب مستصعب ذو وجوه ومخارج
لا يعقلها الا العاقلون — العالمون د

وعلى اله الاخيار المصطفين الابرار

ال الرجل اهله وعياله وال النبى ص عند الامامية عترته

الطاهرة من اهل العصمة عليهم السلام ولا وجه لتخصيص
الشهيد الثاني في شرحه على اللمعة باصحاب الكساء وهم
علي وفاطمة وابناهما الحسن والحسين عليهم السلام ثم قال
ويطلق تغليبا على باقي الائمة عليهم السلام اقول بل على
غيرهم ايضا كما ورد عنه ص ان كل تقي ونقي آلي الا ان آله
كل من يؤول اليه اما مآلا صوريا جسمانيا كالاولاد و
من يحذو حذوهم من اولاده الصوريين الذين تحرم عليهم
الصدقة في شريعته او مآلا معنويا روحانيا كالاولاد
الروحانيين من العلماء الراسخين الاولياء الكاملين و
الحكماء المتالهين المقتبسين من مشكوة انواره سبقوه
بالزمان او لحقوه ولا شك ان النسبة الثانية آكد من
الاولى واذا اجتمعت النسبتان كما في الائمة المشهورين
من عترته الطاهرة عليهم صلوات الله الزاكية النامية كان
نورا على نور وكما حرم على الاولاد الصورية الصدقة الصورية

حرم على اولاده المعنوية الصدقة المعنوية وهي تقليد الغير
في العلوم والمعارف وفي نهج البلاغة عن معدن الفصاحة
سلام الله عليه ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا
به ثم تلا ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا
النبي ص والذين امنوا والله ولي المؤمنين ثم قال صلوات
الله عليه ان ولي محمد من اطاع الله وان بعدت لحمته
وان عدو محمد من عصى الله وان قربت قرابته وللعامة
في آله ص اختلافات فقيل الذرية وقيل عشيرته وقيل
من حرم عليه الزكوة من بني هاشم وعبد المطلب وفي
هذا الكلام دلالة ظاهرة على ان الخبر المشهور من فصل
بيني وبين آلي بعلي لم ينله شفاعتي لا صحة له ولم نجده
في اصل بل ولا في كتاب معتبر ومنهم من قرء المكتوب
بصورة علي علي ع اسمه وحمل الباء على السببية واراد
من فصل بيني وبين آلي بسبب عداوته وخصومته لعلي ع

فلم ينله شفاعتي والظاهر انه على تقدير ثبوته لا بد من حمله
على هذا اذ من المستبعد جدا ان يكون لمجرد ايراد كلمة
على بينه وبين آله يلزم الحرمان من شفاعته كيف والمحروم
هو الكافر ويؤيده ما في رواية اخرى من فرق بيني وبين
اخي علي فرق الله بين راسه وجسده يوم القيمة وفيها
ايماء لطيف الى انه ع من اكمل افراد آله واشرفهم حيث صار
منهم بمنزلة راسهم من جسدهم ويحتمل ان يكون هذا اشارة
الى قوله ص علي مني بمنزلة راسي من جسدي على ان ادعية
المنقولة عنهم عليهم السلام وخصوصا السجادية منها
ولا سيما ما نقل عنه ع من ملحقات الصحيفة الكاملة
من ادعية ايام الاسبوع مشحونة باعادة الخافض والفصل
بينه وبين آله بايراد كلمة على وهو المطابق لقواعد
اهل الادب قال فخر المحققين ولد العلامة طاب الله
ثراهما في جواب من سئله عن جماعة من اصحابنا وفيهم

من ينسب

من ينسب الى اهل العلم اذا ذكر بحضورهم سيدنا رسول الله
وقيل صلى الله عليه وعلى آله يعلى يكرهون ذلك غاية الانكار
ويقولون لا يفصل بين النبي وآله بعلى مع ان النحاة
ذكروا ان العطف على المخفوض بغير اعادة الخافض ضعيف
فهل ورد في هذا امر مخصوص يخالف ما عليه النحاة
ام يقول اصحابنا وجه لا وجه لهذا القول بل القول
ما قاله النحاة ولولا اتباع النقل لما جاز الا باعادة الخافض
على انه ورد في كثير من الادعية عنهم عليهم السلام صلى الله
على محمد وعلى آله عنادا وتعصبا لان تركها شعار الرفضة
فذكرها خير من تركها انتهى وفيه دلالة على ان الشيعة
يحافظون على تركها ويلازمونه بحيث صار ذلك بمنزلة
شعارهم وهذا منهم كذب محض وافتراء عليهم وهم براء
منه قال صدر الدين محمد المشهور بسيد علي المدني
واما ما زعمه بعضهم من ان الشيعة تلزم عدم اعادة

برك

انتهى وقال الفاضل الاردبيلي
في آيات احكامه ان العامة انما
يذكرون كلمة على بعد قوله صلى
الله عليه وعلى آله ع

الخافض وهو علي في مثل هذه العبارة لحديث ماثور به
وهو من فصل بيني وبين الي بعلي فقد جفاني فزعم محض
لا عين له ولا اثر اذ لا تعرف الشيعة هذا الخبر ولم ترد
به رواية من طرقهم ولم يذكروه لا مسندا ولا منقطعا
في شيء من كتبهم كيف والادعية الماثورة عن اهل البيت
عليهم السلام مشحونة باعادة الخافض في مثل ذلك انتهى
وقد فصلنا القول فيه في تعليقاتنا فليطلب من هناك

تنبيه
واذ قد ثبت جواز الفصل بينه وبين الضمير
باعادة الخافض وهو علي في غير صورة العطف على الضمير
المخفوض فجوازه في هذه الصورة اولى لمنع جمهور البصريين
عن العطف على الضمير المخفوض من دون اعادة الخافض
وايجابهم اعادته فيه نعم ذهب الكوفيون ويونس والاخفش
الى عدم وجوب الخافض في ذلك واختاره الشلوبين
وصححه ابن مالك وابو حيان وجرى عليه ابن هشام في شرح

الشذور والتوضيح لثبوت ذلك في فصيح الكلام كقراءة حمزة
واتقوا الله الذي تسائلون به والارحام بخفض الارحام
عطفا على الضمير المخفوض بالباء وحكاية قطرب ما فيها
غيره وفرسه بخفض الفرس عطفا على الهاء المخفوضة
باضافة غير اليها وقول الشاعر فاذهب فما بك والايام
من عجب بخفض الايام عطفا على الكاف المخفوضة بالباء
والى ذلك اشار ابن مالك بقوله في الخلاصة

وعود خافض لدى عطف على   ضمير خفض لازما قد جعلا
وليس عندي لازما اذ قد اتى   في النظم والنثر الصحيح مثبتا

والاخبار جمع خير بالتشديد ككيس واكياس او جمع خير
بتخفيف كعين واعيان وهما بمعنى واحد اي كثير الخير
وقيل المخفف في الجمال والميسم والمشدد في الدين
والصلاح والاول هو الاشهر قال الجوهري رجل
خير وخير مخفف ومشدد انتهى والخير قيل هو شيء من

اعمال القلب نوراني زائد على الايمان وغيره من الصفات
المرضية يدل على ذلك حديث انه يخرج من النار من
قال لا اله الا الله وكان في قلبه ما يزن مثقال ذرة
من خير وقيل هو الوجود ويطلق على غيره بالعرض
وهو اما خير مطلق كوجود العقل لانه خير محض لا
يشوبه شر ونقص واما خير مقيد كوجود كل من الصفات
المرضية وقيل هو ما يطلبه ويؤثره ويختاره كل عاقل
وهو ينقسم الى خير بالذات وخير بالعرض فالاول هو
الحقيقي ويرجع الى الوجود البحت والموجود بما هو
موجود كالعلم والايمان الحقيقيين والثاني ما هو
وسيلة الى الاول كالعبادة والزهد وقيل هو ما
يتشوقه كل احد بلا تشوبه وهو المختار من اجل نفسه
والمختار غيره لاجله فان الكل مطلبه بالحقيقة الخير
وان كان قد يعتقد في الشر انه خير فيختاره فقصده

الخير ويضاده الشر وهو المحوي من اجل نفسه والمحوي
غيره من اجله والحق ان الخير كلي مندرج تحته جميع الاعمال
الصالحة كما يدل عليه قول امير المؤمنين علي عليه السلام افعلوا الخير
ولا تحقروا منه شيئا فان صغيره كبير وقليله كثير ويؤيده
ما في بعض الاخبار يخرج منها اي من جهنم قوم لم يعملوا
خيرا قط وهؤلاء الذين ليس معهم الا الايمان انتهى و
يقابله الشر فيكون كليا يندرج تحته جميع الاعمال السيئة
والمصطفين جمع المصطفى اي المختار اسم مفعول من اصطفى
قلب الياء الفا وحذف يعني انه تعالى اختارهم للامامة
والخلافة واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فكانوا خير امة
اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
والابرار جمع بر كارباب او جمع بار كاصحاب والبر هو
العطوف المحسن وقد يكون بمعنى الصادق ومنه بر
يمين فلان اذا صدق وصدق فلان وبر ويقال بر الرجل

ببر برا مثل علم يعلم علما فهو بر بالفتح وبار وهو خلاف
الفاجر وقيل هو كثير البر اى كثير الخير والاتساع فى الاحسان
قال الطبرسى هو الذى بر الله بطاعته اياه حتى ارضاه
وهم عليهم السلام ابرار بجميع هذه فانهم من اصدق الناس المعانی ٢
لهجة واعطفهم عليهم لطفا واحسانا والخير منهم معروف
وهم بالاحسان موصوف وقد بروا الله بطاعتهم اياه
حتى ارضوه ولما قدم الوسيلة على طلب الحاجة تقربا
للمرام الى مقام المسئلة قال **وَافْتَحِ اللّهُمَّ لَنا**
مَصارِيعَ الصَّباحِ بِمَفاتِيحِ الرَّحْمَةِ وَالفَلاحِ ع
عطف على صل اللهم وفى بعض النسخ بى وهو الانسب
بالفقرة الاتية الا ان التعميم فى الدعا اقرب الى الاجابة
من التخصيص اذا دعا احدكم فليعم لانه اوجب للدعاء ثم
لما كان من شرايط اجابته تسمية الحاجة ان الله تبارك
وتعالى يعلم ما يريد العبد لكنه يحب ان يبث اليه الحوائج

وكان

وكان هذا الدعاء موضوعا للاستفتاح فى الصباح
صرح بذلك اشارة الى ذلك والفتح ازالة الاغلاق و
والمصراعان من الابواب والشعر ما كانت قافيتان
فى بيت وبابان منصوبان ينضمان جميعا مدخلهما فى الوسط بينهما
والمفتاح آلة الفتح وهى ما يفتح به المغلاق والمفتح مثله
وكانه مقصور من الاول وجمع الاول مفاتيح والثانى
مفاتح بغير ياء ثم استعير لما يتوصل به الى الامر ومنه قوله
تعالى عنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو قال الراغب
يعنى ما يتوصل به الى غيبه المذكور فى قوله تعالى عالم
الغيب لا يظهر على غيبه احدا والباء فيها للآلة كما فى
ضربت بالسوط وكتبت بالقلم والفلاح البقاء والفوز
والظفر وهو من افلح كالنجاح من انجح وهذا التركيب
وما يشاركه فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى يدل
على الشق والفتح وفى الكلام استعارة بالكناية وتخييلية

وترشيحه حيث شبه اجزاء الصباح لكونها ظرفا
بالمنزل والدار المقفول لجامع عدم العلم بما فيه من الحوادث
الاستقبالية وطوى ذكر المشبه به مصرحا بالمشبه
واثبت له المصابيح والمفاتيح ثم ذكر الفتح ترشيحا للاستعارة
او هو استعارة تبعية والاضافة في الموضعين لامية
او في الاول لامية وفي الثاني بتقدير من كما في خاتم
فضة او بيانية ولا يخفى لطافة تشبيه الرحمة والفلاح
بالمفتاح فيكون من اضافة المشبه به الى المشبه ولعل
المراد بمصابيحه طلوع قوس النهار قطعة قطعة اعني
انقضاء اجزاء النهار تدريجا ويمكن ان يقال لما كانت
الافاق المائلة يختلف قطعها باختلاف عروض البلدان
ولذا تختلف الليالي فيها فكان لكل افق منها صباح
وله مصراع جمعها بقوله مصابيح ويمكن اعتباره بالنسبة
الى الافاق الاستوائية لكن بالاضافة الى الاشخاص لا

بالنسبة الى الانواع ولما كانت الهداية والصلاح معقولين
بالتشكيك طلب اكمل افرادهما وافضل اصنافهما فقال

وَأَلْبِسْنِي اللَّهُمَّ مِنْ أَفْضَلِ خِلَعِ الهِدَايَةِ وَالصَّلَاحِ

البسه الثوب فلبسه وهذا الفعل وما شاكله من الافعال
التي لا يتعلق معناها الحقيقي بالهداية والصلاح من باب
الاستعارة التمثيلية او شبه ما يغشى الانسان عند كونه
مهتديا صالحا من الفيوضات الربانية والكرامات الرحمانية
باللباس لاشتماله على اللابس ثم استعير له اللباس فالاستعارة
مصرحة حيث اطلق اسم المشبه به على المشبه ويحتمل ان
يكون تبعية واضافة الخلع الى الهداية اضافة اللجين
الى الماء او بيانية او يقال تشبيه الهداية والصلاح
باللباس مكنيتان واثبات الالباس والاخلاع لهما
ترشيحان وهم كثيرا ما يشبهون صلاح الرجل

بشعاره وتقواه بدثاره واما هنا فجعل الهداية بمنزلة الشعار
والصلاح بمنزلة الدثار وانما سمى اللباس المخصوص بالخلعة
لانه يخلع عن البدن اى ينزع ليصان ويحفظ وفيه ايماء
الى ان الصالح والمهتدى مكرمان عنده تعالى ومعظمان
اذ الملك لا يخلع من عبيده الا من اراد اكرامه واعظامه
اما تفضلا او لسابقة استحقاقه لذلك والهداية الدلالة
على ما يوصل الى المطلوب او الدلالة الموصلة ولعل
الاول اولى وعلى اى تقدير فالمراد بها هنا الاهتداء
اما من باب تنزيل المتعدى منزلة اللازم كما اشرنا اليه
بقرينة عطف الصلاح اللازم عليه او يكون من هدى
بمعنى الاهتداء قال الجوهرى هدى واهتدى بمعنى
وهو بهذا المعنى لازم والمراد بالاهتداء الاهتداء
الى كل حق وصواب والقبول له والعمل به وعدم الرجوع
معه الى باطل وخطأ قال الراغب الاهتداء يختص بما

يتحراه

يتحراه الانسان من الهدى على طريق الاختيار اما فى الامور
الدنيوية او الاخروية قال الله تعالى هو الذى جعل لكم النجوم
لتهتدوا بها ويقال ذلك لطلب الهداية نحو قوله
تعالى قد ضللت اذا وما انا من المهتدين وتحرى الهدى
نحو واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون
ويقال المهتدى لمن يقتدى بعالم نحو ولو كان
اباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون تنبيها على انهم
لا يعلمون بانفسهم ولا يقتدون بعالم وقوله تعالى فمن
اهتدى فانما يهتدى لنفسه يتناول وجوه الاهتداء
من طلب الهداية ومن الاقتداء وتحريها وقوله وانى
لغفار لمن تاب وعمل صالحا ثم اهتدى معناه ادام
طلب الهداية ولم يفتر عن تحريها ولم يرجع الى المعصية
وقوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك
هم المهتدون اى الذين تحروا الهدايا وقبلوها وعملوا

بها انتهى والصلاح ضد الفساد وهو خروج الشيء عن
الاعتدال اللائق به فالصلاح حصول الشيء على الحالة
المستقيمة النافعة وكلاهما يعمان كل ضار ونافع و
لعل المراد به هنا الاوامر والنواهي الشرعية قال الزمخشري
في الاساس امر الله ونهى لاستصلاح العباد والصالح
قيل هو الخالص من كل فساد وقيل هو المقيم بما يلزمه
من حقوق الله وحقوق الناس وكذا قال الزجاج في
معاني القران الصالح هو الذي يؤدي ما افترض الله
عليه ويؤدي الى الناس حقوقهم ولما كانت للهداية
انواع مترتبة من افاضة القوى ونصب الدلائل الفارقة
وارسال الرسل وانزال الكتب وكشف السرائر على
القلوب واراءة الاشياء كما هي اما بالوحي او بالالهام
طلب ان تكون خلعته التي هي الهداية من افضل
الخلع في هذا النوع لان استعمال افعل مضافا مشروط

بان يكون

بان يكون موصوفه بعضا مما اضيف اليه داخلا فيه
بحسب مفهوم اللفظ وان كان خارجا بحسب الارادة لان
المقصود من استعماله هذا التفضيل موصوفه على مشاركيه
في هذا المفهوم العام وبالجملة المراد بالهداية اما اهدنا
او هداية الله له او هدايته لغيره فيكون المراد بافضلها
على الاول الثبات عليها والرسوخ فيها وعلى المعنيين
الاخرين الايصال الى المطلوب اذ كان الصحيح انها
عبارة عن الدلالة على ما من شانه الايصال الى البغية
من غير ان يشترط في مدلولها الوصول ولذلك كانت
الدلالة التكوينية المنصوبة في الافاق والانفس
والبينات الواردة في الكتب السماوية على الاطلاق
بالنسبة الى البرية كافرها وفاجرها هدايات حقيقية
فائضة من الله تعالى ويحتمل ان يراد بافضلها هنا الهداية
الخاصة وهي كشف السرائر على قلب المهدي بالوحي

الاسرار صح

او الالهام وهي مرتبة صاحب الدعاء ع ومن هو في
رتبته وكذا الكلام في الصلاح المذكور في هذا المقام
فلا بد ان الصلاح اول درجات الصالحين فكيف
يليق بمن رتبته الخلافة والامامة ان يطلب البداية
واما قول يوسف ع توفني مسلما والحقني بالصالحين
فقد قالوا انه اراد بالصالحين الصالحين من ابائه العظام
وان اراد الالحاق بعامة الصالحين فوجهه ان اجتماع
النفوس البشرية بالانوار الالهية له اثر عظيم وفوائد
جمة كالمرايا المستنيرة المتقابلة التي تتعاكس اضواؤها
وتتكامل انوارها الى حيث لا تطيقها العيون الضعيفة
وكلما كانت اكثر كان الاشراق اظهر فلا يرد عليه
نظير ما سبق ذكره فتأمل ولا يذهب عليك انه تعالى
قد اجاب دعوته ع هذه حيث جعله من صالح المؤمنين
كما اخبر عنه بقوله عز اسمه وان تظاهرا عليه فان الله مولاه

وجبرئيل وصالح المؤمنين للاتفاق على ان المراد به في
الاية سيدنا امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى
ابنائه المعصومين ولما كان الخشوع من احسن صفات
الصالحين واشرف سمات المهتدين وكان من اسباب
اجابة الدعاء ادعوا ربكم تضرعا وخفية يا موسى كن
اذا دعوتني خائفا مشفقا وجلا وعفر وجهك في التراب
واسجد لي بمكارم بدنك واقنت بين يدي في القيام
وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل التمسه
عليه السلام منه تعالى بقوله فقال **وَاغْرِسِ اللّٰهُمَّ**
لِعَظَمَتِكَ فِي شِرْبِ جَنانِي يَنابِيعَ الْخُشُوعِ
غرس الشجر يغرسه غرسا وغرسا اثبته في الارض
كاغرسه كذا في القاموس والعظم في صفات الجسم
كبر الطول والعرض والعمق والله تعالى جل قدره
عن ذلك وهو الذي جاوز قدره وجل عن حدود

العقول حتى لا يتصور الاحاطة بكنهه وحقيقة عظمته
جلالته ورفعته وقدره فهو منصرف الى عظم الشان و
جلالة القدر وقيل ان عظمته تعالى صفة اضافية ثابتة
له تعالى بالقياس الى اعتقاد العبد وتصوره واثباته لغيره
عز وجل والا فليس لما سواه في جنب وجوده تعالى
وجود حتى يتصف بالعظمة بالقياس اليه لكن الانسان
يتصور لنفسه بقوته الوهمية وجودا استقلاليا وبواسطة
وجوده الموهوم يثبت للعالم وافراده وجودا استقلاليا
يقيس اليها وجود الحق فيصفه بالعظمة ثم بعد ما يظهر
قصور وجوده وضعفه وقصور الوجودات الامكانية
وضعفها يزيد في نظره عظمة الحق ولهذا قيل ان
ظهور الانسان سبب خفاء الحق في هذا العالم فبعد
انكساره يظهر وجود الحق وعظمته وكبريائه والشرب
بالضم والكسر اسمان وبالكسر الماء والحظ منه وفي

التنزيل

التنزيل ولها شرب ولكم شرب يوم معلوم والمراد به
هنا العرق الذي به تعمير القلب وحيوته وشبهه
المعد لمصالحه وهو ظرف للغرس والاضافة لامية
والجنان بالكسر الجنة وبالفتح القلب وهو المراد هنا
سمي به لاجتنانه واستتاره ونبع الماء نبعا ونبوعا
خرج من العين والينبوع العين او الجدول الكثير
الماء وينابيع الخشوع مفعول اغرس والاضافة اما
بيانية او لامية او من قبيل اضافة اللجين الى الماء
والخشوع التذلل والخوف والخضوع وعن النبي عليه
وآله السلام انه راى رجلا يعبث بلحيته في صلوته
فقال اما انه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فدل على
ان الخشوع كما يكون بالقلب يكون بالجوارح وفي الصحاح
خشع ببصره غضه ولعله عليه السلام شبه جنانه بالجنان
فاثبت له الشرب وشبه الخشوع بالاشجار فاثبت له الغرس

ثم طلب لاسقائه وانمائه الينابيع الا انه جعلها من متعلقات
الغرس توسعا او ضمن الاغراس معنى الانباع او الابداع
اى اغرس منبعا او مودعا فى شربجانى او كان فى الاصل
شجرات الخشوع بقرينة ذرات الدموع وفى بعض النسخ
اغزر اللهم وهو من الغزارة بمعنى الكثرة يقال اغزر
القوم اذا كثرت البان مواشيهم وهو قريب لكن لا
يناسبه التعليل بالعظمة وقد بلغنا ان فى نسخة كانت
بخطه عليه السلام كان فيها اغرس والاشكال انما هو
فيها اذ الغرس ليس من ملائمات الينبوع وانما الملائم
لها الغزارة والنبع وما شاكل ذلك ومن الناس من
يقول ان اغرس محمول على التضمين بمعنى الاخراج بقرينة
ينابيع فانها ليست من متعلقات الغرس ولا يصح
ان يكون من معلوله لانه فاستعماله مع الينابيع يوجب
التضمين اى اغرس مخرجا وتعقبه بعضهم بان استعمال

الغرس

الغرس على اصل وضعه الذى هو غرس الشجر مطلقا فى هذا
المعنى بعيد جدا غير مانوس على ان التضمين بهذا المعنى
غير مصرح ويمكن ان يقال انه محمول على التجريد فان الغرس
اخراج التراب عن الارض وادخال الشجرة فيها فلو جرد
عن الثانى واستعمل فى الاول كان المعنى مستقيما و
انما لم يقل اخرج مكان اغرس لكون الترشيح ابلغ بيانه
ان فى قوله ينابيع الخشوع استعارة مكنية وهى انه شبه
الينابيع باشجار رطبة خضر فاستعير لها الينابيع واثبت
له الاغراس الملائم للاشجار المشبه بها فهى تخييلية و
ترشيحيه نظيره فاذاقها الله لباس الجوع والخوف حيث
لم يقل نكساها لان الترشيح ابلغ قال صاحب الكشاف
فى لباس الجوع والخوف استعارتان تصريحيه وهى انه
شبه ما غشى الانسان عند الجوع والخوف من بعض
الحوادث باللباس لاشتماله على اللابس ثم استعير له

اللباس ومكنة وهي انه شبه ما يدرك من اثر الفقر والالم
بما يدرك من طعم المر والبشع حتى اوقع عليه الاذاقة بمنزلة
الاظفار للمنية فتكون تخييلية ولا يخفى ما في هذه التوجيهات
والتاويلات من التكلف والاظهر ان النسخة كانت في
الاصل نابع الخشوع بتقديم النون على الموحدة من النبع
وهو شجر يتخذ منه القسي قال ابن الاثير في النهاية قيل
كان شجرا يطول ويعلو فدعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا اطالك الله
من عود فلم يطل وفي القاموس النبع شجر للقسي والسهام
ينبت في قلة الجبل وقولهم لو اقتدح بالنبع لاورى
مثل في جودة الراي لانه لا نار فيه وعليه فلا اشكال
مع مناسبة التعليل بالعظمة بخلاف ما سبق فانه عليه السلام
لما اراد ان يطلب خشوعا كاملا اكثر الافراد بالغا طويلا
عاليا على القلب وعلى جميع الجوارح والاعضاء ليكون
التوجه والاقبال على الله تعالى والخوف منه والاعراض

عما سواه

عما سواه دائما مستمرا بحيث لا يشغله شان غير هذا الشان
توسط صفة العظمة لتجعلها وسيلة لطلب ما هو عظيم و
هو الخشوع المشبه بالنبع في طوله وعلوه وعروقه وكثرة
جذوعه واغصانه ثم لما اراد ان يبالغ في ذلك ليشير الى حرصه
وجده وجهده فيه جمعه ليكون اوفى بتادية المرام
وادل على الغرض المسوغ له الكلام والمراد استدعاء
حالة تتمكن معها عظمته تعالى في القلب على وجه تغلب
الخوف والخشية على قلبه ويستولي عليه فيتم بذلك
خشوعه واقباله على الله تعالى بكليته وذهابه اليه بجملته
وانما خص الجنان بموضوعية الخشوع لانه بمنزلة السلطان
والجوارح بمنزلة العسكر فاذا توجه السلطان الى جانب
توجه العسكر اليه فمتى توجه القلب الى جناب الله تعالى
توجه كل جارحة اليه ولذا قال عليه السلام اما انه لو خشع
قلبه لخشعت جوارحه واعلم ان كلا من الفرح والحزن قد

يوجب الدمع الا ان الحاصل من الاول بارد ومن الثاني
حار لان الفرح كيفية تتبعها حركة الروح الى الخارج البدن
قليلا قليلا طلبا للوصول الى الملذ فاذا تحرك الروح الى
الخارج انفصل اجزاء الشؤون والمفاصل بعضها عن
بعض فتخرج الرطوبات البارده المحتبسة في الدماغ و
الحزن كيفية تتبعها حركة الروح الى الداخل قليلا قليلا
هربا من الموذي فاذا انقبض الروح متراجعا نحو الدماغ
عصر شيئا من الرطوبات الباقية على نحو نهاية السابقه
والى هذا القسم اشار بقوله

وَاجْرِ اللّهُمَّ لِهَيْبَتِكَ مِنْ اٰماقِي ذَرَفاتِ الدُّمُوعِ

اذ الهيبة وهي السطوة والخوف يقال هاب الشيء يهابه
اذا خافه واذا وقره وعظمه يوجب انقباض الروح كما في صوره
الهرب من الموذي وقيل الهيبة خوف داع للخضوع عن
استشعار تعظيم ولذلك يستعمل في كل محتشم قال الشاعر

اهابك اجلالا وما بك قدرة علي ولكن ملاء عين حبيبها
وقال العارفون الهيبة حالة فوق الخوف مقتضاها
غيبة القلب عن علم ما يجري من احوال الخلق بل من الم
احوال نفسه بما يرد عليه من الحق اذا عظم الوارد واستولى
عليه سلطان الحقيقة قالوا وهي لا تسكن الا في كل قلب
منيب اواب ولا تلم الا بساحة كل مصلح تواب والموق
بهمزة وغيره طرف العين الذي يلي الانف وفي نهاية ابن
الاثير موق العين موخرها وماقها مقدمها وجمع الموق
اماق وهو متعلقة باجر ومن ابتدائيه والذرف النهر الكبير
الماء والاضافة بتقدير من او من قبيل اضافة الذهب الى
الاصل حيث شبه الدموع بالذرفات ثم قدمت عليها واضيفت
اليها والدمع ماء العين من حزن او سرور والجمع الدموع
كالمنع والمنوع والدمعة القطرة منه ولما كان البكاء الى الله
سبحانه فرقا وخوفا وصفا محمودا وفيه دلالة على رقة القلب

التي هي دليل الاخلاص وجمود العين من القساوة المؤذنة
بالبعد من الله يا موسى لا تطول في الدنيا املك فيقسو
قلبك وقاسي القلب مني بعيد وقد ورد ان بين الجنة
والنار عقبة لا يجوزها الا البكاؤون من خشية الله و
ما من شيء الا وله كيل او وزن الا الدموع فان القطرة منها
تطفي بحارا من النار فاذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق
وجهه قتر ولا ذلة واذا افاضت حرمه الله تعالى على
النار ولو ان باكيا بكى في امة لرحموا وما من قطرة احب
الى الله من قطرة الدموع في سواد الليل مخافة من الله و
لا يراد به غيره ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان
كان له بكل قطرة من دموعه مثل جبل يكون في ميزانه
من الاجر وكان له بكل قطرة عين من الجنة على حافتيها
من المدائن والقصور ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب استدعاه من الله عز وجل وطلبه منه ولما بشرء

كان

كان الخشوع من اسباب الدموع ومن جملة عللها فان من
غفل قلبه عن الله كيف يدمع عينه مخافة منه قدمه عليها
وطلبه قبلها ليشعر بذلك وليكون الكلام على طبق نظمه
الطبعي ويظهر منه فائدة الخشوع الشرعي   قوله
صلوات الله عليه من اماني صريح في صحة اطلاق صيغة
الجمع على الاثنين حقيقة اذ الاصل في الاطلاق هو
الحقيقة فانقل عن صاحب الفتوحات ومدعي الكشف و
الكرامات انه قال رايت رسول الله ص في بعض الوقايع
فسألته عن اقل مراتب صيغة الجمع وقلت ذهب فريق
الى انه ثلثة وفريق الى انه اثنان فقال اخطاء هولاء و
هولاء بل ينبغي ان يفصل ويقال الجمع اما جمع الفرد او
جمع الزوج فاقل مراتب الاول ثلثة واقل مراتب الثاني
اثنان اضغاث احلام وما نحن بتاويل الاحلام بعالمين
هذا ولما كان الفقر والفاقة وضيق المعاش يشوش الانسان

فيمنعه عن الخشوع والدموع بل قد يحدث فيه طيشا و
خفة في عقله بغلبة قواه الحيوانية عليه فيتجاوز بذلك
بعض حدود الله ويرتكب محارمه اذا لم يكن قانعا بما
يصيبه من الدنيا وكانت القناعة كنزا من خزائن الله
عز اسمه استدعاه منه سبحانه ليكون حاجزا له يكف
به نفسه عن ذلك فقال

وَأَدِّبِ اللَّهُمَّ نَزَقَ الْخُرْقِ مِنِّي بِأَزِمَّةِ الْقُنُوعِ

ادبه علمه فتادب والادب محركة حسن التناول ادب
كحسن ادبا فهو اديب كذا في القاموس وقيل الادب
رياضة النفس ومحاسن الاخلاق وقال ابو زيد الانصاري
الادب يقع على كل رياضة محمودة يتخرج بها الانسان
في فضيلة من الفضائل وفي حواشي ملا عبد الغفور
على شرح الجامي الادب نگاه داشتن حد هر چيزي ولعله
عليه السلام ضمنه معنى الازالة والمنع اي ادب اللهم مزيلا

ومانعا

ومانعا نزق الخرق مني وهو الانسب بالمقام لان القوى
الحيوانية لما كانت عاصية عن حكم الشرع خارجة عن تحت
نهي العقل فلا بد لها من مانع يمنعها عن ذلك ويقسرها
على امره ونهيه وهو تاديب الله ومنعه اياها بازمة القنوع
ولذا قال صاحب الدعاء جعلت له الفداء الادب صورة
العقل لانه يمنع العاقل عن ارتكابه ما لا ينبغي ارتكابه
وانما رجحنا تضمين المنع على الازالة لان الاول مطابق
للامر نفسه دون الثاني فانهم اختلفوا في الخلق فقيل
هو غريزي من جنس الخلقة لا يستطاع تغييره خيرا كان
او شرا كما قال وما هذه الاخلاق الا غرائز فمنهن محمود
ومنها مذمم ولن يستطيع الدهر تغيير خلقه لئيم ولا
يستطيعه متكرم ويدل عليه قوله ص من اتاه الله وجها
حسنا وخلقا حسنا فليشكر الله ومحال ان يكن المخلوق
تغيير فعل الخالق فالتكليف بتهذيب الاخلاق تكليف

بما لا يطاق وقيل بل هو كسبي لقوله ص حسنوا اخلاقكم فلو لم
يكن كسبيا لما امر به ولانا نرى كثيرا من الناس يزاولون
ويمارسون خلقا من الاخلاق حتى يصير ملكة وقيل
الحق ان اصله غريزي وتمامه مكتسب وبيانه ان الله تعالى
خلق الاشياء على ضربين احدهما بالفعل ولم يجعل
للعبد فيه عملا كالسماء والارض والهيئة والثاني بالقوة
وهو ما خلقه خلقا ما وجعل فيه قوة ورشح الانسان لاكماله
وتغيير حاله وان لم يرشحه لتغيير ذاته كالنوى الذي جعل
فيه قوة النخل وسهل للانسان سبيلا ان يجعله بعون الله
نخلا وان يفسده افسادا قال والخلق من الانسان يجري
هذا المجرى في انه لا سبيل الى تغيير القوة التي هي السجية
والغريزة وجعل له سبيلا الى اسلاسها ولهذا قال الله تعالى
وقد خاب من دسيها ولو لم يكن كذلك لبطلت فائدة
المواعظ والوصايا والوعد والوعيد والامر والنهي و

لما جوز

لما جوز العقل ان يقال للعبد لم فعلت ولم تركت وكيف
يكون في الانسان ممتنعا وقد وجدناه في بعض البهائم منه ع
ممكنا فالوحشي قد ينتقل بالعادة الى التأنس والجامح
الى السلاسة لكن الناس في غرائزهم مختلفون فبعضهم
جبل جبلة سريعة القبول وبعضهم بطيئة القبول وبعضهم
في الوسط وكل لا ينفك من اثر قبول وان قل ومن
هنا ورد في الادعية من طلب التوفيق لمكارم الاخلاق وفي
ومحاسن الاعمال وفي الاحاديث من الامر بها و
الحث عليها اقول ويظهر من بعض الاخبار ان الخلق
منه غريزي ومنه كسبي مثل ما في الاصول الكافي في
في باب حسن الخلق عن اسحق بن عمار عن ابي عبد الله ع
ان الخلق منيحة يمنحها الله عز وجل خلقه فمنه سجية
ومنه نية فقلت فايهما افضل فقال صاحب السجية
هو مجبول لا يستطيع غيره وصاحب النية يصبر على الطاعة

يصير فهو افضل النيه المكتسبه بقرينه المقابله يقال نويته
انويه اى قصدته والاسم النيه مثقله والتخفيف لغه
وهذا صريح فى ان الخلق منه طبيعى غريزى خلقه الله
فى بدو الفطره ومنه مكتسب بان يتمرن حتى يصير كا
لغريزه فيبطل قول من قال امر غريزى لا مدخل للاكتساب
فيه قال الراغب وارى ان من منع من تغير الخلق فانه
اعتبر القوه نفسها وهذا صحيح فان النوى محال ان ينبت
الانسان منه تفاحا ومن اجاز تغييره فانه اعتبر اظهار
ما فى القوه الى الوجود وامكان افساده باهماله نحو
النوى فانه ان يتفقد فيجعل نخلا وان يترك مهملا حتى
يفسد وهذا ايضا صحيح فاذا اختلافهما بحسب اختلاف
نظريهما انتهى وانت خبير بان كلام صاحب الدعاء
جعلت له الفداء صريح الدلاله على امكان تغيير الخلق
والسلاسه بالمعنى الذى سبق ولكن بفضل الله وحسن

توفيقه

توفيقه كما قال تعالى فبما رحمه من الله لنت لهم هذا
والنزق الوثوب والسرعه والتسابق والطيش والخفه
عند الغضب ومنه ما ورد فى روايه عبد الله بن سنان
قال قلت لابى عبد الله عليه السلام جعلت فداك
انى لارى بعض اصحابنا يعتريه النزق والحده والطيش
فاغتم لذلك غما شديدا وارى من خالفنا فاراه حسن
السمت قال لا تقل حسن السمت فان السمت سمت
الطريق ولكن قل حسن السيما فان الله تعالى يقول سيماهم
فى وجوههم قال قلت فاراه حسن السيما له وقار
فاغتم لذلك قال لا تغتم لما رايت من نزق اصحابك
ولما رايت من حسن سيماء من خالفك ان الله تعالى
لما اراد ان يخلق ادم خلق تلك الطينتين ثم فرقهما
فرقتين فقال لاصحاب اليمين كونوا خلقا باذنى فكانوا
خلقا بمنزله الذر يسعى وقال لاهل الشمال كونوا خلقا

خلفاً

باذنی فکانوا بمنزلة الذر یدرج ثم دفع لهم نارا فقال

ادخلوها باذنی فاول من دخلها محمد ص ثم اتبعه اولو

العزم من الرسل واوصیائهم واتباعهم ثم قال لاصحاب

الشمال ادخلوها باذنی فقالوا ربنا خلقتنا لتحرقنا

فعصوا فقال لاصحاب الیمین اخرجوا باذنی من النار

فخرجوا لم تکلم منهم النار کلما ولم تؤثر فیهم اثرا فلما

راهم اصحاب الشمال قالوا ربنا نری اصحابنا قد سلموا

فاقلنا وامرنا بالدخول قال قد اقلتکم فادخلوها

فلما دنوا واصابهم الوهج رجعوا فقالوا یا ربنا لا صبر

لنا علی الاحتراق فعصوا وامرهم بالدخول ثلثا کل

ذلک یعصون ویرجعون وامر اولئک ثلثا کل ذلک

یطیعون ویخرجون فقال لهم کونوا طینا باذنی فخلق

منه ادم ع قال فمن کان من هولاء لا یکون من هولاء

ومن کان من هولاء لا یکون من هولاء وما رایت من

نزق اصحابک وخلقهم فمما اصابهم من لطخ اصحاب الشمال

وما رایت من حسن سیماء من خالفکم ووقارهم فمما اصابهم

من لطخ اصحاب الیمین انتهی وفیه اشیاء تظهر علی من تامله

واما الجبر الذی یتراءی من احادیث الطینة فتوهم ضعیف

وظن سخیف قد ذکرنا وجه ضعفه وسخافته فی اواخر

رسالتنا المعمولة لابطال الجبر والتفویض فلیطلب من

هناک واضافة النزق الی الخرق اما لامیة او بیانیة او کان

فی الاصل ادب اللهم نزق الخرق منی فحذف العاطفة

اضیف النزق الی الخرق لشدة امتزاج بینهما فی المناسبة

اللفظیة والمعنویة کما قال الشیخ الرضی فی نظائره وسمی

هذا الترکیب شبیها بالمزجی والخرق ضد الرفق و

منه ما ورد الرفق یمن والخرق شوم وفی اخر من قسم

له الخرق حجب عنه الایمان وعن صاحب الدعاء جعلت

له الفداء من الخرق المعاجلة قبل الامکان والاناة

بعد الفرصة والخرق فيه بمعنى الجهل والحمق وان لا يحسن
الرجل العمل والتصرف في الامور وهذا من جملة معانيه
كما صرح به علماء اللغة وعن النبي عليه واله السلام
لو كان الخرق خلقا يرى ما كان شيء مما خلق الله اقبح منه
وفي القاموس الخرق الحمق واعلم ان الحلم غير الخرق
المذموم فان من الناس من يشاكل ظاهره ظاهر المتزيد
في الحلم والاستطالة ويرجع باطنه الى قلب سليم منطو
على الخير وذلك من غلبة الصفراء على مزاجه وفي الحديث
الثناء على مثله قال عليه السلام خيار امتي احداؤها
وقال عليه السلام الحدة تعتري خيار امتي هذا وكلمة
من ابتدائية والانفة كالائمة جمع نمام وهو ما يعمل
ويجعل في انف البعير ليقاد به والباء للملابسة او
السببية والظرف متعلق باذنب والقنوع بالضم
السؤال والتذلل والرضا بالقسم ضده ومن دعائهم

لغ للالية

قال الله

نسال الله القناعة ونعوذ به من القنوع وفي المثل خير
الغنى القنوع وشر الفقر الخضوع والقناعة الرضا با
اليسير من العطاء وقد قنع يقنع قنوعا وقناعة بالكسر
اذا رضي وقنع يقنع بالفتح قنوعا اذا سال والى المعنيين
المذكورين اشار من قال العبد حر ان قنع والحر عبد ان
قنع فاقنع ولا تطمع فما شيء يشين الا الطمع قنع الاول
بالكسر بمعنى رضي والثاني بالفتح بمعنى سئل وقيل القناعة
الرضا بما دون الكفاية وفسرها المحقق الطوسي بعد
ما عدها من الانواع المندرجة تحت العفة الحاصلة
من الاعتدال في القوة الشهوية بانها رضاء النفس
في المآكل والملابس وغيرها بما يسد الخلل من اي
جنس اتفق وقد ورد في شان القناعة والحث عليها
من الكتاب والسنة ما لا اخفاء فيه ولا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا

به ان واجامنهم زهرة الحيوة الدنيا وبالقناعة فسر
الرزق الحسن فى قوله تعالى ليرزقنهم رزقا حسنا وبها
وبها فسرت الحيوة الطيبة فى قوله عز وجل فلنحيينه
حيوة طيبة وعن الباقر عليه السلام من قنع بما رزقه
الله فهو اغنى الناس بيان ذلك ان حاجات الناس كثيرة
فاغناهم اقل حاجة لان الغنى هو عدم الحاجة فلذلك
كان الله سبحانه اغنى الاغنياء اذ لا حاجة به الى شئ
نقل ان رجلا من حاشية سلطان راى حكيما ياكل ما
تساقط على راس ماء من البقل فقال له لو خدمت
السلطان لم تحتج الى اكل هذا فقال الحكيم وانت لو
قنعت بهذا لم تحتج الى خدمة السلطان وقال صفوان
بت ليلة استمتع بالمنى واقلب قلبى على حواشى الغنى
فكبت البحر الاخضر بالذهب الاحمر وجعلت ما بين
كوثان الى اسياف عمان فاخرة اللباس وسارحة ط

النعم

النعم فاذا الذى يكفينى له من ذلك رغيفان وطمران
وقال وهب خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة
فاستقرا وقد فسرت فى الاخبار بان تقنع بما نصيب
من الدنيا تقنع بالقليل وتشكر باليسير وفى الحديث القناعة
كنز لا ينفد عز من قنع وذل من طمع وعن صاحب التمام
جعلت له الفداء لا كنز اغنى من القناعة ولا مال
اذهب للفاقة من الرضا بالقوت ومن اقتصر على
بلغة الكفاف فقد انتظم وتبوء اخفض الدعة والرغبة
مفتاح النصب ومطية التعب والحرص والكبر والحسد
دواع الى التقحم فى الذنوب والشر جامع مساوى العيوب
شبه عليه السلام قوى النفس الامارة بالسوء التى
ينشا منها الترق ويصدر عنها الشر وهى المفتقرة
الى التاديب لزرفها بالتوق بجامع عدم القيادة والسكون
وترك الشهوة فاثبت لها الازمة اما لتعددها او للاثارة

الى انها لا تنقاد ولا تطيع بزمام واحد او لاختلاف متعلقات
الشهوة واحتياج النفس فى الكف عن كل واحد منها
بزمام وقناعة اخرى وصبر اخر ففيه استعارة بالكناية
وتخييل او ترشيح واضافة الازمة الى القنوع اضافة
اللجين الى الماء او الاضافة فيه بيانية او بتقدير من
او بتقدير اخر شبه نزق الحرص وهو من الكيفيات النفسانية
بالناقة الجماحة الى الناديب بالازمة وسكت عن ذكر
المشبه به وذكر المشبه فالاستعارة مكنية واثبات
الناديب بالازمة له تخييلية ثم شبه القنوع بالازمة
فانه كما يمنع الزمام نزق الناقة يمنع القنوع نزق النفس
ثم قدم المشبه به واضيف الى المشبه كما فى ذهب الاصيل
ولجين الماء وحاصل المعنى وامنع اللهم او سكن وثوب
نفسى واضطرابها لاجل الفقر وعدم الصبر بازمة القنوع
ولما كان الحرص اى الفقر منشاء نزق النفس وقلقها اضافه

اليه

اليه والاضافة مما يكفيه ادنى ملابسة كما فى كوكب الخرقاء
او المراد ازل واذهب شدة الحرص منى بازمة القنوع
واعطنى لين العريكة باستعمال الرفق والخضوع
قد اجيب دعوته عليه السلام هذه اذ
لا خلاف بين الامة فى انه كان ازهد اهل زمانه طلق
الدنيا ثلثا وكان يصوم النهار ويقوم الليل وكان يفطر
على جريش الشعير من غير ادم وخبزه لئلا يادمه الحسنان
بسمن او زيت وكان اخشن الناس ماكلا وملبسا
ولم يشبع من طعام قط وكان يقول والله لدنياكم هذه
اهون من عراق خنزير فى يد مجذوم وكان يقول يا دنيا غرى م
يا دنيا اليك عنى ابى تعرضت ام الى تشوقت لا حان
حينك هيهات هيهات غرى غيرى لا حاجة لى فيك
قد طلقتك ثلثا لا رجعة فيها فعيشك قصير وخطرك فيها ع
يسير واملك حقير وهذا شئ اختص به ع لم يشاركه

فيه غيره ولم ينل احد بعض درجته وكان نعلاه من ليف
وكان يرقع قميصه من جلد تارة ومن ليف اخرى وقل
ان يأتدم فان فعل فبالملح او الخل فان ترقى فبنبات الارض
فان ترقى فبلبن من كلامه عليه السلام وايم الله يمينا
برة استثني فيها بمشية الله لاروضن نفسي رياضة
تهش معها الى القرص اذا قدرت مطعوما وتقنع بالملح
مادوما وتستلين للصوف ملبوسا ولادعن مقلتي
كعين ماء نضبت معينها مستفرغة دموعها تمتلي السائمة
من رعيها فتبرك وتشبع الربيضة من عشبها فتربض
ويأكل علي من زاده فيهجع قرت اذا عينه اذا اقتدى بعد
السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعيه
الى اخر كلامه وهذا مذكور في نهج البلاغة صلى الله
عليه وعلى من انتسب بالزهد والقناعة اليه   بلغ

الهي ان لم تبتدئني الرحمة منك بحسن

التوفيق

التوفيق فمن السالك بي اليك في واضح الطريق

الهي منادى بحذف حرف النداء اي يا مالوهي ومعبودي
او مفزعي وملجائي او من يسكن اليه قلبي او من اليه التضرع
في شدائدي والاله في الاصل يقع على كل معبود ثم غلب
على المعبود بحق بحيث لا يطلق على غيره تعالى وان للشرط
في الاستقبال وقد نص ارباب البيان ان الاصل فيها
ان لا يجزم بشيء من طرفي الشرط لكنها قد يستعمل في مقام
الجزم لنكتة قال صاحب التبيان قد يستعمل ان في
الجزم اما للاحتياط كما اذا سئل العبد عن سيده هل
هو في الدار وهو يعلم انه فيها فيقول ان كان اخبرك فيحتاط
بالتجاهل خوفا من السيد واما التقرير وقوع الجزاء وتحققه
نحو قول السلطان لمن هو تحت قهره ان كنت سلطانا
انتقمت منك وعبارة الدعاء من هذا الباب والنكتة
فيها اما الاحتياط واما تقرير وقوع الجزاء وتحققه حيث

علق انكار من يسلك به اليه تعالى فى واضح الطريق بعدم ابتداء
الرحمة منه بحسن التوفيق فانه جازم بذلك بل ذلك وهو امر
محقق عنده كيف لا و الهداية امر من لديه وجميع اسبابه
يعود اليه وهذا منه فزع الى الطاف الله تعالى جريا على
سنن الانبياء والاوصياء والصالحين فى قصر نيل الخيرات
والنجاة من الشرور على جناب الله عز وجل وسلب القوى
والقدر عن انفسهم ومبالغة فى استدعاء لطفه تعالى كما
قال لا تخل بيننا وبين انفسنا بمنعك التوفيق واللطف
عنا فنعجز عن سلوك طريق معرفتك وسبيل طاعتك
وفى هذا الكلام دلالة على بطلان قول من قال بعدم
مدخلية توفيق الله وخذلانه فى افعال العباد وهم
المشهورون بالمفوضة اذ الانسان بمجرد جده وجهده
لا يصل اليه ما قدر وصوله اليه بالاجتهاد فان الجهد
وحده ليس سبب موجب بل يحتاج وصوله اليه الى شرائط

آخر وحسن التوفيق عبارة عن استجماع جميع تلك الشرائط و
سوء التوفيق عبارة عن فقدانها كلا او بعضا والرحمة النعمة
ومن ابتدائية اى الرحمة المبتدأة من جنابك من غير استحقاق
منى والاضافة اما بيانية او من اضافة الصفة الى الموصوف
اى بتوفيق حسن والتوفيق لغة جعل الشئ موافقا لآخر و
عرفا جعل الله فعل العبد موافقا لما يحبه ويرضاه و
هو وان كان فى الاصل موضوعا على وجه يصح استعماله
فى السعادة والشقاوة ولذلك قيده عليه السلام بان يكون
حسنا لا قبيحا الا انه قد صار متعارفا فى السعادة فقط
ولعل المراد بقولهم التوفيق توجيه الاسباب نحو المطلوب
الخير وقيل هو الدعوة الى الطاعة والمآل واحد صح والتوفيق مما
لا يستغنى الانسان عنه فى كل حال كما قيل لحكيم ما الشئ
الذى لا يستغنى عنه فى كل حال فقال التوفيق والمراد
بتوفيقه تعالى له عليه السلام تسديده وتذكيره ولطفه به

والهام القيام بما اتاه من اداب الاوصياء واخلاق الاصفيا
من صدق الانقطاع اليه والتوكل عليه وقوة اليقين
به واطمينان القلب بفضله فلم يلتفت الى غيره ولا الى نفسه
وهكذا من كان دائم المراقبة لربه مدققا الحساب على نفسه
قد قام معها على ساق مقام الخصم الالد عند الثقاف
كان مستوجبا للعصمة من ربه مطرحا لاشعة انوار لطفه
وبحثه هذا ويقال سلكت الطريق سلوكا من باب قعد
اى ذهبت فيه وفى القاموس سلك المكان سلكا وسلوكا
وسلكه غيره وفيه واسلكه اياه وفيه وعليه ويده فى الجيب
واسلكها ادخلها فيه ولعله عليه السلام ضمنه معنى
الهداية ولذا عداه بالى والسلوك الى الله تعالى هو التقرب
اليه بالاعراض عن الدنيا الدنية وحطامها ومافيها
ثم باتيان الفرايض على وجهها ثم النوافل فانها قربان
كل تقى ثم بمراعاة الاداب والسنن ثم الصبر على البلايا

والمحن

والمحن وملازمة الذكر ومداومة الفكر والتخلى عن الشهوات
النفسانية والهواجس الشيطانية وجعل الهموم هما واحدا
مع اخلاص النية وصفاء الطوية والعمل بما يتعلمه شيئا
فشيئا ومراقبة النفس انا فانا الى ان يصير العلم عيانا بعد
يقين ويترقى من علم اليقين الى عين اليقين ومنه الى حق
اليقين وقد اشار اليه صاحب الدعا جعلت له الفدا
عند ذكر السالك على ما هو المذكور فى نهج البلاغه
حيث قال قد احيى عقله وامات نفسه حتى دق جليله
ولطف غليظه وبرق له لامع كثير البرق فعن له الطريق
وسلك به السبيل وتدافعته الابواب الى باب السلامة
ودار الاقامة وتثبت رجلاه بطمانينة قلبه فى قرار الامن
والراحة بما استعمل قلبه وارضى ربه انتهى كلامه صلوات
الله عليه وسلامه ويحتمل ان يكون المراد بابتداء الرحمة
منه تعالى بحسن التوفيق اى التوفيق على السلوك اليه

احداث الشوق فی السالک واهتیاج قلبه وجذبه الی
ارادته ومحبته والمواظبة علیه فان الشوق وهو ادراک
لذة المحبة اللازمة لفرط الارادة الممتزجة بالم المفارقة
یکون فی حال السلوک بعد اشتداد الارادة ضروریا
وربما کان حاصلا قبل السلوک وذلک اذا حصل الشعور
بکمال المطلوب ولم تنضم الیه القدرة علی السیر وقل
الصبر علی المفارقة وکلما ترقی السالک فی سلوکه کثر
الشوق وقل الصبر حتی یصل الی المطلوب فتخلص حینئذ
لذة نیل الکمال من الالم وتنتفی الشوق کذا افاد المحقق
الطوسی قدس سره فی بعض رسائله والاضافة فی
واضح الطریق من اضافة الصفة الی الموصوف وفی
الکلام استعارة تحقیقیة تصریحیة حیث شبه العبادات
والریاضات والمجاهدات الشرعیة بسلوک الطریق
ثم ذکر المشبه به وارید به المشبه والمراد بوضوحه انتهاجه

خلق

خلق الانسان بشرا سویا مکلفا ونصب لهم الادلة علی ربوبیته
ووحدانیته واستحقاقه الطاعة والعبادة لما رکب فیهم و
فی غیرهم من عجائب خلقته وغرائب صنعته وشهدت بها عقولهم
التی رکبها فیهم وجعلها ممیزة بین الضلالة والهدایة لکن
هذا الطریق علی وضوحه مخوف وفیه مهالک وموانع
والسالک فیه محتاج الی العنایات الربانیة والهدایات
السبحانیة فانه مادام فی سیره الی الحق یکون مضطربا غیر مستقر الخاطر
لخوف العاقبة وما یعرض فی اثناء السیر والسلوک من العوارض
العائقة کالانحراف عن القصد فی عبادة الله واستیلاء
القوی الشهوانیة بحسب مجری العادة فی استعمال الشهوات
المالوفة فان هذه وامثالها قصد السالکین عن السلوک
الی الله وهم علی خوف منها ومن خواطر الشیطان کما قیل
السالک الی الله تعالی خائف من قطع الطریق من الشیطان
وهو لا یامن ان یاتیه من ای جهة امکن منها الانسان فلیس

للتخلص منه مساغ الا بان يلتجاء الى الله سبحانه ويسئله الحفظ
من جميع الجهات فاذا هب نسيم العناية الازلية وارتفعت
الحجب الحائلة الظلمانية تنور القلب بنور العيان وحصلت
الراحة والاطمينان وزال الخوف وظهرت تباشير الامن
والامان كما سبق اتفاق كلام صاحب الدعاء جعلت له
الفداء فهذا المقام من مقامات اصحاب النهايات لا من
احوال ارباب البدايات الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون

وَإِنْ أَسْلَمَتْنِي أَنَاتُكَ لِقَائِدِ الْأَمَلِ وَالْمُنَى
فَمَنِ الْمُقِيلُ عَثَرَاتِي مِنْ كَبَوَاتِ الْهَوَى كَبْوَة

يقال اسلم فلان فلانا اذا القاه فى الهلكة ولم يحمه من
عدوه وهو عام فى كل من اسلمته الى شئ لكن غلب
عليه الالقاء فى الهلكة ومنه الحديث انى وهبت لخالتى
غلاما فقلت لا تسلمه حجاما ولا صائغا ولا قصابا اى

لا تعط

اى لا تعطه لمن يعلمه احدى هذه الصنايع والاناة على وزن
حصاة اسم من تانى فى الامر اذا تمكث ولم يعجل والمراد بها
هنا الحلم وتاخير العقوبة والاستدراج ولما كان الغرض
العناية الالهية سوق كل ناقص الى كماله اقتضت عنايته
سبحانه عدم معاجلة العباد بالعقاب والانتقام والاخذ
بالذنوب والمعاصى فى هذه الحيوة الدنيا ليراجعوا التوبة
ويرجعوا الى الانابة ولذلك انظرهم ببقاء الدنيا وامهلهم
مدة حيوتهم فيها وقاد البعير جره خلفه يقال قاد الدابة
قودا من باب قال اذا تقدمها آخذا بقيادها وهو
خلاف السوق ومنه قائد الجيش لاميرهم كانه يقودهم
وجمعه قادة وقواد وقد يقال للدليل ايضا قائد بهذا
الاعتبار ومنه قائد الغر المحجلين والاضافة بتقدير من
ولقائد الامل متعلق باسلمتنى ولعل اللام فيه بمعنى
الى واحتمال كونها لام التقوية للعمل بعيد فانها انما

تزيد لتقوية عامل ضعيف كالمصدر وشبهه فانه لكونه
فرعا في العمل عن الفعل ضعيف فاحتاج الى التقوية والعامل
هنا فعل متعد فاية حاجة له اليها فتامل والامل محركة
الرجا وحقيقته ابتهاج النفس لانتظار ما هو محبوب عندها
فهو حالة لها تصدر عن علم ويقتضي عملا وقال بعضهم
اكثر ما يستعمل الامل فيما يستبعد حصوله فانه عزم على من ع
سفر الى بلد بعيد يقول املت الوصول اليه ولا يقول طمعت
الا اذا قرب منه فان الطمع لا يكون الا فيما قرب حصوله و
قد يكون الامل بمعنى الطمع والرجاء بين الامل والطمع
فان الراجي قد يخاف ان لا يحصل مأموله ولهذا يستعمل
بمعنى الخوف فان قوي الخوف استعمل استعمال الامل
وعليه قول زهير ارجو وآمل ان تدنو مودتها ومنشأ
الامل الحرص على الاسباب الدنيوية وجمع القنيات الفانية
وثمرته الاعراض الاخروية الموجبة لاشق الشقاء ولذلك عن الامور ع

قال صاحب

قال صاحب الدعاء جعلت له الفداء ان اخوف ما اخاف
عليكم اثنان اتباع الهوى وطول الامل اما اتباع الهوى
فيصد عن الحق واما طول الامل فينسي الاخرة بيان ذلك
ان طول توقع الامور المحبوبة الدنيوية يوجب دوام ملاحظتها
ويستلزم دوام اعراض النفس عن ملاحظة احوال الاخرة
وهو مستعقب لانمحاء ما تصور في الذهن منها و
ذلك معنى النسيان لها وبذلك يكون الهلاك الابدي
والشقاء السرمدي وقد ورد من الاثار والاخبار
في التحذير من طول الامل والتنفير عنه ما تضيق عنه دائرة
الاحصاء ويقصر عن قطع مسافته قدم الاستقصاء و
كفى في ذلك قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا
مسلمين ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف
يعلمون فنبه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي
اليه طول الامل من اخلاق الكافرين لا من صفات المؤمنين

وعنه ص اياك والتسويف بأملك فانك بيومك ولست بما [يا اباذر م]
بعده فان يكن لك غد فكن في الغد كما كنت في اليوم وان
لم يكن غدا لم تندم على ما فرطت في اليوم يا اباذر كم من مستقبل
يوما لا يستكمله ومنتظر غدا لا يبلغه يا اباذر لو نظرت
الى الاجل ومسيره لابغضت الامل وغروره يا اباذر كن
كانك في الدنيا غريب او عابر سبيل وعد نفسك
من اصحاب القبور يا اباذر اذا اصبحت لا تحدث نفسك
بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وعن
انس ان النبي صلى الله عليه وآله خط خطا وقال
هذا الانسان وخط الى جنبه خطا وقال هذا اجله
وخط اخر بعيدا منه فقال هذا الامل فبينما هو كذلك
اذ جاءه الاقرب وفي خطبة لصاحب الدعاء جعلت
له الفداء اعلموا ان الامل يسهي العقل وينسي الذكر
فاكذبوا الامل فانه غرور وصاحبه مغرور فنهي عن

الامل

الامل بين شروره وضروره وفي حديث قدسي يا موسى
لا تطول في الدنيا املك فيقسو لذلك قلبك وقاسي مني [القلب م]
بعيد هذا ومنه التمني قيده لان المتمني يقصد حصول
ما يتمناه والتمني تشهي حصول المرغوب كحصول ما يحتاج [الامر م]
اليه من اهل ومال وادوات واسباب وحديث النفس
بما يكون وبما لا يكون ومنه قال صاحب الدعاء جعلت
له الفداء لا تتكل على المنى فانها بضاعة النوكى والاصل
في من ان يطلب به الامر الذي يعرض لذي العلم فيفيد
لتخصه الا انه هنا استعمل بمجرد الاستبعاد والانكار
كما في قولك من ذا فعل كذا اي ليس لعثراتي مقيل غيرك
والاقالة التجاوز عن الذنب واصلها من اقال عثرته
اذا رفعه من سقوطه ومنه الاقالة في البيع لانها رفع
العقد ومنه اقيلوني فلست بخيركم وعلي فيكم وفي
الحديث اقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم وفي رواية

المروانيه اخوى ذوى وافالة العثرة استعادة للتجاوز عن الذنوب
والعثرة السيئة والخطيئة من عثر يعثر من باب قتل عثارا
بالكسر اذا كبا وسقط لانها سقوط فى الاثم وقيل هى
المرة من العثار فى المشى وهى الزلة ومنه العاثور المكان
الوعث الخشن لانه يعثر فيه ومنه قول ابى يوسف يعقوب
المعروف بابن السكيت وكان من اكابر علماء العربية و
عظماء الشيعة وهو من اصحاب الجواد والهادى عليهما السلام
فى التحذير من عثرات اللسان يصاب الفتى من عثرة بلسانه
وليس يصاب المرء من عثرة الرجل فعثرته فى القول تذهب
راسه وعثرته فى الرجل تبرء عن مهل قيل فاتفق ان
المتوكل العباسى الزمه تاديب ولديه المعتز والمؤيد
فقال له يوما ايما احب اليك ابناى هذان ام الحسن
والحسين فقال والله ان قنبر خادم على خير منك و
ومن ابنيك فقال المتوكل لاتراكه سلوا لسانه من قفاه

فقتلوا

فقتلوا فمات وهذا من غريب ما وقع منه رحمه الله هذا
والكبوة العثرة ومنه الجواد قد يكبو ومن ابتدائيه والاضافة
من اضافة الصفة الى الموصوف والهوى مقصورا هو
الذى يميل اليه القلب من المحبوبات والمشتهيات هوى
مع الركب اليمانين مصعد والتحقيق ان الهوى ما
يحكم الطبع بملائمته ولا يراعى فيه المآل بل يخالف
العقل والشرع بمعونة الوهم والخيال فيختار العاجل
ولو كان فانيا دون الاجل ولو كان باقيا فلا تتبع
الهوى فيضلك عن سبيل الله وفى الحديث ابغض
الرعُبيد فى الارض الهوى والشيطان واما من خاف
مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى
فعاص هوى النفس التى ما اطاعه اخو ضلة الا
هوى من عقابه والمعنى ان القتنى اماتك وتاخير
عقوبتك وحلمك الى قائد من جنس الامل والمنى

يعودني ويجرني الى حيث ما يجرني فتكثر عثراتي فمن
المقيل عثراتي المبتداء من الهوى الكابية العاثرة ففيه تشبيه
النفس الامارة بالسوء المائلة الى الشر بالشخص الاعمى
الجامع عدم البصيرة والاهتداء الى طريق الصواب استعارة
بالكناية واثبات القايد له تخييل واسناد الاسلام الى
الاناة مجاز عقلي وتشبيه الاغلاط الناشية من زلة قدم
النفس بفعل المنهيات وترك المامورات الموجبة لكونها
رهينة بذلك مفتقرة الى الاقالة بالعثرات في المشي استعارة
مصرحة او هو تشبيه للمعقول بالمحسوس وكذلك تشبيه
الهوا بالناقة الهابطة العاثرة مكنية اخرى واثبات
الكبوة له تخييل اخر وهذه الفقرة الجليلة من ادق
الكلام وافصحه وفيها دلالة على ان تجهيل بعض العقوبات
الدنيوية نعوذ بالله منه ومن موجباته لطف من الله
على عباده يوجب تنبيههم على سيئات اعمالهم

واعراضهم

واعراضهم عن الدنيا واقبالهم على الاخرة وان تاخيرها
استدراج ينشاء منه الامال والاماني وانهما يقودان
لصاحبهما الى المهالك ثم يلقيانه فيها وادنى ما يترتب
عليها نسيانه الاخرة وتاخيره التوبة واقباله على الدنيا
وامورها مستغرق فيها الى ان يختطفه الموت وهو
غافل عنه غير مستعد له فيطول في الاخرة حسرته و
ندامته   قوة الفكر بين العقل والهوى و
العقل فوقها والهوى تحتها فمتى ارتفعت الفكرة
ومالت نحو العقل صارت رفيعة تولدت المحاسن
واذا اتضعت ومالت نحو الهوى صارت وضيعة
تولدت المقابح ومن شان العقل ان يرى ويختار
ابدا الافضل والاصلح في العواقب وان كان على النفس
منه في المبدء مؤنة ومشقة والهوى على ضد من ذلك
فانه يؤثر ما يدفع الموذي في الوقت وان كان يعقب

نظر ع

مضرة من غير منفعة في العواقب كالصبي الرمد الذي يؤثر اكل
الحلاوات واللعب في الشمس على اكل الهليلج والحجامة
ولذا قال ع حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات
وايضا فالعقل يرى صاحبه ماله وعليه والهوى يريه
ماله دون ما عليه ويعمي عليه ما يعقبه من المكروه و
لهذا قال عليه السلام حبك الشيء يعمي ويصم فعلى
العاقل ان يتهم رايه في الاشياء التي هي له لا عليه ويظن
انه هوى لا عقل ويلزمه ان يستقصي النظر فيه قبل
امضاء العزيمة حتى قيل اذا عرض لك امران فلم تدر ايهما
اصوب فعليك بما تكرهه لا بما تهواه فاكثر الخير في
الكراهة قال تعالى عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم
وقال تعالى وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا ولهذا قال الاحنف ابن قيس كفى بالرجل رايا
اذا اجتمع عليه امران فلم يدر ايهما الصواب ان ينظر اعجبهما

اليه

اليه واغلبهما عليه فيجتنبه هذا وللانسان مع هواه ثلث
احوال الاولى ان يغلبه الهوى فيستعبده كما قال تعالى
ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا الآية
ان يغالبه فيقهر مرة ويقهر مرة واياه قصد بمدح المجاهدين
وعناه صلى الله عليه واله بقوله وقد سئل اي الجهاد افضل
جهادك هواك وقال عليه السلام جاهدوا اهواءكم كما
تجاهدون اعداءكم والثالثة ان يغلب هواه كالانبياء
والاوصياء وكثير من صفوة الاولياء وهذا المعنى قصد
النبي صلى الله عليه واله بقوله ما من احد الا وله شيطان
قيل يا رسول الله ولا انت فقال ولا انا الا ان الله
قد اعانني على شيطاني حتى ملكته فان الشيطان
يتسلط على الانسان بحسب وجود الهوى

وَاِنْ خَذَلَنِي نَصْرُكَ عِنْدَ مُحَارَبَةِ النَّفْسِ
وَالشَّيْطَانِ فَقَدْ وَكَلَنِي خِذْلَانُكَ

الى حيث النصب والحرمان

خذله من باب قتل خذلا ترك نصره واعانته فهو خاذل
والاسم الخذلان بالكسر والاسناد فيه وفي وكلني مجازان
عقليان وفي الاول تجريد فان الخذلان هو ترك النصر
كما سبق وخذلانه تعالى نعوذ به منه ان يترك المرء و
نفسه لسوء استعداده وشناعة صنيعته فيمنع منه
الطافه الخاصة وفيه دلالة على مدخليته سبحانه
في افعال عباده بالتوفيق والخذلان بحيث لا يصل
الى حد الالجاء والجبر في شيء منهما فقول المعتزلة لا
صنع لله اصلا في فعل العبد لا اصل له والمحاربة كالمجادلة
مصدر من باب المفاعلة واقع بين اثنين فصاعدا
يفعل كل مع صاحبه ما يفعل هو به وهي من الحرب مستعارة
من المجاهدة وهي الجهاد الاكبر المشار اليه بقوله عليه
واله السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

وهي مجاهدة

وهي مجاهدة النفس الامارة بالسوء لشهوة البطن و
الفرج والغضب وساير الافات والعيوب وهي اعدى
عدو المرء ويستخدمها عقول كثير من الناس فيأمرهم
بما يأمرهم والمحاربة معها بالمجاهدة والرياضة وتصفية
الباطن واركانها الجوع ثم السهر ثم العزلة ثم الصمت
ثم ذكر الله تع وهو عند اهل السلوك كلمة التوحيد
والمحاربة مضافة اما الى الفاعل او المفعول اي محاربتها
اياي او محاربتي اياها او محاربة كل مع الاخر على ان
يكون المراد بالنفس النفس اللوامة او الملهمة وعلى
الاولين الامارة بالسوء المائلة الى الشر فانها في حال
الشهوة بهيمة وفي الغضب سبع وفي المصيبة طفل
وفي النعمة فرعون وفي الشبع تراها مختالة وفي الجوع
مجنونة ان اشبعتها بطرت وان اجعتها صاحت
وجزعت ومن رداءتها وجهلها انها اذا همت بمعصية

وانبعث لها شهوة لو تشفعت اليها بالله تعالى ثم برسوله
وبجميع انبيائه وكتبه ورسله والملائكة المقربين وتعرض
عليها الموت والقبر والقيمة والجنة والنار لا تعطى
القيادة فلا تسكن ولا تترك الشهوة ثم انك تشغلها
بمنع رغيف او اعطاء رغيف فتسكن وتترك شهوتها
فتعلم خستها ورداءتها وجهلها وغفلتها فاياك
والغفلة عنها طرفة عين ابدا واعلم ان المحققين على
ان النفس الانسانية اى النفس الناطقة شئ واحد فاذا
مالت الى العالم العلوى كانت مطمئنة واذا مالت
الى الشهوة والغضب سميت امارة وهذا فى اغلب
احوالها لالفها بالعالم الحسى وقرارها فيه فلا جرم
اذا خليت وطباعها انجذبت الى هذه الحالة فلهذا
قيل انها من حيث ذاتها امارة بالسوء وان كانت
منجذبة تارة الى العالم العلوى وتارة الى العالم السفلى

سميت

سميت لوامة ومنهم من ذهب الى ان المطمئنة هى الناطقة
بالعلوم والنفس الامارة منطبعة فى البدن محلة على الشهوة
والغضب وسائر الاخلاق الرذيلة وفيه ايماء الى قدرة
العبد وكونها مؤثرة فيما يصدر عنه من الافعال والتروك
والالم يتصور منه المحاربة والمدافعة مع اعدى عدوه و
خاصة فى حال شكيمته وعتوه فقول الجبرية لا مؤثر
فى الوجود الا الله باطل فقد اشار عليه السلام بهذا الكلام
ان لا جبر ولا تفويض بل امر بين امرين وقد فصلنا القول
فيه فى بعض رسائلنا المعمولة لشرح قوله عليه السلام
وقد سئل عن معنى قولهم لا حول ولا قوة الا بالله انا
لا نملك مع الله شيئا ولا نملك الا ما ملكنا فمتى ملكنا
ما هو املك به منا كلفنا ومتى اخذه منا وضع تكليفه
عنا فليقف من هناك من اراد الوقوف عليه والشيطان
وهو عدوك ومترصد صرف قلبك عن الله حسدا لك

عن مناجاته والشيطان فيعال من الشطن وهو البعد
لبعده عن الله تعالى او عن الخير يريد ابعاد المتقرب الى الله
لكونه ابعد من اجله او فعلان من الشيط وهو البطلان
والهلاك والاحتراق لانه باطل في نفسه مبطل لمصالحه
ومصالح من ابطل من اجله هالك باللعنة يريد اهلاك
من لعن لاجله محترق غضبا عليه اذا راه يتقرب الى ربه
والالف واللام فيه للجنس فتدخل فيه جنوده ولو جعل
للعهد جاز ويدخل فيه جنده تبعا والمثبتون لوجود الشياطين
اختلفوا في حقيقتهم فالمتكلمون منهم قالوا هي اجسام
شفافة تتشكل باي شكل شائت وتقدر على الولوج
في بواطن الحيوان وتنفذ في منافذها الضيقة نفوذ الهواء
المستنشق وظاهر بعض الاخبار يعضده وقال قوم هي
النفوس الارضية المدبرة للعناصر وقيل هي النفوس
الناطقة الشريرة المفارقة ابدانها فتتعلق بالنفوس الشريرة

وتعاونها

وتعاونها على الشر والفساد وقيل هي نفوس مجردة
تشرف بالتعلق وتدرك بالة هي كرة الاثير واول به خلقهم
من النار وقال جمهور الفلاسفة ان الشيطان عبارة
عن الوهم المعارض للعقل وجنوده ساير القوى التابعة
له في معارضة العقل في اشخاص الكفار والفاسقين
عن اوامر الله سبحانه والوهم وجنس القوى البدنية
هي اذا عند معارضتها ومتابعتها جنود ابليس وقبيله
قالوا والمراد بكونه خلق وقبيلة من نار ان الارواح
الحاملة لهذه القوى اجسام لطيفة تتكون عن لطافة
الاخلاط وهي حارة جدا مائلة الى الافراط النارية
والهوائية عليها اغلب وتولدها عنهما اسهل و
هي احر اجزاء البدن وكذلك القلب الذي هو منبعها
فكانت تلك الارواح كالابدان لهذه القوى فلذلك
نسبوا الى النار **تذنيب** فان قلت كيف يتصور المحاربة

بين الانسان والشيطان وهو لا يراه على العيان ولا
يشاهده فى المكان قلت قد ظهر جوابه على مسلك الفلاسفة
واما على طريقة المتكلمين فمحاربة الشيطان للانسان
عبارة عن تسويله ووسوسته وتزيينه له ما حرمه الله
عليه ودعوته الى ذلك رجاء ان يغلبه بذلك فيهلكه
كما قال وما لى كان عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لى وحقيقة محاربته ان الانسان بينما هو ذاهل
عن الشئ ذكره ذلك فيحدث له ميل جازم يترتب الفعل
على حصول ذلك الميل فمحاربته ذلك التذكير واجابته
حصول ذلك الميل الذى هو من شان النفس ولذلك
قال المحققون الشيطان الاصلى هو النفس وذلك
ان الانسان اذا احس بشئ او ادركه يترتب عليه شعوره
بكونه ملائما له او منافرا ويتبع هذا الشعور الميل الجازم
الى الفعل او الترك وكل هذه الاشياء من شان النفس

ولا يدخل

ولا مدخل للشيطان فى شئ من هذه المقامات الا بان يذكره
شيئا مثل ان الانسان كان غافلا عن صورة امراة فيلقى
الشيطان حديثها فى خاطره قال امين الاسلام الطبرسى
فى الاية المذكوره دلالة على ان الشيطان لا يقدر على
اكثر من الدعاء والاغواء وانه ليس عليه عقاب معاصيهم
وانما عليه عقاب الدعوة فحسب ومحاربة الانسان للشيطان
عبارة عن كفه نفسه عن اطاعته واجابته الى ما يدعوه
اليه ويسوله له وذلك انما يكون بتوفيق الله ونصرته
على فعل الطاعة وترك المعصية وعدم الالتفات الى
ما يلقيه اليه الشيطان من خطراته فانه بذلك يقهره
ويغلبه ومما يطرد اللعين عن الانسان ذكر الله تعالى
كما ورد عن النبى صلى الله عليه وآله ان الشيطان واضع
خطمه على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله خنس وان نسى
التقم قلبه والخطم من كل طاير منقاره ومن كل دابة مقدمه

انفه وفيه وعنه صلى الله عليه وآله ان الشيطان ليجثم
على قلب بني ادم له خرطوم كخرطوم الكلب اذا ذكر العبد
الله عز وجل خنس اي رجع على عقبيه واذا غفل عن
ذكر الله تعالى وسوس وعن ابن عباس ان الله تعالى
جعل الشيطان يجري من بني ادم مجرى الدم قيل
وجريانه اما حقيقي فانه لطيف من نار لا يمتنع سريانه
كالدم او مجازي لكثرة وسوسته وعلاجه سد المجاري
بالجوع وقيل انه يلقي الوسوسة في مسام لطيفة فتصل
الى القلب وقيل معنى جريانه مجرى الدم انه لا يفارق
ابن ادم ما دام حيا كما لا يفارقه دمه وهذا على ضرب
المثل والجمهور حملوه على ظاهره قالوا ان الشيطان
جعل له هذا القدر من التطرق الى باطن الادمي
بلطافة هيئته فيجري في العروق التي هي مجاري الدم
الى ان يصل الى قلبه فيوسوسه على حسب ضعف ايمانه

وقلة

وقلة ذكره وكثرة غفلته ويبعد عنه ويقل تسلطه و
سلوكه الى باطنه بمقدار قوته وتيقظه ودوام ذكره
واخلاص توحيده وقيل ان ابليس قال يا رب انك خلقت
ادم وجعلت بيني وبينه عداوة فسلطني عليه فقال
جعلت صدورهم مساكن لك فقال رب زدني فقال
لا يولد ولد لآدم الا ولد لك عشرة فقال رب زدني فقال
تجري منهم مجرى الدم فقال رب زدني قال اجلب عليهم
بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد
فشكى ادم الى ربه فقال يا رب انك خلقت ابليس وجعلت
بيني وبينه عداوة وبغضاء وسلطته علي وانا لا اطيقه
الا بك فقال الله تعالى لا يولد لك ولد الا وكلت به ملكين
يحفظانه من قرناء السوء قال رب زدني قال الحسنة
بعشر امثالها قال رب زدني قال لا احجب
عن احد من ولدك التوبة ما لم يغرغروا والغرغرة تردد

الروح فى الحلق وفى الكافى بسند صحيح عن احدهما
عليهما السلام قال ان ادم عليه السلام قال يا رب سلطت
الشيطان على واجريته منى مجرى الدم فاجعل لى شيئا
فقال يا ادم جعلت لك ان هم من ولدك بسيئة لم تكتب
عليه فان عملها كتبت له سيئة ومن هم منهم بحسنة
فان لم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له
عشرا قال رب زدنى قال جعلت لك ان من عمل منهم
سيئة ثم استغفر غفرت له قال يا رب زدنى قال
جعلت لهم التوبة وبسطت لهم التوبة حتى تبلغ النفس
هذه قال يا رب حسبى هذا وقوله فقد وكلنى اى
الجانى ومنه وكلت امرى الى فلان اى الجاته اليه
واعتمدت فيه اليه كذا فى نهاية ابن الاثير وفى القاموس
وكل الامر اليه وكلا ووكولا سلمه وتركه وحيث ظرف
المكان بمنزلة حين وهو ظرف الزمان ويجوز ان يكون

مستعارا

مستعارا للزمان وهو على المشهور بين اكثرهم مبنى على
الضم اضيف الى الجملة كما فى قولك قعد زيد حيث قعد
عمرو ام الى المفرد كما فى حيث النصب والحرمان اما على
الاول فلمشابهته بالظروف والغايات فى حذف المضاف
اليه لان الجملة المضاف هو اليها لما كانت مأولة الى
المفرد كانت كانها محذوفة واما على الثانى فلان
اضافته الى المفرد لما كانت نادرة والنادر كالمعدوم
حكما حكموا عليه بالبناء واجروا عليه حكم الاغلب
الاكثر خلافا لبعضهم حيث ذهب الى انه فى هذه
الصورة معرب لانتفاء ما يوجب بنائه فعلى الاول
حيث هنا مضموم وعلى الثانى مجرور والنصب التعب
ومنه فاطمة بضعة منى ينصبنى ما انصبها اى يتعبنى
ما اتعبها والحرمان مصدر حرمه الشئ حرمانا بالكسر
منعه والمحروم الممنوع من الخير ووجهه ظاهر فان

عداوة الشيطان للانسان بالجبلة والذات فاذا وجد
معاونا وهو النفس الامارة بالسوء غلب عليه وظفر
به وخاصة عند خذلانه تعالى وترك نصره فيأسره
ويستعبده ويستخدمه فى مرادات المشاكلة لافعاله
القبيحة واعماله السيئة وتصير تلك الاشياء عادة
للانسان وجبلة فيه وطبيعة ثانية فتصير النفس الناطقة
التى هى جوهرة شريفة ودرة نفيسة شيطانة فتكون
من الهالكين محشورة مع الشياطين محرقة بنار
الجحيم مشاركة لهم فى عذاب الجحيم فنعوذ بالله من الشيطان
الرجيم **الهى اترانى انبتك من خيبة** — الانسه
الامال ام علقت باطراف حبالك — الانسه
حين باعدتنى ذنوبى عن دار الوصال
حرف النداء محذوف كما فى يوسف اعرض عن هذا
يعنى اخبرنى يا الهى عن حالى هل انبتك وقت — دون ود

الامال

الامال وكلمة ام متصلة ويكون لطلب تعيين احد الامرين
وعلامتها ان تكون معادلة لهمزة الاستفهام كما
فى قولك ادبس فى الاناء ام عسل ويجوز ان تليها الجملة
والمفرد بخلاف المنقطعة اى اخبرنى اى الفعلين كان
واقعا والهمزة لانكار الفعل اى لم يقع شئ منهما ولكن ماكان ع
ينبغى عدم وقوعهما وهذا معنى التوبيخ والتنبيه
على الخطاء لترتدع وتنزجر عما كانت تفعله فيما مضى
ففى هذا الاستفهام تقرير بمعنى التحقيق والتثبيت
فان عدم وقوعهما امر ثابت محقق وانكار بمعنى انه
ماكان ينبغى ان يكون ماكان ويوجد فى بعض النسخ
لفظة الابعد قوله انبتك وقوله باطراف حبالك و
الاظهر عدمها لانه عليه السلام فى مقام الاعتراف
بعدم رجوع النفس عن المعاصى والذنوب والاثام
بعدم انقلاعها عن المساوى والعيوب وفى صدد

توبيخها وتهديدها بانها مع كونها ذات امال وذنوب
لاتاتي اليه لاجل الامال بل تاتي غيره ولا تعلق باطراف
حباله حين باعدتها ذنوبها عن دار الوصال بل
لاترجع ولاتتوب عما صدرت عنها من الذنوب ولا تتنبه
على قبايح اعمالها وشنايع افعالها وهذا من خصايص اقوالها ن د
النفس الاماره واما على النسخة الاخرى فلعله اشاره
الى مقام النفس اللوامه بانها لاتاتي الله الا من جهة
الامال ولاترجع اليه الا وقت البعد عن دار الوصال
واما في غيرها بين الحالين فلا وهذا ايضا قبيح مذموم
واجب تركه بل ينبغي عبادته والنظر مقطوع عن جلب
النفع ودفع الضر كما اشار اليه على خير البشر ما عبدتك
خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك بل وجدتك اهلا
للعبادة فعبدتك والاولى ان يكون اصل الكلام
صادرا عن اللوامه واللوم فيه متوجها الى الاماره

وكلمة من تعليليه مثلها في قوله تعالى مما خطيئاتهم اغرقوا
فادخلوا نارا وقوله يغضي حياء ويغضى من مهابته
وقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب اى لمكان
الامال والحبل الرباط والرسن والعهد والذمة
والامان والجمع الحبال قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم
يخيل اليه انها تسعى وانما اسند التعلق الى اطراف
الحبال دون نفسها اظهارا للعجز والقصور والمراد
بها هنا التوبة والانابة والندامة على ما مضى ونية
ترك المنهيات وفعل المامورات فيما ياتي من زمان
التكليف فانها اسباب اذا علق المذنب باطرافها
توصله الى دار الوصال وتقربه الى من هو منتهى
الامال والدار محل يجمع البناء والعرصه ففي الكلام
استعارة تصريحيه او تشبيه للمعقول بالمحسوس فان
دار وصاله تعالى عبارة عن محل الزلفة لديه حيث

تناله غواشي رحمته وفضله وكرامته الدائمة الذي لا
يتغير صاحبه بعلة القهر ولا يزول عنه بالستر و
الحجاب فهو كناية عن القرب منه والرفعة عنده
بواسطة نيل الثواب تشبيها بالقرب المكاني وليس
المراد به الملاصقة في المساكن ولا بالوصال اتصال
شيء بشيء كما يتوهمه المجسمة ومن يحذو حذوهم تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا بل المراد التبتل والانقطاع
الى الله والتجافي عن دار الغرور والترقي الى عالم النور
والانس بالله والوحشة عما سواه وتصيير الهموم هما
واحدا بجعل الفكر مستغرقا في اسرار الملكوت و
قصر الحواس على اجتلاء انوار الجبروت فان العارف
اذا جلس متخليا بربه يلقى ذلك راحة لنفسه وفراغا
لسره ودعة لعقله وطمانينة لقلبه ونورا مشرقا
قد جلله وتاج بهاء تكلله فصار جليسا لربه ودثارا

لخالقه ومفرحا على رانقه ومنادما لمالك دار الفناء
ودار البقاء ومشرفا بحضرة سلطان السماء وهو تتوق
نفسه في اوقات البكاء والدعاء اليه تعالى كما تتوق نفس
المريض الى العافية والشفاء والعطشان الى لذيذ الشرب
والماء قيل لراهب ما اصبرك على الوحدة قال انا
جليس ربي اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا
شئت ان اناجيه صليت وفي كتاب التوحيد عن
الصادق ع ان روح المؤمن لاشد اتصالا بروح الله
من اتصال شعاع الشمس بها وفي مصباح الشريعة
عنه ع العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سهى
قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقا اليه والعارف
امين ودايع الله وكنز اسراره ومعدن نوره ودليل
رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله
قد غني عن الخلق والمراد والدنيا ولا مونس له سوى الله

ولا نطق ولا اشارة ولا نفس الا بالله من الله مع الله فهو
في رياض قدسه متردد ومن لطائف فضله متزود و
المعرفة اصل فرعه الايمان وعن العسكري ع من انس
بالله استوحش من الناس وعلامة الانس بالله الوحشة
من الناس وسئل الصادق ع ما بال المتهجدين احسن
الناس وجها قال لانهم خلوا بالله سبحانه فكساهم من
نوره وعنه عليه السلام عن ابيه قال كان فيما اوحى الله
الى موسى بن عمران كذب من زعم انه يحبني فاذا جنه
الليل نام يابن عمران لو رايت الذين يصلون لي في الدجى
وقد مثلت نفسي بين اعينهم يخاطبوني وقد جليت
عن المشاهدة ويكلموني وقد عززت عن الحضور
يابن عمران هب من عينك الدموع ومن قلبك
الخشوع ومن بدنك الخضوع ثم ادعني في ظلم الليل
تجدني قريبا مجيبا وعن سيد الساجدين ع في مناجاته

للمحبين

للمحبين الهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبتك فرام منك
بدلا ومن ذا الذي انس بقربك فابتغى عنك حولا الهي
فاجعلنا ممن اصطفيته لقربك واخلصته لودك ومحبتك
وشوقته الى لقائك وارضيته بقضائك ومنحته بالنظر
الى وجهك وحبوته برضاك واعذته من هجرك وقلاك
وبواته مقعد الصدق في جوارك وهذا الكلام منه عليه السلام
اشارة الى الجنة العقلية التي للمقربين وهي جوار الله وحضرته
المشار اليها بقوله سبحانه ان المتقين في جنات ونهر في
مقعد صدق عند مليك مقتدر فلا يبعد ان يراد بدار
الوصال هذه الجنة والمجاورة قال صاحب عرايس
البيان وصف الله سبحانه بقوله هذا منازل المتقين
الذين اقبلوا على الله بنعت المعرفة والمحبة وخرجوا مما
دونه من البرية وتلك المنازل عالم الشهادة ومقاماتها
الغيبية جنانها زخارف الانس وانوارها انوار القدس

اجلسهم الله على بساط الزلفة والمداناة التي لا يتغير صاحبها
بعلة القهر ولا يزول عنها بالحجاب والستر لذلك سماه
مقعد الصدق اي محل كرامة دائمة وقربة قائمة و
مواصلة سرمدية وزلفة ابدية انتهى وسئل ابو جعفر
الشاشي من الغريب فقال الذي يطلبه رضوان في
الجنة فلا يجده ويطلبه مالك في النار فلا يجده ويطلبه
ويطلبه مالك في النار فلا يجده ويطلبه جبرئيل في
السموات فلا يجده ويطلبه ابليس في الارض فلا يجده
فقال له اهل المجلس وقد تفطرت قلوبهم يا ابا جعفر
فاين يكون هذا الغريب فقال في مقعد صدق عند
مليك مقتدر قال بعض العارفين من اصحابنا ان
هؤلاء الاصفياء وان كانوا من جهات هوياتهم العقلية
مقربين منه تعالى جالسين في مقعد الصدق بحضرة
الجبروت ولكنهم من جهة نفوسهم المطيعة لامر الله المسلمة

لحكمه يسرحون في مراتع اللذات ويتنعمون بنعيم الجنان
فلارواحهم التي هي عقول بالفعل جنان معنوية من المعارف
والعلوم ولانفسهم جنان صورية من اللذات والشهوات
تنالها من طريق قواها الحسية والعملية من اكل وشرب
ونكاح وغيرها جزاء بما صبرت في الدنيا من لذاتها
وحبست عنه قواها من شهواتها والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار
هذا ولما كانت الذنوب المبعدة عن دار الوصال من
دواعي النفس الامارة بالسوء ومشتهياتها البهيمية
السبعية من الكبر والحسد والغل والغرور والحرص
وحب الجاه والمال وما شاكلها ذمها وفرع على
الفقرة الماضية

بِئْسَ المَطِيَّةُ الَّتِي امْتَطَتْ نَفْسِي مِنْ هَوَاهَا

فان الهوى ما دام متمكنا في ارض النفس لا يمكن حسم مواد

هذه الآفات عنها دائماً بل كلما دفعتها عادت الى
ما كانت اولاً والا لزم تخلف المعلول عن علته التامة
والمطية فاعل فعل الذم والموصول بصلته صفة المخصوص
بالذم وهو المطية المحذوفة المعينة بصفته للمطية المذكورة
لان اللام فيها للعهد الذهني وهي لواحد غير معين
يصير معيناً بذكر المخصوص ففي الكلام تفصيل بعد
الاجمال فيكون اوقع في النفس ومن هواها
بيان للمطية المخصوصة بالذم فهو المخصوص به حقيقة
لانه قال فبئس المطية واجمل فكانه سئل عنها لقاء
وقيل ما هي فقال هي هوى نفسي الذي امتطيته
اي جعلته مطية لها تمطي بها في السير اي تمدد وتنزع
ولا تقف الى حد وهذا بعينه حال الهوى فانه
سريع السير مديد الذهاب جداً لا يقف موقفاً
اصلاً ولذلك شبهه بالمطية وبينها به والمطية

الناقة التي تركب مطاها اي ظهرها يقال مطا اذا
جد في السير واسرع وهذا مقام النفس اللوامة والذم
فيه بتوجه الى الامارة فدل الكلام على انه عليه السلام
كان ماقتاً عليها نادماً عما صدرت عنها من الذنوب
تائباً عما ارتكبه من المساوي والعيوب وهذا من
اجل المقامات واشرف الصفات واحسن السمات
روي ان عابداً عبد الله سبعين عاماً صائماً نهاره
قائماً ليله فطلب الى الله حاجته فلم تقض فاقبل نفسه
فقال من قبلك اتيت لو كان عندك خير قضيت
حاجتك فانزل الله اليه ملكاً فقال يا ابن آدم
ساعتك التي ازريت فيها على نفسك خير من
ترتيب عبادتك التي مضت

توبيخ النفس ومعاتبتها

باب عظيم في ابواب المرابطة في سبيل الله فان للعارفين
في سبيل الله مرابطتهم مع انفسهم مقامات خمس المشارطة

ثم المراقبه ثم المحاسبه ثم المعاتبه ثم المعاقبه
وضربوا لذلك مثالا فقالوا ينبغي ان يكون حال
الانسان مع نفسه حاله مع شريكه اذا اسلم اليه مالا
ليتجر به فالعقل هو التاجر في طريق الاخره ومطلبه
وربحه تزكية النفس اذ بها فلاحها قد افلح من زكيها
فالعقل يستعين بالنفس في هذه التجاره اذ يستسخرها يستسخرها له
فيما يزكيها كما يستعين الانسان بشريكه وكما ان الشريك
يصير خصما منازعا يجاذبه في الربح فيحتاج ان يشارطه
اولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه رابعا
ويعاقبه خامسا فكذلك العقل يحتاج الى هذه
المقامات الخمس الاول المشارطه وهي ان يشارط
النفس اولا فيوظف عليها الوظايف ويامرها
بسلوك طريق ويرشدها اليه ويحرم عليها غيره
كما يشترط التاجر على شريكه الثاني المراقبه وهي ان
لا يغفل

لا يغفل عنها لحظه فلحظه عند خوضها في الاعمال ويلاحظها
بالعين الكالئه فان الانسان ان غفل عن نفسه واهملها
لم ير منها الا الخيانه وتضيع راس المال كالعبد الخائن
اذا انفرد بمال سيده الثالث المحاسبه وهي ان يحاسبها
بعد الفراغ من العمل ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها
اولا فان هذه تجارة ربحها الفردوس الاعلى فتدقيق
الحساب في هذا اهم من التدقيق في ارباح الدنيا
لحقارتها بالنسبه الى نعيم الاخره فلا ينبغي ان يترك مناقشتها
في ذرة من حركاتها وسكناتها وخطراتها ولحظاتها
فان كل نفس من انفاس العمر جوهره نفيسه لا عوض لها
يمكن ان يشترى به كنز من كنوز الاخره لا يتناهى نعيمه
ولا يظعن مقيمه قالوا وينبغي للانسان ان يخلو عقيب
فريضة كل صبح بنفسه ويقول لها اي نفس مالي بضاعة
الا العمر ومهما فني فقد فني راس مالي ووقع الياس من

التجارة وطلب الربح وهذا يوم جديد قد امهلني الله
فيه ولو توفاني لقلت رب ارجعوني لعلي اعمل صالحا فيما
تركت فاحسب انك توفيت ثم رددت فاياك وتضييع هذا
اليوم والغفلة فيه الرابع المعاتبة والتوبيخ وقد علمت
ان لك نفسا امارة بالسوء ميالة الى الشر وقد امرت
بتقويمها وقودها بسلاسل القهر الى عبادة ربها
وطاعة خالقها فسبيل المعاتبة والتوبيخ ان تعد على
النفس عيوبها وتذكر لها ما هي عليه من الجهل في ارتكاب
المعاصي وانحرافها عن سلوك سبيل الله لتذل وتنكسر
وتضعف سورة شهوتها وتستعد بذلك الى استنزال
رحمة الله تعالى ورافته قال بعض العارفين النفس شرودة
جموح فان اهملتها لم تظفر بها بعد ذلك وان لازمتها
بالتوبيخ والمعاتبة والملامة كانت نفسك هي النفس اللوامة
الخامس المعاقبة والمجاهدة وذلك اذا راى نفسه قد قارفت

معصية

معصية او همت بها فينبغي ان يعاقبها بالتضييق عليها
في الامور المباحة ويأخذ بالصبر عنها واذا راها توانت
وتكسلت عن شيء من الفضائل وورد من الاوراد فينبغي
ان يؤدبها بتثقيل الاوراد عليها ويلزمها فنونا من
الطاعات جبرا لما فات

وَآهًا لَهَا لِمَا سَوَّلَتْ لَهَا ظُنُونُهَا وَمُنَاهَا

اي تلهفا او توجعا او تعجبا فان واها في الاصل من
الاصوات الجارية على لفظ الانسان ثم نقل الى باب المصادر
ولزمته المصدرية من غير ان يصير اسم فعل فحكمه حكم
المصادر وهو للتعجب وفي الحديث من ابتلي فصبر فواها
واها قيل معنى هذه الكلمة التلهف وقد توضع موضع
الاعجاب بالشيء يقال واها له وقد ترد بمعنى التوجع
وقيل التوجع يقال فيه آها ومنه حديث ابي الدرداء
ما انكرتم من زمانكم فيما غيرتم من اعمالكم ان يكن خيرا

فواها واها وان يكن شرا فآها آها وفي كتب الادبية
في افعال التعجب واها كلمة تستعمل في التعجب منصوبة
على المصدرية ولم يجئ فعلها عند الاكثر وقال
الجوهري تعجب عن طيب الشيء فقلت واها له اي
ما اطيبه والتسويل تحسين الشيء وتزيينه وتحبيبه
الى الانسان بفعله او بقوله يقال سولت له نفسه كذا
وسول له الشيطان اغواه وفي التنزيل بل سولت لهم
لهم انفسهم ما كانوا يعملون وانما اسند التسويل الى
ظنونها ومناها ليدل بذلك على خستها وغرورها
بانها تظن امرا وتتمناه فيصير بذلك عندها محبوبا
مستحسنا مقبولا فاستاثرته فتفعله وهي على غير بصيرة
ويقين منه فانها مثلا تتمنى البقاء في الدنيا ولا
بقاء فيها فتاخذ في تحصيل ما يحتاج اليه من اهل
ومال وادوات واسباب وتؤخر التوبة والاقبال
على

على الامور الاخروية الى الكهولة ومنها الى الشيخوخة
وهكذا من وقت الى وقت ومن يوم الى يوم ومن
شهر الى شهر ومن سنة الى سنة وهذا منها مجرد
تسويل شيطاني وتغرير نفساني مستند الى ظنونها
ومناها فانها ليست على يقين من بقائها الى الكهولة
فربما ياتيها موتها من ساعتها بغتة فيتخطفها وهي
غافلة عنه غير مستعدة له مستغرقة في الدنيا وامورها
فتطول حسرتها وندامتها في الاخرة وهذا منها
غريب عجيب   توقع هجوم الموت في كل ساعة
فانك لا تدري متى الموت نازل   فما عذر من يلهو
وقد شاب راسه   وقد نفدت اياما وهو غافل
وَتَبًّا لَهَا لِجُرْأَتِهَا عَلَى سَيِّدِهَا وَمَوْلَاهَا
التب النقص والخسار والقطع والهلاك تبت يدا
ابي لهب يقال تب يتب تبا فهو منصوب بفعل مضمر

متروك الاظهار اى تبت نفسى تبا لجراتها بالاقدام
على معصية سيدها والاحجام عن طاعته فالمضاف
محذوف واضافة الجراة الى الضمير لقصد تعظيم شان
المضاف فان تعظيم الذنب حال الاعتراف والاعتذار
ادعى لقبول التوبة واما اضافة السيد الى الضمير
فاما للتهويل او تعظيم شان المضاف او اظهار التاسف
والتحسر على عدم اطاعته وانقياد امره والتعبير عنه
بانه سيده ومولاه ادخل فى المقصود والاضافة اخطر
الطرق الموصلة اليه او للتنديم بانه ما كان ينبغى
للعبد ان يجترئ على سيده وسيما سيد السادات
ومالك الملوك الذى اوجده وانعم نعمة ظاهرة
وباطنة غير متناهية ان تعد وانعمة الله لا تحصوها
والجرءة بالضم الشجاعة وهى حرامة القلب على الاهوال
وربط الجاش فى المخاوف وهى فضيلة بين التهور والجبن

فالتهور

فالتهور والجبن فالتهور هو الثبات المذموم فى الامور
المعطبة والجبن هو الفزع من الامور المعطبة فان قلت
كيف على امام معصوم ان تسول له نفسه ويغلب عليه يجوز
هواه الى ان يجترئ على سيده ومولاه قلت هذا من باب
تعبيرهم بالفعل عن مشارفته اى شارفت ان تسول نفسى
لا ان التسويل قد وقع فهو من قبيل وليخش الذين
لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم اى شارفوا
ان يتركوا ليصح وقوع خافوا جزاء لانتفاء الخوف بعد
الموت ومنه قول الشاعر الى ملك كاد الجبال لفقده
تزول وزال الراسيات من الصخر فان المراد شارفت
الزوال لا ان الزوال وقع وعلى هذا فلا بعد فى ان
يقال ان المعصوم لما كان فى قالب بشرى وجلباب
ناسوتى وكانت له قوى حيوانية متجاذبة متداعية
الى الشر والضر شارفت ان تسول له المعصية والجراة

عليها وليس في ذلك ما ينافي العصمة او يكون هذا
من باب عدّهم للاشتغال بالمناجاة ذنبا واعتقادهم
كونه خطيئة مع ما فيه من كمال الخضوع والخشوع له
تعالى والاعتراف بالتقصير او كانوا لا يخرجون انفسهم
عن حدّ التقصير ابدا في جميع الطاعات والعبادات
وسيأتي فيه كلام ابسط او يكون هذا من باب تعليمهم
الامة والرعية كيفية الطاعة والعبادة والخضوع و
الخشوع هذا والمولى اسم يقع على جماعة كثيرة والمراد
به هنا اما الرب او المالك او المنعم او المعتق بالكسر
او السيد فالعطف تفسيري ولما نبّه بسوء حاله و
شناعة مآله وذمائم افعاله وقبائح اقواله واستشعر
منه خوفا وندم عما كان منه رجع الى قرع باب الرجاء
والهرب من كثرة الاهواء فقال

إلهي قَرَعْتُ بابَ رَحْمَتِكَ بِيَدِ رَجائي وَهَرَبْتُ

إليك

إِلَيْكَ لاجِئًا مِنْ فَرْطِ أَهْوائي

مالي سوى قرعي لبابك حيلة فلئن رددت فاي باب
اقرع القرع الدق والضرب قرع ناقته ضربها بسوطه
ومنه ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من
قراع الكتائب ومنه من قرع الباب ولجّ ولج ومنه
ما ورد في الخبر من تكرر قرع الباب يفتح له والرجاء
بالفتح والمد حالة نفسانية موجبة لفرحها بسبب توقع
امر مطلوب مظنون حصوله ويقال لجأت الى فلان
اذا استندت اليه واعتضدت به والفرط من افرط
في الامر اذا جاوز فيه الحد اي من كثرة اهوائي وتجاوزها
الحد وبيد رجائي متعلق بقرعت وفيه استعارة با
الكناية وتخييل وكذا في تشبيه الرحمة بالنفائس
المصونة في دار مغلق بابها استعارة واثبات الباب
تخييل والقرع ترشيح والبواب الديار الفاتح لبا

الرحمة هو المخاطب جلت عظمته وعمت رحمته ومن فرط
اهوائى متعلق بهربت والاضافة لامية واليك متعلق
بلاجيا وهو منصوب على الحالية من ضمير المتكلم اى
ولبث عنك مستندا اليك ظهرى ومعتضدا بك
فهرى فتشبيه الاهواء المفرطة بالاعداء المهلكة والهرب
منهم والالتجاء الى الله تعالى استعارة بالكناية وترشيح
وفيه دلالة على غالبية تلك الاهواء الطاغية ومغلوبية
النفس الضعيفة وانقيادها فى الغلبة عليها وجعلها
منقادة تحت قلم العقل الى اعانة الله تعالى ونصرته
والاعتصام بحضرته

وَعَلِقَتْ بِاَطْرَافِ حِبَالِكَ اَنَامِلُ وَلاَئِى

محبتى اياك فالاضافة لامية والاستعارة مكنية و
تخييلية وترشيحية حيث شبه الولاء بالشخص الانسانى
ثم اثبت له الانامل والعلاقة او عبوديتى او معتقيتى

لك لانك منعم تبرعا ولم تتبرع من ظمان جربى وليس
لى وارث سواك والانملة رؤس الاصابع وفيه
وفى اسناد العلاقة الى الاطراف نوع اشعار بالعجز والقصور
كما سبق فى نظيره والولاء بالفتح اصله القرب والدنو
ويطلق على ولاء العتق وهو تقرب احد الشخصين
بالاخر على وجه يورث الارث بغير نسب ولا زوجية
وفى اطراف حبالك استعارة تصريحية وترشيح او
تخييل ولما اعترف بمساويه واقر بذنوبه ومعاصيه
ثم التجاء الى الله قارعا باب رحمته عالقا باطراف حباله
وهو تعالى حث على التوبة والندم وكتب على نفسه الرحمة
والكرم فقال توبوا الى الله جميعا ان الله هو التواب الرحيم
ان الله يغفر الذنوب جميعا فرع على ذلك قوله

فَاَصْفَحِ اللّٰهُمَّ عَمَّا كَانَ مِنْ ذَلَلِى وَخَطَائِى

ايماء الى ان الاعتراف بالذنوب والاقرار بالمعاصى و

العيوب موجب لغفرانها سبب لكتمانها باعث لسترها
ففي الكافي عن الباقر عليه السلام اما والله ما اراد الله
من الناس الا خصلتين ان يقرّوا بالنعم فيزيدهم وبالذنوب
فيغفرها لهم وعنه عليه السلام والله ما ينجو من الذنوب الا من
اقرّ بها وقال الصادق عليه السلام والله ما خرج عبد
من ذنب الا بالاقرار وفي الاقرار خمس فوائد الانقطاع
الى الله والانكسار للقلب وفيه من الفضيلة ما لا يخفى ان الله
عند المنكسرة قلوبهم وربما يحصل عنده رقة القلب
وهي دليل الاخلاص وعنده تكون الاجابة وربما كان
سبب البكاء وهو سيد الاداب الخامس موافقة امر الباقر بن
عليهما السلام والصفح العفو والتجاوز واصله من الاعراض
بصفحة الوجه كانه يعرض بوجهه عن ذنبه ومنه الصفوح
في صفة الله وهو العفو عن ذنوب العباد والمعرض عن عقوبتهم
تكرما وقيل الصفح هو ان تعرض عن الشيء وتوليه بصفحة

وجهك

وجهك وتبقى له اثرا ما والعفو ان تعفو فلا تبقي له اثرا وقيل
العفو ان لا تواخذ والصفح الاعراض وعدم التثريب
والاعراض فهو من حيث شموله لعدم تذكر الخيانة كان
ابلغ ولعله لذلك اخّره والعفو ابلغ من وجه آخر وهو المحو
بالكلية من عفى الرسم اذا ذهب اثره ومنه رسم عفى من بعد
ما قد انمحى وكلمة ما عبارة من الذنوب والمعاصي وكان
تامة ولفظة من تعليلية اي عن الذنوب التي وقعت
وصدرت مني لاجل زللي وخطائي ويحتمل ان يكون
مبهمة مفيدة للعموم مفسرة بمدخول من ولفظة من
بيانية والزلل الخطاء والذنب فالعطف للتفسير واصله
من زلت القدم اذا زلقت ولم تثبت ففيه استعارة مصرحة
او تشبيه للمعقول بالمحسوس وقال الزمخشري هو نوع من
انتقال الجسم من مكان الى مكان يقال زلّ عن مكانه زلّا
من باب ضرب تنحى والاسم الزلة بالكسر والزلّة بالفتح المرة

ثم استعير للزوال عن الحق والصواب والخطاء مهموزا بفتحتين
ضد العمد وهو ان تفعل شيئا من غير ان تقصد فعله
ومنه رفع عن امتى الخطاء والنسيان وما استكرهوا
عليه وقيل انه العدول عن الصواب بان يريد غير ما
تحسن ارادته فيفعله وهو الماخوذ به او يريد ما يحسن
فعله ولكن يقع لخلاف ما يريد او يريد ما لا يحسن فعله
ويتفق منه خلافه فهو مخطى ارادة مصيب فعلا فهو مذموم
بقصده غير محمود بفعله وقد يطلق على المعصية وان كان
فاعلها متعمدا من حيث انها ضد الصواب والخطأ
الذنب والاثم يقال خطاء في ذنبه خطاء اذا اثم فيه

وَاَقِلْنِي اللّٰهُمَّ مِنْ صَرْعَةِ رِدَائِي

الصرعة بضم الصاد وفتح الراء الذي يصرع الناس ولا
يصرعونه وبفتح الصاد وسكون الراء مصدر صرعه
اذا رماه والقاه على الارض ومنه المصروع وهو المختل

الفاسد

الفاسد العقل لمرض يعرض له في العقل والفكر فيورثه
اضطرابا كالجنون فيلقيه على الارض والعامة يزعمون
ان الشيطان يتخبطه فيصرع وبعضهم يظنون ان الجن
يمسه فيختلط عقله والرداء بالمد معروف وهو الثوب
او البرد الذي يضعه الانسان على عاتقه وبين كتفيه
وفوق ثيابه شبه به الخطيئة والذنوب والاثام والعيوب
مبالغة في كثرتها واحاطتها واشتمالها وغلبتها من
قبيل قوله تعالى بلى من كسب سيئة واحاطت به
خطيئته او اشعارا بلزومها وعدم انفكاكها عنه كما في
حديث صاحب الدعاء جعلت له الفداء من اراد البقاء
ولا بقاء فليخفف الرداء فالاستعارة تحقيقية او ترشيحية
او يكون من الردى بالقصر الهلاك كما يوجد في بعض
النسخ واراد به هنا الوقوع في الاثم فانه يوجب الهلاك
الابدي والشقاء السرمدي والاضافة من اضافة

الصفة الى الموصوف او لامية اى اقلنى من ذنوبى واثامى

الصادرة والاول اوفق بالفقرة الماضية والثانى

بالتالية **انك سيدى ومولاى**

تعليل للدعاء ومزيد استدعاء للاجابة فان العبد

اذا جنى خطاء فذنبه على سيده ومولاه فكيف اذا

كانت الجناية بالاضافة الى المولى وتاكيد الجملة لغرض (بالنسبة الى السيدية)

كمال قوة يقينه فانك تحذف حرف الجر وهو قياس

مطرد او يقال لما كان مضمون الخبر مظنة التردد والانكار

حسن فيه التاكيد والقول بان المخاطب به هو الله تعالى

وهو لا يتردد فى سيادته ومولويته كيف وهو سيد

السادات ومولى الموالى يجاب بان امثال هذه الخطابات

من قبيل اسمعى يا جارة واكثر ما يخاطب الله به العباد

مما فيه التاكيد من هذا القبيل وقد ذكر الزمخشرى

وعبد القاهر ان له فوايد اخرى غير دفع الشك ورد الانكار

منها

منها الاهتمام بمضمون الكلام وتقريره واظهار كمال العناية

به كما فى انا فتحنا وانا اعطيناك وكم مثلها والمولى اسم يقع

على جماعة كثيرة الرب والمالك والسيد والمنعم والمعتق

والناصر والمحب والتابع والجار وابن العم والحليف

والعقيد والصهر والعبد والمنعم عليه والاولى بالتصرف

ومنه من كنت مولاه فعلى مولاه اى من كنت اولى منه

بنفسه فيضاف كل واحد الى ما يقتضيه المقام وسياق

معنى السيد **ومعتمدى**

لانى لا اعتمد الا بقولك ولا اثق الا بصفحك وافضالك

ولا التفت الى شئ من الوسايط بينى وبينك فاوردت

رجائى عليك مسترفدا فضلك متلبسا بالاعتماد

على وفائك بما وعدت الراجين لك من انجاح مطالبهم

واسعاف ماربهم قالوا من عرف الله بجوده وكرمه وغناه

فضله ورجاه وعلامة رجائه رغبته فى عبادته وخدمته

لطاعته والاعتماد على فضله وخيره وعدم الالتفات
ورجائي الى غيره واليه اشار بقوله ورجائي
لانى لا ارجو الا فضلك والرجا قيل ظن يقتضي حصول
ما فيه مسرة وقيل تعلق النفس بحصول محبوب في المستقبل
وهو على اقسام رجاء لمغفرة مع عدم التوبة عن السيئات
ورجاء لقبول الحسنات ورجاء للتفضل والمصدر بمعنى
المفعول اى مرجوى ففيه مبالغة كما في قوله انما هي
اقبال وادبار وقوله هواى مع الركب اليمانين مصعد
فالمجاز لغوى ويمكن ابقاء المصدر بحاله على ما هو حقيقته
بجعل التجوز في الاسناد وهو اوفق بما عليه ائمة
المعاني حيث رجحوا التجوز العقلي في انما هي اقبال
وادبار على المجاز اللغوي قالوا لم يرد بالاقبال والادبار
غير معناهما الحقيقي حتى يكون مجازا في الكلمة وانما المجاز
في ان جعلها لكثرة ما تقبل وتدبر كانها تجسمت من

الاقبال

الاقبال والادبار فهو سبحانه لما كان حقيقا بان يكون
رجاء كل راج في كل ما يرجو محسنا كان ام مسيئا فكانما
صار رجاء بحتا فالتجوز في الاسناد ينبغي ان يكون
الرجاء معادلا للخوف كما ورد ان ليس من عبد مؤمن
الا وفي قلبه نوران نور خيفة ونور رجاء لو وزن هذا
لم يزد على هذا ولو وزن هذا لم يزد على هذا قال
بعض الاصحاب وذلك لان المؤمن لا يخلو من تصور
اسباب الخوف والرجاء وتجويز وقوع كل واحد منهما
بدلا من الاخر بحيث لا يرجح احدهما على الاخر اذ
لو رجح الرجاء لزم الامن في غير موضعه فامنوا مكر الله
فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولو رجح الخوف
لزم الياس الموجب للهلاك انه لا ييأس من روح الله
الا القوم الكافرون ومنه ظهر ان الخوف غير القنوط
وانه والرجاء ينبغي ان يكونا متساويين مطلقا واما

الرجاء الصرف البحت فذلك قوم قيل لسيدنا الصادق سلام الله
عليه ان قوما من مواليك يلمون المعاصي ويقولون نرجو فقال
كذبوا اولئك ليسوا لنا بموال اولئك قوم رجحت بهم الاماني
ومن رجا شيئا عمل له ومن خاف شيئا هرب منه قال
بعض العارفين الرجاء والخوف كجناح الطائر اذا استوى
استوى الطائر وتم طيرانه واذا نقص احدهما كان جاذبا له جناحا
له فسقط على راسه واذا ذهب هلك الطائر وقال ابو عثمان
المغربي من حمل نفسه على الرجاء تعطل ومن حمل نفسه
على الخوف قنط ولكن ينبغي ان يكون العبد راجيا
ويرجو خائفا **وَغَايَةَ مُنَايَ**
وذلك ان لكل احد مطلوبا في حوائجهم حتى ينتهي
اليك فليس فوقك مطلوب او يطلبون منك الحوائج
بعد ياسهم عن المخلوقين وطلبهم منهم والحاصل
ان الغاية تطلق على المدى والنهاية وعلى امتداد
المسافة

المسافة وعلى الغرض والمقصود من الشيء وعلى الراية
والعلامة وهذه العبارة تحتمل وجوها الاول ان تكون
الغاية بمعنى الغرض والمقصود اي هو جل وعز مقصود
من جعله مقصودا وذريعة من جعله ذريعة اي كل من
له مطلب وعجز عن تحصيله لسعيه يتوسل اليه به تعالى
الثاني ان يكون المراد بها النهاية اي الرب تعالى غاية
امال الخلق يدعونه عند الشدائد باسمائه العظام الثالث
ان يكون المقصود انه تعالى غاية افكار من جعله غاية تفكره
فيه ولكن ذاته غير ما هو غاية افكارهم ومصنوع عقولهم
اذ غاية ما يصل اليه افكارهم ويحصل في اذهانهم موصوف
بالصفات الزائدة الامكانية وكل موصوف كذلك فهو مصنوع
فِي مُنْقَلَبِي وَمَثْوَايَ
في وقت رجوعي عن الدنيا الى الاخرة بعد الموت و
قراري في قبري او الجنة بعد الحساب او بعد النجاة عن

العذاب والمنقلب الانقلاب من السفر والعود الى الوطن
ومنه دعاء السفر اعوذ بك من كآبة المنقلب وهو بفتح اللام
مصدر ميمي بمعنى الانقلاب وهو الرجوع مطلقا اى نرجع
يعني انه يعود كل روح بعد ما فارق البدن الى وطنه
الاصلي ومقامه الحقيقي وسيعلم الذين ظلموا اى منقلب
ينقلبون والمثوى المقام والمسكن والمنزل من ثوى بالمكان
يثوى اذا اقام فيه والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما
تاكل الانعام والنار مثوى لهم والله يعلم منقلبكم ومثويكم
والجار بمجروره اما متعلق بكل من الغفرات الثلث او مقصور
على الاخيرة منها اى انت غاية مناى في انقلابي من سفري
هذا وانا ناسى في جوارك ودارك ولما طلب منه عز اسمه
الصفح عن ذنوبه والاقالة من صرعة عيوبه ودوام الاقامة
في جواره وداره وكان الوهم يزاحم العقل في ذلك زعما
منه انه يطرده ويرده ويخيبه عما قصده استبعد منه

ذلك فقال

الهي

كيف تطرد مسكينا التجأ اليك من الذنوب هاربا

الاصل في كيف ان يسئل به عن الحال اى عن كيفية الشئ
وصفته التي هو عليها وهي هنا للاستفهام لا بمعنى الانكار
الواقع كما في قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا الاية
بل بمعنى انكار الوقوع والتعجب منه كما في قوله تعالى كيف
يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الاية
وفي توجيه الانكار الى كيفية طرده تعالى المسكين الملتجى
اليه من المبالغة ما ليس في توجيهه الى نفس طرده بان
يقال اتطرد مسكينا التجاء اليك لان كل موجود يجب
ان يكون وجوده على حال من الاحوال فاذا انتفى جميع
احوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني
وهو اعني كيف في محل النصب على التشبيه بالحال او
الظرف اى على اى حال او في اى حال وصفة تطرد مسكينا

والطرد الدفع والابعاد طردت الرجل طردا اذا ابعدته
فهو مطرود وطريد وطردته اى دفعته والمسكين من
المسكنة وهى الذلة والانقياد وهو مفعيل من السكون
ويطلق على من لا كسب له ولا مال يفى بمؤنته وهل
هو اسوء حالا ام الفقير خلاف والحق انه اسوء حالا
لما ورد فى الصحيح عن ابى عبد الله الصادق عليه السلام
انه قال الفقير الذى لا يسأل الناس والمسكين اجهد
منه والبائس اجهدهم والمراد به هنا من لا حسنة
له ولا قدرة له على كسب حسنة بل هو مغمور فى بحار
الذنوب مستور فى حجب العيوب فهو اسوء حالا من
الفقير ولذا اثره عليه وفى الكلام استعارة تحقيقية
تصريحية او استعارة تمثيلية وجملة النجاء اليك
منصوبة محلا صفة له والالتجاء الاستناد والاعتصام
يقال لجأت الى فلان والتجأت وتلجأت اذا استندت

اليه

اليه واعتضدت به اى النجاء الى رحمتك ومغفرتك
وعفوك وصفحك بحذف المضاف وهاربا حال من
ضمير الفاعل ومن الذنوب متعلق به والهرب الفرار
وهما مترادفان وفرار العبد الى الله تعالى مراتب فاولها على م
الفرار من بعض آثاره الى بعض كالفرار من اثر غضبه
الى اثر رحمته كما قال تعالى حكاية عن المؤمنين فى التضرع
اليه ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا الاية فكانهم لم يروا الا الله تعالى
وافعاله ففروا من بعضها الى بعض الثانية ان يفنى
العبد عن مشاهدة الافعال ويترقى فى درجات
القرب والمعرفة الى مصادر الافعال وهى الصفات
فيفر من بعضها الى بعض كما ورد عن زين العابدين ع
اللهم اجعلنى اسوة من قد انهضته بتجاوزك عن مصارع
المجرمين فاصبح طليق عفوك من اسر سخطك و

والعفو صفتان فاستعاذ باحديهما من الاخرى الثالثة
ان يترقى عن مقام الصفات الى ملاحظة الذات فيفر
منها اليها كقوله تعالى لا ملجأ من الله الا اليه وكا لوارد
في الدعاء في القيام الى الصلوة منك وبك ولك
واليك اي منك بدو الوجود وبك قيامه ولك ملكه
واليك رجوعه ثم اكد ذلك بقوله لا ملجاء ولا منجى
ولا مفر منك الا اليك وقد جمع الرسول صلعم هذه المراتب
حين امر بالقرب في قوله تعالى فاسجد واقترب فقال في
سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من
سخطك واعوذ بك منك فاستعاذ اولا ببعض افعاله
من بعض ثم ترقى الى مصادرها فاستعاذ ببعض
صفاته من بعض ثم ترقى الى ملاحظة الذات فاستعاذ
به منه فهذه ثلث مراتب للفرار الى الله تعالى والمرتبة
الثالثة هي اول مقام الوصول الى ساحل العزة ثم السباحة

في لجة

في لجة الوصول درجات لا تتناهى كذا نقل عن بعض العارفين
ولا يخفى ان ما نحن فيه من القسم الاول اذ المراد انه فر
من عقاب الذنوب وهواجز الغضب الى كنف حمايتك
وهواجز الرحمة فتامل وعلى هذا التقدير فكلمة من ابتدائية
والمضاف محذوف اي هرب من عذابها او خوفها
اليك وهذا التقدير متحتم اذ لا معنى للهرب من ذات
الذنوب فان قلت هلا حملت من على معنى التعليل
ليكون المعنى هرب اليك من اجل الذنوب قلت يعين
كونها ابتدائية مقابلتها بالى قال الرضي وتعرف من
الابتدائية بان تحسن في مقابلتها الى نحو تبرأت من
فلان الى فلان على انه قال من التعليلية نحو لم الك
من سوء ادبك كانها ابتدائية لان ترك الاتيان حصل
من سوء الادب انتهى وتشبيه الذنوب بالعدو الغالب
الجامع الاهلاك والاضرار استعارة مكنية والهرب منه

الى الله توشيح ثم انه عليه السلام التفت بعد ما استبعد
من التكلم الى الغيبة حيث لم يقل كيف تطردنى تفننا فى
الكلام واستعطافا بالمسكنة والذلة واشعارا بان المسكين
الملتجئ لا ينبغى طرده فهو على طريقة قول الهى عبدك العاصى
اتاكا مقرا بالذنوب وقد دعاكا فان تغفر فانت لذاك
اهل وان تطردن فمن يرحم سواكا فان فى ذكر المسكنة
وكذا الاسترشاد والظما استحقاق الرحمة وترتب
الشفقة ما ليس فى تطردنى وتخيبنى وتردنى وهو ظاهر

اَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ مُسْتَرْشِدًا قَصَدَ
اِلىٰ جَنَابِكَ سَاعِيًا

الله ع

خاب يخيب خيبة حرم وخيبة لم ينل ما طلبه وفى المثل
الهيبة خيبة ويقال خيبة لزيد بالرفع والنصب دعاء
عليه ومنه الحديث خيبة لك ويا خيبة الدهر والرشد
بالضم والسكون وبفتحتين والرشاد الهدى والاستقامة

وقال

وقال الواحدى الرشد اصابة الخير وهو خلاف الغى
ومنه ارشاد الضال اى هداية الطريق وتعريفه وقال
الراغب الرشد عناية الهية تعين الانسان عند توجهه
فى اموره فتقويه على ما فيه صلاحه وتفتره عما فيه فساده
واكثر ما يكون ذلك فى الباطن نحو قوله تعالى ولقد اتينا
ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين فالمسترشد من يطلب
الرشد والهداية ساعيا مجاهدا فهدايته على الله تعالى
واجب لقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقصدت الشىء وله واليه من باب ضرب طلبته بعينه
وقصدت قصده نحوت نحوه والجملة فى محل النصب على
الوصفية والسعى العدو والمبالغة فى الذهاب والمشى
والكد فيه والجد والتصرف فى كل عمل ويعدى بالمعنى
الاول بالى وبالمعنى الثانى باللام وفى محكم اللغة السعى
الكسب وكل عمل من خير او شر سعى وقال الفيومى

في المصباح اصل السعي التصرف في كل عمل وعليه قوله تعالى
وان ليس للانسان الا ما سعى وساعيا منصوب على الحالية
او التمييز وفيه تشبيه المخاطب جل عن ذلك بالملك الكريم
المنجح النعم استعارة بالكناية واثبات الجناب وهو الفناء
والرحل والناحية له تخييل او ترشيح والمراد انه نزّه
سره عما يشغله عنك وتبتل بشراشره اليك لرشده
مراشد الحق واليقين ونظمه في سلك الاولياء المتقين

اَمْ كَيْفَ تَرُدُّ ظَمْآناً وَرَدَ اِلىٰ حِيَاضِكَ شَارِباً.

الرَّدّ المنع يقال ردّه عنه ردّا وهو كناية عن الحرمان
ومنع المعروف ومنه ردّ السائل اذا حرمه ولم يعطه
شيئا والظمأ شدّة العطش ومنه قول القاضي عبد
العزيز الجرجاني : يقولون لي فيك انقباض وانما
رأوا رجلا عن موقف الذل احجما : اذا قيل هذا مورد
قلت قد ارى : ولكن نفس الحر تحتمل الظما والظمآن

كالعطشان وزنا ومعنا ويقابله الريان وفيه استعارة تحقيقية
تصريحية حيث شبه العاصي المحتاج الى الرحمة والمغفرة
بالظمآن ثم ذكر المشبه به واريد به المشبه وقوله وردت
الماء ارده ورودا اذا حضرته لتشرب ويقال ورد زيد
علينا اي حضر واصل الورود بلوغ الابل الماء وموافاتها
اياه ثم استعمل في غيره مجازا قال في الاساس وورد عليه
امر لم يطقه واوردت على ما غمني وهذا يدل على انه
مستعمل بعلى فلعله عليه السلام ضمنه معنى التوجه
فعداه بالى والحوض معروف وهو ما يجمع فيه المياه
وحياضك بحذف المضاف اي حياض رحمتك و
عفوك ومغفرتك ففيه استعارة بالكناية وتخييل
والورود ترشيح وشاربا منصوب على الغاية اي ليشرب
او الحالية اي قاصدا للشرب كما قالوا نظيره في قوله تعالى
فتبسم ضاحكا وهو ايضا من ملائمات المشبه به **تذنيب**

كلمة ام متصلة لطلب التصور وتعيين احد الامرين مع العلم
بثبوت اصل الحكم وعلامتها ان تكون معادلة لهمزة الاستفهام
وقرينة لها كما في قولك أدبس في الاناء ام عسل ويجوز ان
تليها الجملة والمفرد ومنقطعة لطلب التصديق ولا تليها
الا الجملة وهي كبل في الاضراب عن الاول ومثل الهمزة
للشك في الثاني والواقع قبلها اما خبر كقولك انّ القطيعة
التي اراها لابل ام شاة فانك لما علمت انها ليست بابل
اعرضت عن هذا الاخبار ثم شككت في انها شاة او
شيء اخر فاستفهمت عنها بقولك ام شاة اي بل هي
شاة واما استفهام كقولك ازيد عندك ام عمرو اي
بل عمرو حين تقصد الاضراب عن الاستفهام الاول
بالاستفهام الثاني ثم لما ظهر له انه عز اسمه لا يخيب المسترشدين
القاصدين الى جنابه اضرب عنه ثانيا فاستفهم ثالثا
ثم لما علم انه جل جلاله لا يرد الشاردين الواردين الى حياضه

انكر

انكر ذلك ايضا بقوله

كَلّاَ وَحِيَاضُكَ مُتْرَعَةٌ فِي ضَنْكِ المُحُولِ

حاشاك وسبحانك وانزهك ان اصفك بهذه الصفات
او انسبك الى تلك السمات فانها صفات واجب تنزيهك
عنها وكلا ردع في الكلام وتنبيه وزجر ومعناه انته
لا تقل انه تعالى متصف بها ومنسوب اليها فهو رد على
من وهم اتصافه تعالى بها كما سبق اليه الايماء الا انه عليه السلام
لما اضرب عن الاولين خص الانكار بالثالث ولذا قال
وحياضك مترعة مملوة ومنه قوله فيا قبر معن كيف واريت
جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا واترعت الحوض
ملأته والضنك الضيق ومصدر يستوي في الوصف
به المذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى ومن اعرض عن ذكري
فان له معيشة ضنكا ضيقا والاضافة من باب جرد قطيفة
واخلاق ثياب والمحول كالفحول جمع محل وهو الجدب

وفي الاصل انقطاع المطر ايضا بحل وهو من محل وماحل
والحاصل انه كيف اصفك بهذه الصفات وحياض جودك
وكرمك مملوة من مياه العفو والاحسان والرحمة والغفران
في سنهات مجدبة مقطوعة المطر بيبس العشب ففي الكلام
استعارة تمثيلية او استعارة مكنية وتخييلية وترشيحية
حيث شبه الجود والفضل والكرم والرحمة والمغفرة و
النعم بحذف المضاف بالمياه ثم اثبت له الحوض والاتراع
بشارة هذا الكلام منه عليه السلم اشارة الى ان خزائن
رحمة ربه جل وعز لا تنفد وبحار مغفرته وفضله لا
تنزف فاستوسع ايها المذنب العاصي والمدبر اللاهي
رحمة ربك تعالى ولا تقنط من رحمته ومغفرته ان ربك
ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم انه يغفر الذنوب
جميعا انه هو الغفور الرحيم وورد في الخبر عن سيد البشر
عليه وآله سلام الله عدد قطرات المطر انه قال ليغفرن الله

يوم

يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط على قلب احد حتى ان ابليس
ليتطاول لها رجاء ان تصيبه بيان نقول تطاولت
لها تساورت وحرصت عليها حتى ابتدأت واظهرت
وجهي وتصديق لذلك ليتذكرني وفي الكافي عنه ع
لولا انكم تذنبون وتستغفرون الله لخلق الله خلقا
حتى يذنبوا ثم يستغفروا الله فيغفر لهم ولكن لا بد لمن يرجوها
من عمل خالص معد لحصولها بترك الانهماك في المعاصي
المزيل لهذا الاستعداد او لا تنظر الى حال الانبياء
والاوصياء والاولياء واجتهادهم في الطاعات وصرفهم
العمر في العبادات ليلهم ونهارهم اما كانوا يرجون الله
عفوه ورحمته واحسانه ومغفرته بلى انهم كانوا اعلم بسعة
رحمته وارجى لها ولكنهم علموا ان رجاء المغفرة من دون
سابقة العمل غرور محض وسفه بحت فصرفوا في العبادات ومنعة د
اعمارهم وقصروا على الطاعات ليلهم ونهارهم فاياك ان

شيطان غرر

يغرك الشيطان ويثبطك عن العمل ويقنعك بمحض الرجا
ومجرد الامل وقد عرفت ما قيل لسيدنا الصادق عليه السلام
وما قال ع في جوابه فتذكر واعلم انه قد جاء في الخبر عن
الرضا ع ان الله تعالى ينزل ملكا الى السماء الدنيا كل ليلة
في الثلث الاخير وليلة الجمعة في اول الليل فيامره فينادي
هل من سائل فاعطيه سؤاله هل من تائب فاتوب اليه
هل من مستغفر فاغفر له يا طالب الخير اقبل ويا طالب
الشر اقصر فلا يزال ينادي بها حتى يطلع الفجر فاذا طلع
عاد الى محله من ملكوت السماء حدثني بذلك ابي عن
جدي عن ابائه عن رسول الله ص والى ذلك اشار عليه السلام
بقوله **وَبَابُكَ مَفْتُوحٌ لِلطَّلَبِ وَالْوُغُولِ**
الباب مدخل الشيء واصله مداخل الابنية كباب
المدينة والدار ثم تجوز فيه فاستعمل فيما يتوصل به
الى الشيء ومنه انا مدينة العلم وعلي بابها يعني به يتوصل

اليه وابواب المغفرة هي الاسباب التي بها يتوصل اليها
اي باب رحمتك وفضلك واحسانك وجودك وامتنانك
بحذف المضاف ففيه مكنية وتخييل وترشيح او شبه المخاطب
جل طوله وعم نواله بالمنعم الجواد المحسن الكريم فاثبت له بابا
مفتوحا لطلب الطالبين ودخول الراغبين ليستفيضوا
من كرمه وينتفعوا من نعمه جلت نعماؤه وعظمت الاؤه
او يقال بابه تعالى عبارة عما يتوصل به الى تحصيل
نعمه من الاسباب اذ كان الباب في الاصل كما سبق
مدخل الدار الذي يتوصل منه اليها ثم استعير لكل ما
يتوصل به الى شيء وذكر الفتح تخييل او ترشيح وشبه
ان يكون هذا جوابا عما يقال من اين علمت انه لا يطرد
المسكين ولا يحجب المسترشدين ولا يرد الظمآن فقال
لان بابه مفتوح للداخلين وجوده مباح للطالبين
هر كه آيد گو بيا وهر چه خواهد گو بگو كبر و دار و حاجب

دربان درابن درگاه نیست قال محمود الوراق شاد

الملوك قصودهم وتحصنوا من كل حاجة او راغب فارغب طالب ؟

الى ملك الملوك ولا تكن بادى الضراعة طالبا من طالب

حكى ان رجلا قال لرابعة العدوية انى قد عصيت الله

افترينه يقبلنى ان انا انبت قالت ويحك انه يدعو

المدبرين عنه فكيف لا يقبل المقبلين عليه والوغول

الدخول فى الشىء ومنه حديث المقداد فلما ان وغلت

فى بطنى اى دخلت وقد وغل يغل وغولا

وَاَنْتَ غَايَةُ الْمَسْئُولِ وَنِهَايَةُ الْمَاْمُولِ

ان كان جمع سائل كالقعود والجلوس والفسوق جمع قاعد

وجالس وفاسق فالمراد انه تعالى غاية كل سؤال السائلين

بحذف المضاف ونهاية امال الاملين على ان يكون المفعول

بمعنى المصدر كالمفتون فى قوله تعالى بايكم المفتون ان

كان مصدرا كالفلول والقموس والحدوث فهو بمعنى

المفعول كالخلق والعكس ويوجد فى بعض النسخ المسؤل

على هيئة المفعول وهو الاظهر لتتوافق القرينتان و

المراد كما سلف ان لكل احد فى حوائجهم مطلوبا حتى

ينتهى اليه تعالى فليس فوقه مطلوب فهو الغاية والنهاية

وهذا وان كان خبرا لفظا الا انه انشاء معنى اى ينبغى

لكل احد ان يجعل الله تعالى غاية مطالبه ونهاية مارية بان ينوى ؟

مثلا باكله وشربه ولبسه وجماعه الى غير ذلك تقوية

جسمه على عبادة الله من حيث انه مستحق للعبادة ولو

قال فى اول نهاره اللهم ما عملت فى يومى هذا من خير

فهو لابتغاء وجهك وما تركت فيه من شر فتركته لنهيك

عدنا وبا وان ذهل عن النية فى بعض الافعال او التروك

وكذا يقول فى اول ليله ويجزى نية اعمال متصلة

فى اولها ولا يحتاج الى تجديد لافرادها وان كان كل

واحد منهما مباينا لصاحبه كالتعقيب الواقع بعد النية

وبالجملة كلما كان لله سبحانه من الافعال والتروك حتى المباحات
لو قصد فيها الله تعالى وفعل توصلا الى عبادته فهو تعالى
غايته ولما كان لله عز اسمه مدخلية في كل شيء جواهره و
اعراضه التي هي من فعله او من فعل العباد من حيث الخلق
والاقدار والتمكين والامر والنهي كان كل شيء صالحا
لان يكون الله غايته فالاعتبار اذن بالقصد والملاحظة
وبهذا التقرير يظهر ان الالف واللام في المسؤول والمأمول
للاستغراق الافرادي ويحتمل ان يكون المراد كما سبق
انهم يطلبون منه تعالى حوائجهم بعد يأسهم عن المخلوقين
قال زرعة بن محمد كان رجل بالمدينة وكانت له جارية
نفيسة فوقعت في قلب رجل واعجب بها فشكى ذلك
عند ابي عبد الله ع فقال تعرض لرؤيتها فكلما رايتها
فقل اسئل الله من فضله ففعل فما لبث الا يسيرا حتى
عرض لوليها سفر فجاء الى الرجل وقال يا فلان انت جاري

واوثق الناس عندي وقد عرض لي سفر وانا اودعك
فلانة جاريتي لتكون عندك فقال الرجل ليس لي امراة
ولا معي في منزلي امراة فكيف تكون جاريتك عندي
فقال اقومها عليك بالثمن وتضمنه لي وتكون عندك
فاذا انا قدمت فبعنيها اشتريها وان نلت منها نلت
ما يحل لك ففعل وغلظ عليه في الثمن وخرج الرجل فمكثت
عنده ومعه ما شاء الله حتى قضى وطره منها هذا و
لما شبه ع النفس في جموحها بالناقة واثبت لها الازمة
وهي امر محسوس جعلها مشارا اليها بالاشارة الحسية فقال
الهي هذه ازمة نفسي عقلتها بعقال مشيتك
هذه مبتداء وازمة نفسي خبره وعقلتها جملة مستانفة
كان المخاطب عز اسمه قال باي شيء عقلتها حتى تسكن
وتنقاد لك في امر دينك ودنياك قال عقلتها بعقال
مشيتك او هذه مبتداء وازمة نفسي بدل منه وعقلتها

بعقال مشيئته خيره والعقل الشد والحبس والمنع عقل
البعير يعقل عقلاً شد وظيفه الى ذراعه ومنه العقل
لانه يعقل العاقل ويمنعه عن ارتكابه الامور التى لا
ينبغى ارتكابها والعقال الحبل الذى يعقل به البعير
ومنه قوله ربما تكره النفوس من الامر له فرجة كحل العقال
واضافته الى المشيئة اضافة اللجين الى الماء او بيانية
او لامية بتشبيه المشيئة بشخص له عقال يعقل الجموح
ثم تشبيه النفس بالبعير الجامح استعارة بالكناية
والازمة والعقل والعقال كلها من ملائمات
المشبه به وقد سبق ان فى العدول عن الزمام الى
الازمة ايماء لطيف الى انها لا يكفى لها زمام واحد
بل لا بد فى انقيادها واطاعتها من ازمة متعددة
هى تسلط القوة العقلية على القوى النفسانية المتضادة
واهوائها المتنازعة المتداعية الى الشرور والغرور وجعلها

منقادة تحت قلم العقل وذلك انما يحصل بدوام الذكر
والفكر وقصر النظر فى عواقب الامور والفضل عن زاد
الغرور والتوصل الى عالم النور كما هو من شان صاحب
الدعاء ومن فى مرتبته سلام الله عليهم وعقل زمامها
بعقال مشيئة الله كناية عن تفويض امرها اليه والتوكل
فى اصلاحها عليه والتبتل عن غيره والذهاب بشراشره
اليه وفيه دلالة على انها امارة بالسوء ميالة الى
الشر لولا ان تداركها رحمة من الله والطافه الخاصة
فتوهم الجبر مدفوع ولمشيئة الله تعالى معنيان احدهما
متعلق بالشئ وهو من صفات الذات قديمة هى نفس
ذاته سبحانه وهى كون ذاته بحيث يختار ما هو الخير و
الصلاح وهى نفس علمه الحق بالمصالح والخيرات وثانيهما
متعلق بالمشاء وهو من صفات الفعل حادث بحدوث
المخلوقات ولا تتخلف المخلوقات عنه وهو ايجاده سبحانه

اياها بحسب اختياره وليست زائدة على ذاته تعـ وعلى
المخلوقات بل هى نسبة بينهما تحدث بحدوث المنتسبين

وَهٰذِهِ اَعْبَاءُ ذُنُوبِى دَرَاْتُهَا بِرَحْمَتِكَ [وعفوك ورأفتك صح]

اى ما اشير اليه اشارة عقلية او حسية فهو امر مبهم
يفسره الاعباء فصحة الحمل وافادته باعتبار ابهام الموضوع
وتعين المحمول كما فى هذا زيد والحاصل انه لما شبه
الذنوب بما له مقدار وحجم يحتاج الى فراغ يشغله اخترع
له الاعباء وهى امر محسوس مشاهد فجعلها مشارا اليها
بالاشارة الحسية على قياس ما سبق والعباء ضرب
من الاكسية الواحدة عباءة وعباية وقد يقع على
الواحد لانه جنس فالاعباء اما جمع او جمع جمعه و
المراد به هنا صحايف الاعمال ففيه استعارة تحقيقية
تصريحية او هذه اشارة الى الصحايف وهى المشبه والاعباء
بحذف اداة التشبيه هى المشبه به والاضافة لامية اى

صحايف

صحايف اعمالى كاعباء الذنوب فيكون من تشبيه المعقول
بالمحسوس كتشبيه الحجة بالشمس وتشبيه الذنوب وهى
الاعراض الغير المتحيزة بالذات بالاجسام المتحيزة بالذات
المالية للمكان ثم اثبات الاعباء لها وهى الاعباء مكنية
وتخييل والقول بتجسم الاعمال على تقدير ثبوته انما هو
فى النشأة الاخرى ولعله عليه السلام يشير بذلك الى قوله
تعالى وكل شئ فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر
وقد ورد فى الخبر ان لكل انسان معه ملكان بين كتفيه
قلمهما لسانهما ودواتهما فمهما ومدادهما ريقهما وصحيفتهما
فؤادهما فيكتبان عمله الى موته ودرأتها برحمتك صفة
كأن المخاطب جل تقدس قال فما تفعل وهذه الذنوب
الكثيرة وان عذابى لشديد قال درأتها برحمتك الناشية عن
غضبك والباء اما سببية او آلية او استعطافية والدرء
الدفع ومنه ادرؤا الحدود بالشبهات والجملة اما خبر

اللهم اني ادراك في نحودهم ويمكن ان يكون هذه اشارة
الى الصفات الذميمة والاخلاق الردية الحالة او الملكة
في النفس فان كلما يذكر الانسان بجوارحه يرتفع منه
اثر الى روحه ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته
وكذلك كل مثقال ذرة من خير او شر يعمله يرى اثره
مكتوبا ثمة وخاصة ما رسخت بسببه الاهيات وتاكدت
به الصفات وصار خلقا وملكة فان ذلك مما يوجب
خلود الثواب والعقاب فلكل انسان نفسه صحيفة اعماله
وهو كتاب مكتوم اليوم عن مشاهدة الابصار وانما
يكشف بالموت ورفع ما توردده الشواغل الحسية المعتبر
عنها بقوله واذا الصحف نشرت فاذا حان حين ذلك
وهو يوم تبلى السرائر صار الغيب شهادة والسر علانية
والخبر عيانا فيقال لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطائك فبصرك اليوم حديد هذا كتابنا ينطق

عليكم انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فمن كان في غفلة من
حساب سره فاذا وقع بصره على ذلك والتفت الى صحيفة
باطنه وصحيفة قلبه يقول ما لهذا الكتاب لا يغادر
صغيرة ولا كبيرة الا احصاها قال الله تعالى كل انسان
الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه
منشورا اقرء كتابك كفى بنفسك اليوم حسيبا وعلى
هذا فيكون قوله صح

وَهٰذِهِ اَهْوَائِي الْمُضِلَّةُ وَكَلْتَهَا اِلَى جَنَابِ لُطْفِكَ وَكَرَمِكَ نخ

كالتفسير لما سبق ولما شبه هواه بالشخص المضل فكانه
جعله امرا محسوسا فاشار اليه بما يشار اليه وو كلت
فلانا الى فلان من باب وعد الجانة اليه وفوضت امره
اليه فجعلته متوكلا ومعتمدا عليه ومنه لا تكلني الى
نفسي طرفة عين وو كلتها جملة مستانفة او خبر على
قياس ما سبق من اخذها والجناب الفناء والرحل و

الناحية اي صرفت امرها الى ناحية لطفك لتلطف بي
وتعينني عليها وتحفظني عن اضلالها ففي الكلام استعارة
تمثيلية او مكنية وتخييلية حيث شبه الهوى بالشخص
المضل ثم اثبت له الاضلال وكذا الحال في تشبيه
اللطف بالفضاء الواسع او بالشخص القادر على اصلاح
الفاسد وترويج الكاسد بارشاد الضال وصرفه
عن الضلال ثم اثبات الناحية والجانب له الاستعارات
المذكورة ولطفه تعالى علمه بدقائق المصالح وغوامضها
وما دق منها ولطف ثم ايصالها الى المستصلح با
لرفق دون العنف وقيل هو تصرفه في الذوات تصرفا
خفيا بفعل الاسباب المعدة لافاضة كمالاتها وقيل
هو اجراء القضاء على وفق الارادة وايصال نفع
فيه ويمكن ان يراد به هنا المعنى العرفي المشهور وهو
اللطف ما يقرب به العبد الى الطاعة ويبعده عن المعصية و

اضلالها نخ

في اللغة

١٣١

في اللغة البر والتكرمة وفلان لطيف بالناس بار بهم
برهم ويلطفهم وفي بعض الاخبار في جواب زنديق
اللطف منا على حد اتخاذ الصنعة او ما رايت الرجل
يتخذ شيئا يلطف في اتخاذه فيقال ما الطف فلان
فكيف لا يقال للخالق الجليل لطيف اذ خلق خلقا لطيفا
جليلا وركب في الحيوان منها ارواحها وخلق كل
جنس متباينا من جنسه في الصورة لا يشبه بعضه
بعضا فكل له لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب
صورته ثم نظرنا الى الاشجار وحملها اطايبها الماكولة
وغير الماكولة فقلنا عند ذلك ان خالقنا لطيف
لا كلطف خلقه في صنعتهم الحديث ولما فوض امره
اليه اقر بكثرة الذنوب والمعاصي والهوى اخذ
في التضرع والاستغاثة والدعاء فقال **فَاجْعَلِ**
اللّٰهُمَّ صَبَاحِي هٰذَا نَازِلًا عَلَيَّ بِضِيَاءِ الْهُدَىٰ

لفظة هذا اشارة الى الصباح الحاضر فهي اما بدل منه
او تاكيد له كما في قولك اخي هذا امير البلد والباء
للملابسة وهي بمدخولها متعلقة بنازلا منصوبة محلا
على الحالية من ضمير نازلا والمراد بملابسته للهدى
وقوعه فيه بان يكون ظرفا للحسنات والطاعات
دون المعاصي والسيئات واضافة الضياء الى الهدى
اضافة اللجين الى الماء فشبه الهدى بالنور في الدلالة
على المطلوب والتقدير وهدى كالنور ثم قدم المشبه به
واضيف اليه كقوله والريح تعبث بالغصون وقد
جرى ذهب الاصيل على لجين الماء وهذا تشبيه
متداول بينهم حتى انهم شبهوا السنة وكل ما هو
علم وهداية بالنور تخيلا منهم انهما مما له بياض
واشراق والبدعة وكل ما هو جهل وضلالة بالظلمة
ظنا منهم انهما مما له سواد وظلام والنزول هنا مجاز

اذ الصعود

اذ الصعود والنزول مستلزمان للحركة وهي من خواص الاجسام
والصباح كما علمت سالفا ليس منها ففي الكلام استعارة مكنية
وتخييلية ولعله صلوات الله عليه عبر عن استضاءة
الاجسام المقابلة لضياء النير الاكبر في اول النهار الذي هو
عبارة عن الصباح بنزول الضوء منها اليها او هو مبني
على كون الضوء جسما متحركا من المضيء الى المستضيء كما
ذهب اليه قوم من الاوائل والاكثرون وان كانوا على
بطلانه الان ادلتهم كلزوم كونه ساترا وكون ما هو
اشد ضوءا اشد استتارا لا تقوم عليه حجة فان بعض
الاجسام الشفافة غلظته وكثرته موجبة لزيادة ظهور
ما خلفه والقول بان غلظة صفحة من البلور جدا موجبة
لما تحتها سترا لا يدل على ان كل شفاف كذلك فان كرتي
الهواء والنار وافلاك ما تحت الثوابت مقدارها على
ما بين في الابعاد والاجرام يزيد على خمسة عشر الف

الف فرسخ ولا يورث ماخلفه سترا ثم على تقدير جسمية
الضوء يجوز ان لا يصل تحته الى حد يستر ما خلفه
لابد لنفيه من دليل والسلامة في الدين بفعل الطاعات
وترك المنهيات والدنيا بجلب المنافع ودفع المضار
ومن ترك الدنيا بل ترك الاخرة فان الدنيا حرام على
اهل الاخرة والاخرة حرام على اهل الدنيا وهما حرامان
على اهل الله تعالى قال صاحب الدعاء وسيد الاوصياء
وسيد الاصفياء عليهم سلام الله ما بقيت الارض والسماء
ولقد كان في رسول الله صلى ما يدلك على مساوي الدنيا
وعيوبها اذ جاع فيها مع خاصته وزويت عنها زخارفها
مع عظيم زلفته فلينظر ناظر بعقله اكرم الله محمدا صلى بذلك
ام اهان فان قال اهانه كذب العظيم وان قال اكرمه
فليعلم ان الله تعالى قد اهان غيره حيث بسط الدنيا له و
زواها عن اقرب الناس منه فتاسى متاس بنبيه واقتص

اثره وولج مولجه والا فلا يامن الهلكة فان الله جعل محمدا صلى
علما للساعة ومبشرا بالجنة ونذيرا بالعقوبة وخرج من
الدنيا خميصا وورد الاخرة سليما لم يضع حجرا على حجر
حتى مضى لسبيله واجاب داعي ربه فما اعظم منة الله
علينا حين انعم علينا به سلفا نتبعه وقائدا نطا عقبه
والله لقد رقعت مدرعتي هذه استحييت من راقعها حتى
ولقد قال لي قائل الا تنبذها عنك فقلت اغرب عني
فعند الصباح يحمد القوم السرى ومن طريق العامة و
الخاصة انه صلى الله عليه وآله قال عرض علي ربي ان
يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن اشبع
يوما واجوع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك
واذا شبعت شكرتك وحمدتك وعن صاحب الدعاء
عليه السلام جعلت له الفداء النفس تبكي على الدنيا وقد علمت ان
فيها ترك ما فيها وقال بابي وامي ع لما بلغه كلام حكيم من الحكماء

كل من تلقاه يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن
قال ع انما الدنيا لمن طلقها واكتفى فيها بقوت وكفن
فان بذلك يسلم دينه ودنياه فلا منافاة بين ما طلبه ههنا
وما روى عنه سلام الله عليه ان الدنيا والاخرة عدوان
متفاوتان وسبيلان مختلفان فمن احب الدنيا وتولاها
ابغض الاخرة وعاداها وهما بمنزلة المشرق والمغرب
وماش بينهما كلما قرب من واحد بعد عن الاخر وهما
بعد ضرتان ان رضيت احديهما اسخطت الاخرى
وبيان ذلك ان الطالب لاحديهما بقدر توجهه في
طلبها وامعانه في تحصيلها يكون غفلته عن الاخرى
وبعده وانقطاعه عنها وليعلم ان الناس في امر الدين
والدنيا على ثلثة اصناف صنف منهمكون في الدنيا
بلا التفات منهم الى مراعات الدين وهم عبيد الطاغوت
وشر الدواب وصنف يراعون امر الدين من غير التفات

منهم الى مصالح الدنيا وصنف متوسط وفوا الجانبين
حقهما وهم عند الحكماء هم الافضلون لان بهم قوام
امر الدين والدنيا وقال بعض المحققين من اصحابنا
ان ترك الدنيا بالكلية ليس هو مطلوب الشارع من الزهد
فيها والتخلي عنها لان الشارع يراعي نظام العالم باشتراك
الخلق في عمارة الدنيا وتعاونهم على المصالح ليتم بقاء
النوع الانساني وترك الدنيا واهمالها بالكلية يهدم
ذلك النظام وينافيه بل الذي يامر به الشارع الحكيم
القصد في الدنيا واستعمال متاعها على القوانين
التي وردت به الرسل والوقوف فيها عند الحدود
المضروبة في شرايعهم دون تعديها وقد كان رسول
الله وعلي عليهما السلام وجماعة من اكابر الصحابة اصل
الطريق التقشف لكن مع مشاركتهم لاهل الدنيا في تدبير
احوال المدن واصلاح العالم غير منقطعين عن اهلها

ولا منعزلين هذا وهذا عطف على الضياء وسلم يسلم
من باب تعب سلامة خلص من الآفات النفسانية و
الآراء الفاسدة والعقايد الباطلة مثل الكفر والكبر و
الحسد والنفاق في الدنيا ومن العقوبة في الآخرة
والسلامة لغة الخلوص من الآفات واصطلاحا
هيئة تكون بدن الانسان في مزاجه وتركيبه بحيث
تصدر عنه الافعال كلها صحيحة سليمة فهي بهذا
المعنى مرادفة للصحة فيكون اسنادها الى الصباح مجازا
والمراد ان يكون صاحبه فيه سالما في دينه ودنياه فا
الالف واللام فيه عوضان عن الضمير وتقديم الدين
على الدنيا اما للاهتمام او لرعاية الفاصلة والدين في اللغة
الطاعة وفي العرف الشرعي هو الشريعة الصادرة بواسطة
الرسل عليهم السلام ولما كان اتباع الشريعة طاعة مخصوصة
كان ذلك تخصيصا من الشارع للعام باحد مسمياته تنبيه

لكثرة

لكثرة استعماله صار حقيقة دون ساير المسميات لانه
المتبادر الى الفهم حين اطلاق لفظ الدين وقال الراغب
الاصفهاني الملة كالدين وهما اسمان لما شرع الله لعباده
على لسان الانبياء ليتوصلوا بها الى جوار الله والفرق
بينهما ان الملة لا تضاف الا الى النبي الذي تسند
اليه نحو اتبعوا ملة ابراهيم حنيفا ولا تكاد توجد مضافة
الى الله ولا الى احاد امة النبي ولا تستعمل الا في جملة
الشرايع دون احادها فلا يقال للصلاة ملة الله كما يقال
دين الله انتهى وفي عدم اضافتها الى الله نظر قد بينا
وجهه في رسالتنا المسماة بجامع الشتات فليطلب
من هناك وقيل الملة والدين يتحدان بالذات ويختلفان
بالاعتبار فان الشريعة من حيث يجتمع عليها تسمى ملة
ومن حيث انها يطاع بها تسمى دينا والدنيا اسم لهذه
الحيوة الفانية وهي فعلى من الدنو سميت بها لدنوها

وبعد الاخوة عنها ومنه السماء الدنيا لقربها من ساكني
الارض ولما اخص كونها صفة بمجال التعريف اذ لا يقال
دار دنيا مع عدم اختصاص الصفة بحالة واحدة بل تكون
تكون تارة نكرة واخرى معرفة كان كونها صفة كلا صفة
ولذا حكم عليها بالاسمية قال ابن جني الدنيا وان كانت
صفة الا انها خرجت الى مذهب الاسماء

وَمَا آتِي جُنَّةً مِنْ كَيْدِ الْعِدَى

عطف على صباحي وترك الاشارة هنا للاشارة الى عدم
قابليته للاشارة لعدم حضوره بعد فان اصل اسم الاشارة
ان يشار به الى محسوس مشاهد والمعدوم يستحيل احساسه
ومشاهدته فيمتنع الاشارة الحسية اليه وما آتي مفعول
اول للجعل وجنة ثان له وهي بالضم الستر والوقاية ومنه
الصوم جنة من النار والجمع الجنن بضم الجيم وفتح النون
ومنه سميت الترس جنة لانه يواري حامله ويستره ويقيه

عما يوذنبه

عما يوذنبه من الضربات والطرقات وهذا هو المراد به هنا ففي
الكلام تشبيه بليغ اى اجعله كجنة واقية تدفع بها عني ما
ينزل بي من كيد العدى الداخلة والخارجة او الاعم — ما هو شر له
والاوسط اوسط لتكون الفقرة الثالثة تاسيسا لانه
خير من التاكيد ولا يخفى لطافة تشبيه المساء بالجنة
لجامع الستر والتواري بينهما ومن كيد العدى متعلق
بالجنة والاضافة لامية والكيد المكر والخديعة والاحتيال
والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا وقيل هو ارادة متضمنة
لاستتار ما يراد عمن يراد به لكن اكثر ما يستعمل ذلك
في الشر وبالجملة هو السعي في افساد الحال على جهة الاحتيال
وقال بعض العلماء الكيد ارادة مضرة الغير خفية وهو من
الخلق الحيلة السيئة ومن الله تعالى التدبير بالحق مجازاة
اعمال الخلق والمكر من جانب العبد ايصال المكروه
الى الانسان من حيث لا يشعر ومن جانب الحق هو ارداف

النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب واظهار
الكرامات من غير جهد وقبل الكيد مبدؤه السعي في
الحيلة والخديعة ونهايته القاء الانسان من حيث لا يشعر
في امر مكروه لا سبيل الى دفعه والعدى بالكسر الغرباء
والاجانب والاعداء واما بالضم فهو الاعداء خاصة
وهو الاوفق بالمقام لقوله عليه السلام الهوى والدنيا العدى بالضم
والشيطان والنفس الامارة بالسوء وهذه الاربعة
مجموعة في دعائهم عليهم السلام فيا غوثاه ثم واغوثاه بك
بالله من هواي قد غلبني ومن عدو قد استكلب علي
ومن دنياي قد تزينت لي ومن نفس امارة بالسوء
الا ما رحم ربي فانظر الى هذا الدعاء كيف خرج عند
ذكر هؤلاء مخرج الاستغاثة ولا يكون الاستغاثة الا
ممن يخاف على نفسه من اشد الاعداء القهر والابتلاء
ومن استسلم في قبض عدوه هلك لا محالة فعليك بالالتجاء

والتضرع واحياء الليل لعلك تنجو من تلك المهالك قال
بعض اصحابنا العدو ضربان باطن لا تدرك ذاته بالحاسة
وهو اثنان احدهما الشيطان وهو اصل كل عدو يعادي
معاداة جوهرية وقد حذرنا الله سبحانه منه غاية التحذير
فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الى غير ذلك
من الايات والثاني النفس الامارة المشار اليها بقوله تعالى
ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي وظاهر يدرك
بالحاسة اعني الانسان وهو ضربان ضرب هو مضطغن
للعداوة قاصد الى الاضرار اما مجاهرة واما مساترة
وذلك اثنان واحد يعادي كل احد وهو كل احد
سيئ الطبع خبيث الطينة مبغض لكل ما لا يحتاج اليه
في العاجل يبغض الى كل نفس يهارش كل من يخالفه وهو الذي
عنى الله بقوله شياطين الانس والثاني عدو خاص
العداوة وذلك اما بسبب الفضيلة والرذيلة كمعاداة

الجاهل للعاقل واما بسبب تجاذب نفع دنيوى كالتجاذب
فى رياسة ومال وجاه واما بسبب لحمة او مجاورة مورثة
للحسد كعاداة بنى الاعمام بعضهم لبعض وذلك فى
كثير من الناس كالطبيعى قال رجل لشبيب ابن شبة انا
والله احبك يا ابا معمر قال اشهد على صدقك قال وكيف
ذلك قال لانك لست بجار قريب ولا بذى رحم نسيب
ولا مشاكل فى صناعة واكثر العداوة بين الناس من ولكن
شىء ذلك وضرب عدو غير مضطغن للعداوة لكن
يؤدى بالانسان الى ان يقع بسببه فى مثل ما يقع من
كيد عدوه فسمى عدوا لذلك كالاولاد والازواج وعلى
ذلك قال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم لكم
فاحذروهم وقال صلى الله ليس عدوك الذى ان قتلته اجرك الله
فى قتله وان قتلك ادخلت الجنة ولكن اعدى عدوك
نفسك التى بين جنبيك وامرأتك التى تضاجعك و

واولادك الذين من صلبك هذا والمراد بالمسآء ما
يقابل الصباح وهو الشفق الذى يظهر فى افق المغرب
بعد الغروب وهما متشابهان شكلا ومتضادان وضعا
لان الصبح يبتدئ اولا بضياء ضعيف طولانى ثم ينبسط
ذلك الضياء على الافق ثم يميل الى الحمرة الى ان يطلع الشمس
والشفق بالعكس لان بعد الغروب يظهر فى الافق
حمرة منبسطة ثم بياض عريض ثم بياض دقيق طولانى
الى ان ينتفى بالكلية

وَوِقَايَةً مِنْ مُرْدِيَاتِ الْهَوَىٰ

اشارة الى طلب الستر والصيانة عن الاعداء الداخلة — والوقاية
كما ان سابقتها ايماء الى طلب الوقاية والاعانة الى — الوقاية عن الاعداء
الاعداء الخارجة وهو عطف على جنة والظرف متعلق
بالوقاية وهى الستر والصيانة حفظ الشىء مما يؤذيه و
يضره يقال وقيت الشىء اقيه وقيا ووقاية اذا صنته

وحفظه من الاذى قال الله تعالى فوقيهم الله شر ذلك اليوم
واضافة المرديات الى الهوى اضافة الجرد الى القطيفه
اى من اهوائه المردية المهلكة الموقعة فى غمرة الخطيئة
المرمية فى لجة بحر السيئة فيكون من قبيل قوله وهذه
اهوائه المضلة او يكون من باب خاتم فضة اى المرديات
التى هى من جنس الهوى وقد سبق شرح الردى والهوى
والمراد بالوقاية الوقاية مما يترتب على الهوى من السيئات
وتبعاتها وهى الوقاية التى يسئلها حملة العرش ومن
حوله للمؤمنين بقولهم وقهم السيئات ومن تق السيئات
يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ولما كان
من شرائط اجابة الدعاء ومن ادابه اعتقاد الداعى قدرة
الله على فعل مطلوبه كما ورد فى الخبر عن سيد البشر
بقول الله عز وجل من سئلنى وهو يعلم انى اضر
وانفع استجيب له قال عليه السلام

إِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَا تَشَاءُ

اى طلبت منك ما طلبت لانك قادر على ما تشاء ان
تعطيه لمن تشاء والقادر من يصح منه الفعل والترك او الذى
ان شاء فعل وان لم يشاء لم يفعل والقدرة التمكن من
ايجاد الشئ وقيل صفة تقتضى التمكن وقيل قدرة الانسان
هيئة يتمكن من الفعل وقدرة الله عبارة عن نفى العجز بها
عنه واشتقاق القدرة من القدر لان القادر يوقع
الفعل على مقدار قدرته على ما يقتضيه مشيته وفيه
دلالة على عموم قدرته تعالى وكونها شاملة لعامة
الممكنات وهو كذلك لان علة المقدورية وهى الامكان
عامة فالقدرة عامة ففيه رد على الثنوية والديصانية
وساير الفرق المباينة لنا فى هذا الاصل الذى هو من
اعظم اصول الاسلامية ولذا اتى بالجملة الاسمية المصدرة
بحرف التاكيد واما افعال العباد وان كانت مقدورة فهى

له تعالى الا ان مشيته الحتمية لا تتعلق بها لمنافاته الحكمة
والتكليف
تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ
كالدليل على قدرته تعالى ولذا ترك العاطف والمعنى انك
تعطى ما تشاء منها من تشاء وتسترد كذلك قال صاحب
الكشاف فيه وفى الحديث القدسى انا الله الملك الملوك
قلوب المؤمنين ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى الملوك نزل
جعلتهم عليهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم
عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى
اعطفهم عليكم وهو معنى قوله تعالى كما تكونون يولى
عليكم وقيل المراد بالملك النبوة ونزعها نقلها من قوم
الى قوم وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ
فى الدنيا او الآخرة او الاعم بالنصر والادبار والتوفيق والخذلان
يقال اعزه الله اى جعله عزيزا منيعا لا يغلب ولا يقهر واعزه
ايضا

ايضا اكرمه واحبه وفى الحديث الصحيح عنه ص من تواضع
لله رفعه الله ومن تكبر خفضه الله وروى ثقة الاسلام
فى الصحيح عن ابى عبد الله ع انه قال ان فى السماء ملكين
موكلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه ومن تكبر وضعاه
وعن النبى ص ان التواضع يزيد صاحبه رفعة فتواضعوا
يرفعكم الله وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكة بين الصفا
والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان فاذا هم
يعنفون بالناس ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت
على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر فجعلت انظر
اليه واتامله فقال لى ما لك تنظر الى فقلت له شبهتك
برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل
فقلت ما فعل الله بك فقال انى ترفعت فى موضع يتواضع
فيه الناس فوضعنى الله حيث يترفع الناس واعزازه تعالى
من يشاء عبارة عن جعله اياه معظما موقرا يميل القلوب

الى تعظيمه وتوقيره ومحبته واجتناب اذلاله واهانته والاستخفاف
به ظاهرا او باطنا والذل بالضم ضد العز ويعبر عنه بالمهانة
والضعف والحقارة وذلله تذليلا اصيره ذليلا كاذله اذلالا
قال الجوهري اذله وذلله وتذلله كل بمعنى

بيدك الخير انك على كل شيء قدير

ذكر الخير وحده لانه المقضي بالذات والشر مقضي بالعرض
فان الشرور الذاتية وهي الاعدام بما هي اعدام لا تستدعي
مبدا موجودا مؤثرا بل علتها عدم الوجود واما الشرور العرضية
فهي وان استدعت علة موجودة الا ان هذا الاستدعاء
انما هو من حيث كونها شرورا مجعولة صادرة من المبدء
الذي هو صرف الوجود بالعرض والشيء بحسب مفهومه
اللغوي يقع على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه كائنا ما كان
على انه في الاصل مصدر شاء اطلق على المفعول واكتفى
في ذلك باعتبار تعلق المشية به من حيث العلم والاخبار

فقط فيتناول الممكن والواجب والممتنع وقد يخص
بالممكن موجودا كان او معدوما كما هنا بقضية اختصاص
تعلق القدرة به اذ المراد بها التمكن من الايجاد والاعدام
الخاصين به وذهب القاضي وجمع من الاشاعرة
الى ان الشيء يختص بالموجود وان المعدوم لا شيء ولا
ذات ولا ماهية وهو ايضا مذهب الحكماء قالوا الشيء
اسم لما هو حقيقة الشيء ولا يقع على المعدوم و
المحال ولا علم بالمحال اصلا اذ لا شيئية له ولا هو
مما يتمثل في ذهن او يتصور في وهم وانما المعلوم المتصور
المتمثل في الذهن عنوان المفهوم من لفظه وهو ممكن
ما من الممكنات ليس بازائه حقيقة من الحقائق وشيء
من الاشياء ابدا والى الاول ذهب المعتزلة وجماعة
من الاشاعرة وقال الزمخشري والنيسابوري الشيء
اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجوهر والعرض

والقديم والحادث بل على المعدوم والمحال وهذا العام
مخصوص بدليل العقل فمن الاشياء ما لا يتعلق القدرة
به كالمستحيل والواجب وجوده لذاته وقال القطب
العلامة كل من قال بان الوجود عين الماهية مثل الاشعري
واتباعه قال بان المعدوم ليس بشيء لانتفاء الماهية عند
العدم ومن قال بان الوجود غيرها فهم قد اختلفوا
في ذلك والنزاع انما هو في المعدوم الممكن لا في المعدوم
الممتنع فانه ليس بشيء عند الفريقين انتهى وهذا الايراد
على المصرح به الزمخشري والنيسابوري لان كلا منهما بحسب
مفهومه لغة وما ذكره من النزاع انما هو في الشيئية
بمعنى التحقق منفكا عن صفة الوجود لا في اطلاق
لفظ الشيء على مفهومه فانه بحث لغوي لا ينبغي ان
يقع بين المحققين لان مرجعه الى النقل والسماع هذا
ومعنى كونه تعالى على كل شيء قدير ان قدرته تعالى لا تعجز

عما يمكن تعلق القدرة به من كل مهية امكانية او شيئية
تصورية واما الممتنعات فلا مهية لها ولا شيئية حتى
يصح كونها مقدورة له تعالى وليس في نفي مقدوريتها
نقض على عموم القدرة كما سبق

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ

هذه كسابقتها في البيان والدليل والولوج الدخول
في مضيق وايلاجهما ادخال احدهما في الاخر بالزيادة
والنقصان كما في الصيف والشتاء او المراد ايلاج كل في
اخر حال الايلاج فيه في وقت واحد بحسب اختلاف
الافاق لانه في كل وقت ادخل الليل في النهار مثلا في
بقعة من البقاع فقد ادخل النهار في الليل في مقابلها
كالشمالية من خط الاستواء والجنوبية عنه فان صيف
احدهما بعينه شتاء الاخر قال الشيخ الجليل امين الاسلام
الطبرسي في مجمع البيان قيل في معناه قولان احدهما

انه ينقص من الليل فيجعل ذلك النقصان زيادة في النهار
وينقص من النهار فيجعل ذلك زيادة في الليل على قدر
طول النهار وقصره والاخر يدخل احدهما في الاخر
باتيانه به بدلا في مكانه وقال البيضاوي ايلاج الليل
في النهار ادخال احدهما في الاخر بالتعقيب او الزيادة
والنقصان وقال بعض اصحابنا انظر ايها العارف المتعمق — المتعمق خ ل
في اسرار حكمة الله وجوده انه لو لم يخلق هذه الاجرام النيرات
على الوضع الذي به التفاوت بين الليل والنهار بان يلج — يقع خ
هذه من هذا في ذاك وهذه اخرى بالعكس ويقدر — ملفوف في الموضعين
التعاقب بينهما على نظام محكم ونسق مضبوط لما صلحت
احوال البلاد ولادت امزجة الحيوان والنبات الذي — الخلائق خ
به قوامه الى الفساد الم تر كيف خلق الله تعالى اوضاع
النيرات العلويه ومناطق حركاتها ومدارات سيرها على
نحو تنتظم به احوال الكائنات وتنتفع به السفليات فلو ثبت

انوارها

انوارها او تحركت ولزمت دائرة واحدة لاثرت — لكن خ
بافراط فيما يقابلها وتفريط فيما وراء ذلك ولو لم تكن
لها حركة لفعلت ما يفعله السكون واللزوم ولو لم تكن
تارة سريعة وتارة بطيئة ولم تجعل دوائر الحركات البطيئة
وسموتها مائلة عن سمت الحركة السريعة لما مالت تلك
الانوار الى النواحي شمالا وجنوبا فلم تنتشر اثارها
ومنافع ضوئها على بقاع الارض ولولا حركة الشمس
على هذا المنوال من مخالفة سمت حركتها الذاتية
لسمت حركتها العرضيه لما حصلت الفصول الاربعة
التي يوجبها تفاوت ازمنة الليالي والايام ولولا حصولها
لما تم النظام ولا صلحت امزجة العباد وفسدت الحرث
والنسل في البلاد وقد علمت ان نشاة الاخرة
من الدنيا وان الدنيا قنطرة الاخرة وفي فساد القنطرة
قبل العبور بطلان العبور والحرمان عن الوصول الى دار

السرور فاذن قد تبين عند اولى الالباب غاية الحكمة
فى اختلاف الليل والنهار وتوالجهما على هذا الوجه المؤدى
للنتايج والاثار تذنيب كلما نقص من الليل زاد فى تذنيب
النهار وبالعكس واطول ما يكون من النهار يوم سابع
عشر حزيران عند حلول الشمس اخر الجوزاء فيكون النهار
خمس عشر ساعة والليل تسع ساعات وهو اقصر ما يكون
من الليل ثم ياخذ النهار فى النقصان والليل فى الزيادة
الى ثامن عشر ايلول وهو عند حلول الشمس اخر السنبلة
فيستوى الليل والنهار ويسمى الاعتدال الخريفى فيصير كل
منهما اثنتى عشرة ساعة ثم ينقص النهار ويزيد الليل
الى سابع عشر من كانون الاول عند حلول الشمس
اخر القوس فيصير الليل خمس عشر ساعة والنهار تسع
ساعات فيكون الليل فى غاية الطول والنهار فى
غاية النقصان ثم ياخذ الليل فى النقصان والنهار فى

فى الزيادة الى ثالث عشر اذار عند حلول الشمس اخر الحوت
فيستوى الليل والنهار ويصير كل منهما اثنى عشر ساعة
ويسمى الاعتدال الربيعى ثم يستانف الدور ويرجع الى الاول
ثم كلما ازداد البلد عرضا عن خط الاستواء ازداد نهاره
فى الصيف طولا وفى الشتاء قصرا وبالعكس فى الليل وقد
يرتقى طول النهار بحسب تزايد ارتفاع القطب الى حيث
يصير اليوم بليلته كله نهارا وبازائه الليل ثم الى اكثر من ذلك
الى حيث يصير نصف السنة نهارا ونصفها الاخر ليلا فيكون
السنة كلها يوما وليلة وذلك اذا صار قطب الاعظم
محاذيا لسمت الراس ولا عمارة هناك ولا فيما يقرب منه
اذ لا يتم بها النضج لشدة البرد اللازم من انخفاض الشمس
ولا يصلح المسكن للحيوان ولا يتهيأ فيه شيء من اسباب
المعيشة واما البلاد التى هى تحت خط الاستواء فالليل
والنهار فيهما فى جميع السنة متساويان كل منهما اثنتى عشرة

ساعة ساعة متساوية فلا يتصور فيها ايلاج احدهما في الآخر

الا بالتعقيب لا بالزيادة والنقصان

وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ

اخراج الحي من الميت وبالعكس انشاء الحيوانات من موادها

واماتتها وانشاء الحيوان من النطفة والنطفة منه واخراج

المؤمن من الكافر وبالعكس عقب ذلك ببيان قدرته على

معاقبة الذل والعز وايتاء الملك ونزعه وفيه وفيما سبقه

عكس وتبديل وهو ان تقدم في الكلام جزءا ثم تعكس فتقدم

ما اخرت وتؤخر ما قدمت وهو على وجوه منها ان يقع

بين متعلقي فعلين في جملتين كما وقع بين الحي والميت

حيث قدم الاول واخر الثاني ثم عكس وهما متعلقان بفعلين

في جملتين ومثله ما سبقه

الليل والنهار والموت والحيوة وسعة فضله دلالة على من قدر على ذلك فقد على معاقبة مع

وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

بغير طلب وكسب او بغير ان يعرف سبيل رزقه ويحمله محسوبا

في عداد

في عداد وجه معاشه او بغير تقدير وتقتير او بما لا يأتي

عليه الحساب فيوسع في الدنيا على من توجب الحكمة التوسعة

عليه اما ابتداء او ابتلاء او المراد انه يعطي ولا يحاسب

نفسه بما اعطاه او يعطي العبد ولا يحاسبه عليه وذلك

اما لاختلاف استعداد الاشخاص او العلم بانه اصلح

بشانهم كما يشير اليه وان من عبادي من لا يصلحه الا

الفقر ولو اغنيته لافسده وفي كلام بعض الفقهاء

طالب العلم المتقي لا يحتاج الى كسب للرزق فانه يأتيه

من عند الله بغير كسب من حيث لا يحتسب وفي التخصيص

نظر يفهم من عموم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه

من حيث لا يحتسب وفي الكشاف عن الاصمعي قال

اقبلت من جامع البصرة فطلع اعرابي على قعود فقال

من الرجل قلت من اصمع قال من اين اقبلت قلت

من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال اتل علي فتلوت

والذاريات فلما بلغت قوله تعالى وفي السماء رزقكم قال حسبك
فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من اقبل وادبر وعمد الى
سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد
طفقت اطوف فاذا انا بمن يهتف لي بصوت دقيق
فالتفت فاذا انا بالاعرابي قد نحل واصفر فسلم علي
واستقرأ السورة فلما بلغت الاية صاح وقال قد وجدنا
ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير ذلك فقرأت فورب
السماء والارض انه لحق فصاح فقال يا سبحان الله من ذا الذي
اغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى الجاؤه الى
اليمين قالها ثلثا وخرجت معها نفسه والارزاق نوعان
ظاهرة للابدان كالاقوات وباطنة للقلوب كالمعارف
والعلوم والرزق بالكسر اسم للمرزوق وفي الصحاح انه
ما ينتفع به واما الخلاف في ان الحرام رزق كما هو مذهب
الاشاعرة ام لا كما هو مذهب المعتزلة فليس هنا موضع

ذكره

ذكره وتقرير دليله فليطلب من موضع اخر

لا اله الا انت

في كتاب التوحيد باسناده المتصل الى ابن عباس عن
النبي ص انه قال ما من الكلام كلمة احب الى الله عز وجل
من قول لا اله الا الله وما من عبد يقول لا اله الا الله
يمد بها صوته فيفرغ الا تناثرت ذنوبه الى الله عز وجل
لانها اعلى كلمة واشرف لفظة نطق بها في التوحيد دالة
على وجوده تعالى مفهوما وعلى وحدته منطوقا وعلى اجتماعه
جميع صفات الكمال وتنزهه عن جميع النقايص وليس في
الاذكار ما يدل على ذلك دونها لانها اما تمجيد او تنزيه
بخلاف هذه الكلمة فانها جامعة بينهما منطبقة على جميع
مراتب التوحيد توحيد الذات والصفات والافعال
او يقال لما كان الشريك وهو من يمنع صاحبه ان يتصرف
فيما اشترك فيه على ما يريد وهذا ينافي السلطنة والملك

تحت قدميه كما يتناثر
ورق الشجر تحتها اقول
وانما صارت هذه الكلمة
احب الكلمات ع

ابغض الاشياء اليه تعالى ولذا لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشاء كان احب الاشياء اليه تعالى نقيضه
وهو التوحيد المدلول عليه بلا اله الا الله فكانت احب
الكلمات اليه تعالى وبما قررناه ظهر وجه ما في خبر نبوي
ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا اله الا الله وفي آخر
عنه ص قال الله عز وجل لموسى يا موسى لو ان السموات
وعامرهن والارضين السبع في كفة ولا اله الا الله في
كفة مالت بهن لا اله الا الله ح وفي آخر عنه ص الايمان بضع وسبعون شعبة
افضلها قول لا اله الا الله وفي آخر علوي ما من عبد
يقول لا اله الا الله الا صعدت تخرق كل سقف لا تمر
بشيء من سيئاته الا طلستها حتى تنتهي الى مثلها من
الحسنات فتقف وفي أخرى باقري ما من شيء اعظم
ثوابا من شهادة ان لا اله الا الله وفي آخر صادقي قول
لا اله الا الله ثمن الجنة ونظائرها في الاخبار كثيرة وبالجملة

احسن

احسن افراد الذكر قول لا اله الا الله لانها اسها فينبغي
الاكثار من قولها وقد وردت في فضلها وشرفها واسرارها
وخواصها من طريق الخاصة والعامة ما لا يكاد يحصى
ولذا اختاره اهل السلوك لتربية السالكين وتهذيب
المريدين وقد جمعت بين نفي الوهية ما سوى الله و
اثبات الوهيته وهي متعلقة بالجنان واللسان ومراتبها
فيه فمنها ما يكون باللسان وحده من غير حضور القلب
وهي اضعف المراتب ومنها ما يكون به مع استقرار واستيلاء
بحيث تغفل عما عدا المذكور وهي المرتبة العليا والدرجة
القصوى واليه الاشارة بقوله ولذكر الله اكبر ثم لا يذهب
عليك ان قوله ص يمد بها صوته يدل على صحة مذهب
من قال بان تطويل المدة في لا اله الا الله مندوب اليه
مستحسن لان المكلف في زمان التمديد يستحضر في قلبه
ونفسه جميع ما سوى الله من الاضداد والانداد وينفيها

ثم يعقب ذلك بقوله الا الله فيكون ذلك اقرب الى الكمال
والاخلاص ومن الناس من يقول باولوية ترك التمديد
مستدلا بانه ربما مات في زمان التلفظ بلا قبل الانتقال
الى الا اقول وهذا القول مع كونه مخالفا لقواعد التجويد خ
ومناقضا لصريح الرواية مدفوع بان من مات في زمن
التلفظ بلا قبل الوصول الى الا لا شك انه مات مؤمنا
لانه عقد بهذه الكلمة قلبه ثم اراد ان يخبر بما في ضميره ليكون ذلك
دليلا عليه فلم يجد مهلة فلم يلزم منه كفره وخاصة اذا
كان المتلفظ بها مؤمنا وانما يلزم كفره او عدم انتقاله منه
الى الايمان ان لو وجد من الفرصة ما امكنه ان يقول الا الله
ثم لم يقل ومات واما ما فصله الفخر الرازي واستحسنه
الصدر الشيرازي واثنى عليه في رسالته المعمولة لتفسير
اية الكرسي من ان المتلفظ بهذه الكلمة ان كان يتلفظ
بها ليستقل من الكفر الى الايمان فترك التمديد اولى

حتى يحصل

حتى يحصل الانتقال من الكفر الى الايمان باسرع الوجوه
وان كان مؤمنا وانما يذكرها للتجديد فالتمديد اولى
ليحصل في زمانه صورة الاضداد في الخاطر وينفيها ثم
يعقبها بقوله الا الله فيكون الاقرار بالالهية اصفى و
اكمل فهو مع كونه غير واقع لما سبق من اولوية ترك التمديد
فما ذكره من اولويته معارض به وانما يدفعه ما ذكرنا
كما سلف فان الانتقال من الكفر الى الايمان على مذهبه مخالف لمذهبه
قد حصل بمجرد التصديق القلبي كما هو مذهب الاشاعرة
وهو منهم وانما جعل اللسان على الجنان دليلا فهو
على مذهبه كاشف عن ايمانه السابق على زمن التلفظ
بهذه الكلمة لا مصحح له ولا متمم نعم ما ذكره يصح على مذهب
من قال ان التصديق وحده ليس بايمان بل الايمان
هو التصديق بالقلب مع الاقرار بالشهادتين كما هو
المنقول عن ابي حنيفة واليه مال صاحب التجريد وبالجملة

فالتمديد بها مطلقا كما هو ظاهر الرواية حيث رتب
تناثر الذنوب على قول لا اله الا الله لا مطلقا بل مقيدا
بمد الصوت بها للتشعر بعليّته للحكم مستحسن البتة مندوب
بل الظاهر عندي ان الغرض من التمديد بمجرد تجويد
اللفظ وتحسينه على ما يقتضيه القواعد التجويدية لا [القوانين له]
الاستحضار المذكور فان المتلفظ بالكلمة ان كان
عالما بوضع الفاظها بنحو الاضداد ونفيها و
يثبت الاله الحق بمجرد الالتفات الى معانيها مد صوته في
لا ام لا وان لم يكن عالما او كان ولم يكن ملتفتا فلم
يتيسر له الاستحضار بمد ام لم يمد فان المد لا يوجب
الاستحضار كما لا يخفى على ذوي البصائر واعلم [الابصار له]
ان ترتب الثواب على قول لا اله الا الله مشروط بشروط
لا يتحقق بدونها منها ان يكون قلبه مواطئا للسانه
كما ورد في خبر نبوي ان لا اله الا الله كلمة عظيمة كريمة [آخره]

على الله عز وجل من قالها مخلصا استوجب الجنة ومن
قالها كاذبا عصمت ماله ودمه وكان مصيره الى النار
فمن آمن بالله واليوم الآخر وبما جاء به الرسل ثم قال
لا اله الا الله ترتب عليه ثوابه فالمطلق مقيد والعام مخصص
وهذا مما انعقد عليه اجماع الامة ودل عليه الكتاب
والسنة قال الله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها
وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا وفي صحيح البخاري
عن وهب ابن منبه قيل له اليس لا اله الا الله مفتاح
الجنة قال بلى ولكن ليس له مفتاح الا وله اسنان فان جئت
بمفتاح له اسنان فتح لك والا لم يفتح ومنها الولاية
لاهل الولاية كما يدل عليه قول الرضا ع بعد ان روى
عن جده عن جبرئيل ع عن الله جل جلاله لا اله الا الله
حصني فمن دخل حصني امن من عذابي بشروطها وانا
من شروطها وقال ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلعم

ذات يوم جالسا وعنده نفر من اصحابه فيهم علي بن ابيطالب ع
اذ قال من قال لا اله الا الله دخل الجنة فقال رجلان
من اصحابه فنحن نقول لا اله الا الله فقال رسول الله ص انما
تقبل شهادة ان لا اله الا الله من هذا و شيعته الذين
اخذ ربنا ميثاقهم وفي الكافي عن ابان بن تغلب عن
الصادق عليه السلام قال يا ابان اذا قدمت الكوفة فاروِ
هذا الحديث من شهد ان لا اله الا الله مخلصا وجبت له
الجنة قال قلت انه يأتيني من كل صنف من الاصناف
افاروي لهم هذا الحديث قال نعم يا ابان انه اذا كان
يوم القيمة وجمع الله الاولين والاخرين فيسلب لا اله
الا الله منهم الا من كان على هذا الامر ومنها ومن نظايرها
يظهر ان لم يكن مواليا لصاحب الدعاء جعلت له الفداء
ومن بعده من الائمة سلام الله عليهم تسلب منه ثمرة
لا اله الا الله ويكون توحيده وتهليله في الدنيا مجرد تحريك

لسان

لسان لا ينتفع به في الاخرة فلا اشكال ولا منافاة بين الاخبار
المطلقة الدالة على ان من قال لا اله الا الله فله الجنة او
دخل الجنة وامثالها والدالة على عدم دخول مخالفينا
الجنة وان بذلوا جهدهم وبالغوا في العبادات بين الركن
والمقام حتى صاروا كالشن البالي فانهم ليسوا من اهل
التوحيد المنتفعين بتوحيدهم في الاخرة لما فاتهم من
الولاية الشديدة الحاجة اليها في تحقق الايمان الموجب
لدخول الجنة فالمطلق بهذا الوجه ايضا مقيد ومنها
ان يكون الموحد تاركا للدنيا وزاهدا عنها فعن حذيفة
عن النبي ص قال لا يزال لا اله الا الله ترد غضب الرب
جل جلاله عن العباد ما كانوا لا يبالون ما انتقص من
دنياهم اذا سلم دينهم فاذا كانوا لا يبالون ما انتقص
من دينهم اذا سلم دنياهم ثم قالوها ردت عليهم وقيل
كذبتم ولستم بها صادقين وهذا بعينه حال ابناء زماننا

هذا نعوذ بالله منهم اجمعين ومنها الموافاة على التوحيد
كما دل عليه رواية ابي ذر عن النبي ص ما من عبد قال
لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنة وبالجملة المراد بالموحد
الذي لا يعذب بالنار اذا كان محسنا بان يكون توحيده
بحجزه عما حرم الله وهو علامة اخلاصه او يدخل الجنة
ولو بعد تعذيب برزخي اذا كان مسيئا هو من كان
مواليا ثم مات على ذلك والا فلا ينقلب عنه فوائد لا اله
الا الله فالاخبار المطلقة الواردة في هذا الباب كقوله ص
من مات ولم يشرك بالله شيئا احسن او اساء دخل
الجنة وقول الصادق ع ان الله حرم اجساد الموحدين
على النار وما شاكل ذلك مقيدة بما ذكرنا فلا اشكال
ولا تدافع ثم لما كان مبدء الكمالات وجوب الوجود كما
ان منشاء النقايص امكان الوجود فالمعبود بالحق هو
الذي ثبت له وجوب الوجود وانتفى عنه الامكان فمعنى

لا اله الا انت لا واجب الوجود الا انت فح يصح تقدير مفهومه
فلان
الممكن والموجود في خبر لاء النافية للجنس اما الاول
ان الله يمكن ان يكون واجب الوجود فح يندفع فساده
المشهور وهو ان اللازم امكان وجوده تعالى لا ثبوت وجوده
فلا يتم التوحيد بان ما يمكن ان يكون واجب الوجود
فهو واجب الوجود والا يكون اما ممتنع الوجود او
ممكنه وعلى التقديرين لا يكون واجب الوجود
الا لزم الانقلاب واما الثاني فلان فساده وهو ان
اللازم نفي وجود الشريك لا نفي امكانه مندفع بان
نفي وجوب الوجود عما سواه يستلزم نفي امكان وجوب
الوجود عنه ايض والا لثبت له نقيضه وهو امكان
واجب الوجود له فيثبت له وجوب الوجود مع لما سبق هذا خلف
واما ما قيل من عدم الحاجة الى الخبر وان الا الله مبتدا
وخبره لا اله اذ كان الاصل الله اله فلما اريد الحصر زيد

لا والا ومعناه الله معبود بالحق لا غيره ففيه انه مع كونه
مخالفا لما عليه النحاة من وجوب تقدير الخبر يرد عليه
ان الاعتراض باق على حاله اذ لا معنى لنفي ذات الاله
بل لا بد من نفي وجوده او امكانه ومنهم من قال ان هذه الكلمة
نقلت شرعا الى نفي الامكان والوجود عن اله سوى الله
مع الدلالة على وجوده تعالى وان لم يدل عليه لغة وفيه
ان هذه الكلمة مشهورة بكلمة التوحيد فمن قالها فهو
موحد وان لم يعلم او يثبت عنده الحقايق الشرعيه
وكذا تقدير مستحق للعبادة لا يدل على نفي التعدد
مطلقا بل على نفي المستحق فقط والصوفية لما راوا
ذلك لانها مفهوما على وجود غيره تعالى وراموا النفي
عنه اولوها بحمل كلمة الا على الغير وجعلوها بدلا معنى ج
عن محل اله المنفي فصار المعنى انتفى غيره تعالى مطلقا
لا في صفة الالوهية وهذا هو التوحيد العامي الذي

هو نفي الشريك الاعظم الجلي المثبت بالدليل المعقول
والمنقول قالوا والمناقشة بانه لا يلزم من انتفاء غيره
ثبوته مندفعة اذ لا شك في وجود موجود ما وما ذهب
اليه السوفسطائية من انه لا موجود في الحقيقة بل هو
خيال ووهم فهو خيال موهوم وامر بطلانه معلوم
وانت وكل من له ادنى بصيرة اذا صرف بصيرته نحو
هذا الكلام يعرف ان الغرض منه نفي الوهية ما سوى
الله واثبات الوهيته لا نفي ماسواه بالكلية واثبات
وجوده فقط وهل يليق بالحكيم العليم ان يقول في كتابه
العزيز الى رسوله الكريم اعلم انه لا اله الا الله ويريد به
وحدته في الوجود وهو يفيد وحدته في الالوهية
وهم بمثل هذا التاويل المستنكر يضلون ويضلون
فطوبى للذين هم كما قال رسول الله ص يحمل هذا العلم
من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال

المبطلين وتاويل الجاهلين وعلى تاويلهم هذا فمعنى كون
هذه الكلمة كلمة توحيد انها يفيد ان الوجود واحد و
يلزم منه ان يكون الاله واحدا فيكون دلالتها على
وحدة الوجود مطابقة وعلى وحدة الاله التزاما و
هذا كما ترى صرف الكلام عن وجهه بل ابطال له
بالكلية وانما صرفوه الى ذلك وهم يعلمون قطعا
انه ليس المراد به ذلك لتغرير الناس فى دعوتهم الى
مذاهبهم الفاسدة واراءهم الكاسدة فنزلوا القران
على طبق رايهم ومذهبهم وفسروه باهوائهم واشباههم
على علم منهم قطعا انه غير مراد به فذمهم وما يشتهون
ومنهم من رام ان يصرف عنه ويذب ما يرد عليه
وهو يقول بالوحدة فقال اعلم ان الذكر القلبى من
اعظم علامات المحبة لان من احب احدا ذكره دائما
اوغالبا وان اصل الذكر عند الطاعة والمعصية سبب

لفعل

لفعل الطاعة وترك المعصية وهما سببان لزيادة الذكر
ورسوخه وهكذا يتبادلان الى ان يستولى المذكور
وهو الله سبحانه على القلب ويتجلى فيه فالذاكر يحبه
حبا شديدا ويغفل عن جميع ما سواه حتى عن نفسه
اذ الحب المفرط يمنع عن مشاهدة غير المحبوب و
هذا المقام يسمى مقام الفناء فى الله والواصل الى
هذا المقام لا يرى فى الوجود الا هو وهذا المعنى
وحدة الوجود لا بمعنى انه تعالى متحد مع الكل
لانه محض زندقة بل بمعنى ان الموجود فى نظر الفانى
هو لا غيره لانه تجاوز عن عالم الكثرة وجعله وراء
ظهره وغفل عنه فافهم انتهى ولنا على ابطال
وحدة الوجود رسالة مفردة وجيزة نقلنا فيها
نبذة اقوالهم وجملة ما تشبثوا به عليها واشرنا
فيها الى ما فيه وعليه فليطلب من هناك

سبحانك اللهم وبحمدك

انزهك تنزيها عما لا يليق بجناب قدسك وعز جلالك
واثبت لك ما يليق بك سبحان مصدر كغفران والسلطان
بمعنى التنزيه عن النقائص ولا يستعمل الا محذوف
الفعل منصوبا على المصدر بمحذوف من جنسه ومتعلق
الجار في بحمدك هو العامل المحذوف والتقدير سبحتك
تسبيحا وسبحانا وسبحتك بحمدك او بمعنى والحمد لك
نظيره ما انت بنعمة ربك بمجنون اى والنعمة له على انه
حال والعامل فيه اما معنى النفي فانه بمعنى انتفى عنك
الجنون او مجنون ولا يمنع الباء منه لانها زائدة مؤكدة
وفي مجمع البيان وقيل معناه ما انت بمجنون والنعم
بك كما يقال سبحانك اللهم وبحمدك اى والحمد لك
انتهى وهو مضاف الى المفعول وربما جوز كونه
مضافا الى الفاعل بمعنى التنزه والواو اما حالية والتقدير

وانا متلبس

وانا متلبس بحمدك على التوفيق لتنزيهك والتاهيل
لعبادتك كانه لما اسند التسبيح الى نفسه اوهم ذلك
فخرا وسرورا فعقب بهذه الجملة الحالية ليزول على
قياس ما قالوا فى اياك نعبد واياك نستعين او اعتراضيه
وبمدخولها جملة مقدره والحمد قائم مقامها والتقدير
اسبحك سبحانا وبنعمتك التى توجب على حمدك اسبحك
وتلك النعمة هي حولك وقوتك التي ملكتنيها او زائدة
والجار بمجروره فى محل النصب على الحالية والتقدير
متلبسا بحمدك او عاطفة تعطف الجملة الاسمية او
الفعلية المقدرة على الفعلية المضمرة فى سبحانك
فان جعلت الباء فى بحمدك للمصاحبة فاضافة الحمد
الى الضمير اضافة المصدر الى المفعول وان جعلتها
للاستعانة فاضافته اليه اضافة المصدر الى الفاعل
ولعل المراد بالحمد التوفيق عليه والتقدير اسبحك سبحانا

واسبحك مستعينا بتوفيقك اياى على حمدك والى ذلك
اشار الشهيد الثانى بقوله الواو فى بحمده قيل زائدة والباء
للمصاحبة والحمد مضاف الى المفعول ومتعلق الجار
عامل المصدر اى سبحت الله حامدا اى انزهه عما لا يليق
به واثبت له ما يليق به ثم قال ويحتمل كونها للاستعانة
والحمد مضاف الى الفاعل اى سبحته بما حمد به نفسه
اذ ليس كل تنزيه محمودا وقيل ان الواو عاطفة ومتعلق
الجار محذوف اى وبحمده سبحته وذكر بعضهم ان المعنى
ولمعونتك التى هى نعمة توجب على حمدك سبحتك لا
بحولى وقوتى فتكون مما اقيم المسبب مقام السبب انتهى
وقال العلامة الطبرسى امين الاسلام انه صار فى الشرع
علما لاعلى مراتب التعظيم الذى لا يستحقها الا هو
سبحانه ولذلك لا يستعمل فى غيره وان كان منزها عن
النقايص ولعله نظر الى ما قيل ان التنزيه المستفاد من ناظر نظر

سبحان الله

سبحان الله ثلثة انواع تنزيه الذات عن نقص الامكان
الذى هو منبع السوء وتنزيه الصفات عن الحدوث بل
عن كونها مغايرة للذات وزايدة عليها وتنزيه الافعال
عن القبح والعبث وعن كونها جالبة اليه نفعا او دافعة
عنه ضرا كافعال العباد ثم التسبيح يدل على كونه مبرءا
فى ذاته وصفاته عن النقايص والآفات والحمد يدل
مع حصول تلك الصفة على كونه محسنا الى الخلق منعما
عليهم رحيما بهم فالتسبيح اشارة الى كونه تاما والتحميد
الى كونه فوق التمام فالوجه فى تقديمه عليه ظاهر و
الغرض من هذه الجملة التسبيحية الرد على من توهم انه
عرفه سبحانه بحسب صفاته او علمه بكنه ذاته وذلك
لان معرفة ذاته اما بالبديهة وهو باطل بالبديهة
واما بالنظر وهو اما بالحد والحد يستلزم الجنس والفصل
المستلزمين للتركيب او بالرسم وهو لا يفيد الحقيقة

لان المعلوم منه سبحانه اما السلوب او الاضافات ذاته
مغايرة لهما اذ المعلوم من قدرته مثلا انها امر مستلزم
للتأثير فحقيقتها مجهولة والمعلوم منها ليس الا هذا
اللازم فتبين ان صفاته كذاته غير معلومة وان المعلوم
منها ليس الا السلوب والاضافات ولما ثبت ان العلم
بها لا يستلزم العلم بالحقيقة ثبت انا لا نعلم ذاته و
لا صفاته التي هي عين ذاته واليه اشار بقوله
مَنْ ذا يَعْرِفُ قُدْرَتَكَ فَلا يَخافُكَ وَمَنْ ذا
يَعْلَمُ ما اَنْتَ فَلا يَهابُكَ يعني لو كان لقدرته
تعالى حد محدود يعرف به لكان يمكن ان يكون فوقه
مرتبة اخرى فصاحب تلك المرتبة الفوقانية بعد
ما عرف قدرته تع و وجدها دون قدرته ساغ له ان
لا يخافه لكن لا حد لقدرته تقف عنده فلا يتصور فوقها
قدرة بل كل قدرة هي دونها ويد الله فوق ايديهم فالخوف

منه لازم

منه لازم لكل عارف به وانما لا يخافه من لا يعرف قدرته و
كذا لو كانت له مهية معلومة بكنهها فمن علمها وعلم انها
ليست بمنشاء اثار غريبة وافعال عجيبة كان له ان لا يهابه
لكنه سبحانه لا مهية له فلا مهية له معلومة لغيره ولذا لما
سئل كليم الله على نبينا وآله وعليه السلام عن حقيقته تعالى
حيث قيل وما رب العالمين اجاب عنه بذكر خواصه فقال
رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين تنبيها
على ان حقيقة ذاته لا يعلم الا بذكر مقوماته ولا مقوم له
اذ لا تركيب فيه ولم يتنبه السائل الجاهل بذلك او
لج وعند ولذا قال لمن حوله الا تستمعون انى سئلت
عن حقيقة رب العالمين وهو اجابني بذكر صفاته فلم يتعرض
موسى ع لبيان غلطه وفرط جهله فذكر صفات اخرى
ابين من الاولى فقال ربكم ورب اباءكم الاولين لينبهه
على غلطه وجهله فلم ينتبه ونسبه الى الجنون فقال

رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون فلم يلتفت اليه الكليم و
ذكر صفات اخرى اظهر من الاولى واشار الى ان السؤال
عن حقيقته ليس من داب العقلاء فقال رب المشرق
والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون واذا ثبت انه ليس
له تعالى حقيقة معلومة لغيره فكيف لا يهابه ولا يوقره
واحتمال الضرر بذلك قائم ودفعه واجب وفيه تحقير
لشانه لان كلمة من فى الاصل وان كانت للاستفهام الا
انها هنا استعملت لمجرد التحقير كما فى قولك من هذا
وكذا فى ايراد المسند اليه باسم الاشارة الدال على القرب
تحقير له اذ القرب كما يطلق على قرب المكان يطلق على
قرب المرتبة ودنائة المحل فيقال فلان قريب المحل دانى
المرتبة اجراء للامور العقلية مجرى الامور المحسوسة
كذلك قد يطلق اسم الاشارة الدال عليه ويراد به
ما يلابس القرب غالبا وهو التحقير الرتبى وذا فى الموضعين

مبتدا

مبتداء ومن كذلك خبره قدم عليه لاقتضائه صدر الكلام
والجملة الفعلية صفة له لكونه نكرة والمضاف محذوف
اى مقدار قدرك وحقيقة ذاتك ويحتمل ان يكون
من للاستفهام الانكارى وذا اسم موصول بمعنى
الذى والمراد ان كل من عرف قدرك يخافك وكل
من علم ما انت يهابك فلا احد يعرف قدرك فلا
يخافك ويعلم ما انت فلا يهابك وكلمة ما على الاول
طالبة للحقيقة وعلى الثانى شارحة للاسم تامل والمعرفة
يقال لادراك الجزئى والبسيط والعلم للكلى والمركب
وايضا فان الاول يقال لادراك الشئ باثاره والثانى
لادراكه بذاته ولذا يقال عرفت الله دون علمته لان
ذاته جزئى بسيط معروف باثاره وصفاته لا بذاته وقيل
هى عبارة عن الادراك التصورى والعلم هو الادراك
التصديقى ومن ذهب الى هذا القول جعل العرفان

اعظم رتبة من العلم فان تصديقنا باسناد هذه المحسوسات
الى موجود واجب الوجود امر معلوم بالضرورة واما
تصور حقيقة واجب الوجود فامر فوق طاقة البشرية
لان الشئ ما لم يعرف لم يطلب مهيته فعلى هذا كل
عارف عالم من دون عكس كلي ولذا كان الرجل لا يسمى
عارفا الا اذا توغل في بحار العلوم ومباديها وترقى
من مطالعها الى مقاطعها ومن مباديها الى غاياتها
بحسب الطاقة البشرية وقيل هي ادراك الشئ بعد
توسط نسيانه فلذلك يسمى الحق تعالى بالعالم دون
العارف وهو اشهر الاقوال في تعريف المعرفة وفيه
نظر فقد ورد في رواية رواها محمد بن يعقوب في الاصول
في باب النسبة من قول ابي عبد الله عليه السلام قل
هو الله احد نسبة الله الى خلقه احدا صمدا ازليا
صمديا لا ظل له يمسكه وهو يمسك الاشياء باظلتها

عارف بالمجهول معروف عند كل جاهل ومن العجب
ان بعضهم ادعى الاجماع على ان اطلاق العارف عليه
تعالى غير جائز لعدم وروده في الشرع مع ايهامه النقص
هذا ولعله عليه السلام اشار بذلك الى انه تعالى لو كان
يعلم بكنه ذاته فانما كان يعلم اذا كان كليا مركبا من
الجنس والفصل ولما كانت القديمة جزئيا من جزئيات
صفاته خص المعرفة بها تنبيها على هذه الدقيقة تأمل
فيه والخوف والخشية وان كانا مترادفين في اللغة
الا انهم فرقوا بينهما بان الخوف تالم النفس من العقاب
المتوقع بسبب ارتكاب المنهيات والتقصير في الطاعات
وهو يحصل لاكثر الخلق وان كان مقولا بالتشكيك
والخشية حالة تحصل عند الشعور بعظمة الخالق
وهيبته وهذه الحالة عزيزة المنال لا تحصل الا
لمن اطلع بجلال الكبرياء وذاق لذة القرب ولذا قال

عز من قائل انما يخشى الله من عباده العلماء

الفت بعد ذلك الفرق

هذه وما عطف عليها كالبيان والدليل على ان
قدرته تعالى لا يعرف بحقيقتها وانما يعرف بهذه الاثار و
ما شاكلها ولعله لذلك ترك العاطف فتامل ويقال الف
بينهما تاليفا اذا وقع الالفة والتاليف والتركيب بمعنى
وهو جعل اشياء متعدده بحيث يطلق عليها اسم واحد
وقد يفرق بينهما بان التاليف من الالفة فلا بد ان
يكون بين اجزائه مناسبة بخلاف التركيب فهو اعم منه
والفرقة بالكسر الطائفة من الناس والقسم من كل شئ
والجمع فرق كذا في القاموس والمراد انه تعالى الف بقدرته
بين المتباينات وجمع بين المختلفات والمتضادات
كما في المركبات المجتمعة من الاسطقسات المتداعية
الى الانفكاك وفي تاليفها مع تنافرها طبعا تم احتياج

بعضها الى بعض في قوامها وانتظامها دلالة واضحة
على وحدة مؤلفها ومدبرها كما ان في ارتباط اجزاء
الشخص بعضها ببعض وانتظام اعضائه دلالة على وحدة
مدبره وفي خطبة لصاحب الدعا جعلت له الفداء
في التوحيد فضاد النور بالظلمة والوضوح بالبهمة
والجمود بالبلل والحرور بالصرد مؤلف بين متعادياتها
مقارب بين بين متبايناتها مقرب بين متباعداتها
مفرق بين متدانياتها دالة بتفريقها على مفرقها
وبتاليفها على مؤلفها وذلك قوله عز وجل
ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون او المراد
انه تعالى الف بين قلوب طوائف مختلفة مع تخالف
طبايعهم وتباين سلايقهم وتصادم اهوائهم وتضاد
ارائهم كما اشار اليه بقوله هو الذي الف بين قلوبهم
ولو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم

متعاديانها

ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم ومن الظاهر بل
الاظهر منه ان الالفة من اعز المطالب شرعا وعرفا
لاقتضائها صلاح حال الدنيا والاخرة لان الانسان
مدني بالطبع فلا غناء له في تعيشه من التمدن وهو اجتماعه
مع بني نوعه لافتقاره في تحصيل ما به الى معاونتهم
ومشاركتهم اذ لا يمكن للانسان الواحد القيام بجميع
ما يحتاج اليه من الضروريات التي لا بقاء له بدونها
وتلك المعاونة والمشاركة لا تتم الا بايتلاف واجتماع
ومعاشرة ولا يستقيم ذلك الا بتحقق الروابط بينهم
وهي لا تتم الا بنفي الضغائن والاحقاد والحسد و
ذلك مستلزم للاجتماع على الالفة وانس بعضهم
ببعض فيستقيم امورهم بتعاونهم وقد قال العلما
ان سلوك سبيل الله لساير وجوه الاوامر والنواهي
لا يتم الا بها ولذلك عظم الله المنة بايقاع الالفة بين

اهل الملة وذلك انهم بالالفة يكونون بمنزلة عبد واحد
في طاعة مولاه ولاجلها شرع الله اجتماع الخلق على الصلوة
في المساجد كل يوم خمس مرات وفي كل اسبوع مرة في المسجد
الاعظم وفي كل سنة مرتين في الاعياد وفي العمر مرة
بمكة لاجتماع البلدان النائية كل ذلك ليتاكد باجتماعهم
الالفة والاتحاد وتقع بسببه المحبة والوداد والاخبار
في هذا المعنى كثيرة جدا

وَفَلَقْتَ بِرَحْمَتِكَ الفَلَقَ

فلقت الشيء فلقا من باب ضرب شققته والفلق بالسكون
الشق وهو الفالق الذي فلق الارحام فانشقت عن الحيوان
وفلق الحب والنوى فانفلقت عن النبات وفلق الارض
فانفلقت عن كل ما يخرج منها وفلق الظلام عن الصباح
والسماء عن القطر وفلق البحر لموسى فكان كل فرق كالطود
العظيم والفلق بالتحريك الصبح نفسه وقد يقال فلق الصبح

لضوئه وانارته والمراد انه تعالى شقه واضاءه واناره واظهر
بياضه بقرب طلوع النير الاعظم اذ لولاه لبطل امر العالم
ولم يمكن الناس ان يسعوا في امور معاشهم ومعادهم ولم
يكونوا يتهنئون بالعيش مع فقدهم لذة النور وروحه [يتهيؤن له]
فكونه من الرحمة ظاهر مستغن بظهوره عن الاطناب
ومن الظاهر ان المفلوق ليس هو الفلق بل هو ظلمته
وهو الغبش في اخر الليل وكان الافق كان بحرا مملوا
من الظلمة ثم انه تعالى شق ذلك البحر المظلم بان اجرى فيه
جدولا من النور فالمعنى فلقت ظلمة الفلق بنور الفلق
وحسن الحذف للعلم به

وَأَنِرْ بِكَرَمِكَ دَاجِيَ الْغَلَسِ

الانارة الاضاءة والباء سببية والكرم الجود والسخاء يقال
رجل كريم اذا كان جوادا سخيا وكونه من الكرم بين اذ الليل
لو امتد مثلا مقدار مائتي ساعة لكان تعوق اصناف الحيوان

عن الحركة والتصرف في طلب المعاش حتى يموت جوعا
وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات حتى تعفن وتفسد
كالذي تراه يحدث على النبات اذا كان في موضع لا تطلع
عليه الشمس مع ان الحر والبرد يديفان الابدان وينضجانها [يدبغان له]
ولولاهما لفسدت او هزلت فجعل النهار بكونه مبصرا
ليبتغوا فيه من فضله وليتبوؤا الى منفعة وليسرحوا في [وليتسببوا له]
ارضه طلبا لما فيه نيل العاجل من دنياهم ودرك الآجل
في اخرتهم قل ارأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا
الى يوم القيمة من اله غير الله يأتيكم بضياء افلا تسمعون
والدجى ظلمة الليل وكان النجوم بين دجاها سنن
لاح بينهن ابتداع يقال دجى الليل اذا تمت ظلمته
والبس كل شيء ومنه ليل داج والغسق محركة الظلمة
اول الليل ومن شر غاسق اذا وقب اي الليل اذا دخل
كذا في القاموس فالتجريد لازم او الاضافة لامية وفيه مبالغة

او بانيه وقيل غسق الليل منتصفه لا ظلمة اوله كما قاله
بعض اللغويين ثم استشهد عليه بما رواه في الكافي
بسند صحيح عن الباقر انه قال فيما بين دلوك الشمس الى
غسق الليل اربع صلوات الى ان قال وغسق الليل
انتصافه وعليه فلا حاجة الى التجريد ولعله خص منتصفه
بالذكر لكونه اشد ظلاما ببعد الشمس من الافق الغربي
ووصولها الى دائرة نصف النهار تحت الارض فاهل
هذه الاقاليم وقتئذ يكونون في وسط مخروط ظلها
فوق الارض في اشد الظلام والمراد انه تعالى بكرمه جعل الا هوية
المظلمة منورة لا الظلمات نفسها فانها لا تتصف بالنور
والحق ان تكيف الهواء بالنور في الجملة مما لا ينبغي الشك
فيه وان منع منه من جعل اللون شرطا في التكيف به فاذا دعائه
عليه السلام بها الاهوية المظلمة لا مانع منه ويجوز ان
يراد بها الاجسام المظلمة غير الهواء وهذا ليس فيه كثير

بعد

بعد لاستغنائه عن تجشم الاستدلال على قبول الهواء
الضوء وسلامته عن شوب الخلاف او المراد بانارتها اعدامها
باحداث الضوء في محالها وهذا مبني بان الظلمة كيفية
وجودية كما ذهبت اليه طائفة قيل وهذا وان كان
الاكثر على بطلانه الان دلائلهم عليه ليست بهذه
القوة فهو باق على اصل الامكان الى ان يذب قاطع
البرهان وَاَنْهَرْتَ
الْمِيَاهَ مِنَ الصُّمِّ الصَّيَاخِيدِ عَذْباً وَاُجَاجاً
الانهار الاجراء والاسالة والصب بكثرة ومنه النهر بفتح
والسكون المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر كا
لنيل والفرات والزكيب للسعة والماء الذي يشرب
الهمزة فيه مبدلة من الهاء في موضع اللام واصله موه
بالتحريك والصم اصله صلابة حاصلة من اكتناز الاجزاء
وتضامها ومنه قيل حجر صم اي ليس فيه تجاويف وقنا

صماء اى درع مصمت غير مجوف كالقصب وصمام القارورة
بكسر الصاد ما يشد به ثم سمى به فقدان حاسة السمع
لان سببه ان يكون باطن الصماخ مكتنزا لا تجويف فيه
يشتمل على هواء يسمع الصوت بتموجه والجمع الصم افانت
تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون صم بكم عمى فهم لا يرجعون
وكلمة من بظاهرها مشعرة بان تلك المياه كانت فى الاصل
احجارا فانقلبت مياها وهذا كما يقال من النطفة كان
انسان بمعنى انها خلعت صورتها ولبست صورته
فهى ابتدائية والظرف فى محل النصب على الحالية اى
اجريتها حال كونها مبتداة منها والصيخود الصخرة الشديدة
والجمع الصياخيد والياء زائدة يقال صخرة صيخود وصيخاد
اى شديدة والصخود الصلابة والعذب الطيب الذى
لا ملوحة فيه وفى القاموس العذب من الطعام والشراب
كل مستساغ والاجاج بالضم الماء الملح الشديد الملوحة

هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج وهما منصوبان
اما على الحالية او المصدرية او التميزية وهو الاظهر ولعل
المراد انه تعالى شق تلك الاحجار فانشقت انشقاقا بالطول
والعرض فنبعت منها المياه لا انقلبت مياها كما يفيد انها م
الظاهر فان قلت كيف جوزت ان يكون عذبا واجاجا
حالين من المياه والحال يجب ان تكون مطابقة لذيها
فى التذكير والتانيث وهنا قد انعدمت حيث لم يقل
عذبة واجاجة قلت معنى الكلام انه تعالى اجرى المياه من
الاحجار الشديدة الصلابة حال كونها عذبا بعضها
واجاجا بعضها كما فى قول امرء القيس كان قلوب الطير
رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى
حيث لم يقل رطبة ويابسة لكن ظاهره يقتضى حذف
الفاعل وابقاء رافعه ولا يجوز البصريون ولا بعض
الكوفيين الا ان يقال تفصيل الحال لفظا يستدعى

تفصيل ذيها وهو يجوز ترك تانيثها فان العذوبة
بالنسبة الى البعض والاجوجة بالنسبة الى الاخر والاظهر
ان يقال قسما عذبا وقسما اجاجا والاولى ان يحمل نصبه
على التميز لعدم حاجته الى التاويل فانه يكون مفردا
وان كان المتميز به مثنى او مجموعا اذا كان جنسا يتشابه
اجزائه ويقع مجردا من التاء ويطلق على القليل والكثير
كالماء والتمر ونحوهما   الماء اذا كان لطيفا
خفيفا وزنه لقلة ما يخالطه من الارضية وعدم ما يمازجه
من الاوساخ المدنية والكيفيات المعدنية الموجبة
لفسادها جاريا على تربة نقية غير قابلة للعفونة و
خاصة الماء الجارى الى المشرق لان الرياح المشرقية
معتدلة بين الحرارة والبرودة مايلة الى اليبوسة فتكون
مصلحة له وسيما الماء المنحدر الى اسفل فان حركته
اسرع فيزيله لطافة وخاصة اذا بعد المنبع لانه يكون

الطف لكثرة حركته بطول المسافة يرق لرقته ولطافته
رطوبة الفم ويسيلها وينفذها فى جرم اللسان وهو خال
عن الطعوم وبذلك تحصل العذوبة لان طعم هذه
الرطوبة مايل الى العذوبة كالبلغم الطبيعى والعذوبة
اول درجات الحلاوة ولذلك يتخيل لشاربه انه حلو و
الا فالماء البسيط لا طعم له ولا رائحة بل ولا لون كما ثبت
فى مقامه وَاَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَآءً
ثَجَّاجًا من ابتدائية وهى بمجرورها
فى موضع النصب على الحالية من الماء وثجاجا صفة له و
انما قدم على ذيها الضرورة رعاية الفاصلة مع كونها
ظرفا والمراد انه تعالى انزل ماء ثجاجا حال كونه مبتدأ
وناشيا من المعصرات وهى السحاب اذا اعصرت اى شارفت
ان تعصرها الرياح فتمطر كقولك اجز الزرع اذا حان
له ان يجز ومنه اعصرت الجارية اذا دنت ان تحيض و يمكن

ان يراد بها السموات لان الماء ينزل من السماء الى السحاب
ومنه الى الارض فكان السموات بعصرن اى يحملن على العصر
ويمكن منه قال صاحب الدعاء جعلت له القدا السحاب
غربال المطر ولولا ذلك لافسد كل شئ وقع عليه ولا
التفات الى ما يزعمه الطبيعيون اذ لم يقيموا على ما زعموه
من سبب حدوث المطر برهانا يعتمد عليه او دليلا تركن
النفس اليه بل الظاهر انه لا مجال للقول بان جميع الماء
النازل من السماء هو الذى صعد من الارض بمخالطة
الهواء المتصاعد بسبب استيلاء الحراره ولا للقول
بان الصاعد هو جزء من الف الف من النازل فيكون
الصاعد عندهم بعد الانقلاب الهواء ماء فيكون حدث
معظمه فى السماء ويجوز ان يراد بها الرياح ذوات الاعاصير
لان الرياح هى التى تنشئ السحاب وتدر اخلافه فصح ان يجعل
مبدءا للانزال وقد جاء ان الله تعالى يبعث الرياح فيحمل الماء

من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر
وعن سيدنا الصادق عليه السلام ان لله رياح رحمة لواقح ورياح
تهيج السحاب فتسوقه ورياح تحبس السحاب بين السماء
والارض ورياح تعصره فتمطره باذن الله ورياح تفرق
السحاب الحديث وماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج
بنفسه وفى الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع
الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى

فائدة

السبب الاكثرى فى كثرة الامطار الصيفية وصغر
حبات الشتوية ان الابخرة الصيفية فى الاكثر لا تخلو
عن الادخنة التى هى مادة الريح الموصلة بتموجها تلك
القطرات بعضها ببعض وفى الشتاء يكون الهواء ساكنا
فلا اتصال

فكر ٣

قالت الفلاسفة ان الشمس اذا اشرقت
على المياه والارض الرطبة تحلل منها اجزاء هوائية
مازجها اجزاء صغار مائية لا تميز بينهما فى الحس لفرط الصغر

والاخلاط والمركب منها يسمى بخارا وهوا اذا صعد وبلغ
في صعوده الى الطبقة الزمهريرية تكاثف بسبب البرد
فان لم يكن قويا اجتمع وتقاطر للثقل الحاصل من التكاثف
والانجماد فالمجتمع والمتقاطر المطر وان كان قويا فاما
ان يصل الى اجزاء السحاب قبل اجتماعها او بعده فان
كان الاول نزل السحاب ثلجا لان تلك الاجزاء الصغيرة
انعقدت وانضم بعضها ببعض وهو الثلج الذي هبط
كالقطن المحلوج وان كان الثاني نزل بردا واما
اذا لم يبلغ في صعوده لقلة حرارته اليها فان كان كثيرا
فاذا اصابه برد ينعقد سحابا ماطرا كما حكاه بعضهم
انه شاهده وقد صعد من سافل بعض الجبال صعودا
يسيرا وتكاثف حتى كانه مكبة موضوعة على وهدة
فكان هواء فوقها مشمسا وكان من تحته من اهل القرية
يمطرون وقد يتكون السحاب من انقباض الهواء بالبرد الشديد

فيحصل

فيحصل معه الاقسام ثم ان البخار المنعقد بردا ان كان بعيدا
من الارض كان صغير الحب مستديرا لذوبان زواياه
بالحركة السريعة الخارقة للهواء وان كان قريبا كان بالعكس
والسبب في كثرته في البلاد الباردة في الربيعين دون الشتاء
ان اجزاء البخارية اذا تم تكاثفها احاطت بها حرارة الهواء
وريح حارة انخفض البرد الى باطن السحاب دفعة فاستمسك
البخار وجمد دفعة واحدة لئلا تتحلل الحرارة فيها ولذا
كان الحار من الماء اسرع جمودا من البارد فهذا جملة احوال
الكائنات الجوية على ما يزعمونه واكثرها لا يجامع ما ورد
في الشريعة المطهرة على صادعها واله السلام الا بضرب
من التاويل **وَجَعَلْتُ**
الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لِلْبَرِيَّةِ سِرَاجًا وهاجا لهم
يستضيئون به في مآربهم فانه مع الحاجة الى الظلمة للهدوء
الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في ان يكون

الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل
لانه ربما احتاج الناس الى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم
في بعض الاعمال بالنهار او لشدة الحر وافراطه فيعمل في ضوء القمر
اعمالا شتى كحرث الارض وقطع الخشب او ما اشبه ذلك
فجعل ضوء القمر معونة لهم على معايشهم اذا احتاجوا الى ذلك
وايناسا السايرين وفي تصرف القمر خاصة في اهلاله ومحاقه
وزيادته ونقصانه وكسوفه من التنبيه على قدرة الله
خالقه المصرف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر به
المعتبرون فتبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل
فيها سراجا وقمرا منيرا وانما سمي قمرا لبياضه فان الاقمر
هو الابيض او لانه يقمر الكواكب اي يغلبها بزيادة النور
وقد اضطربوا في انه الى كم يسمى هلالا ومتى يسمى قمرا
فقال الجوهري الهلال اول ليلة والثانية والثالثة
ثم هو قمر وقال الفيروزابادي فقال الهلال غرة القمر او الى

ليلتين او الى ثلث او الى سبع وليلتين من اخر الشهر
ست وعشرين وسبع وعشرين وفي غير ذلك قمر وقال
بعضهم يسمى هلالا لليلتين من الشهر ثم لا يسمى هلالا الى
حتى يحجر وتحجيره ان يستدير بخط دقيق ثم يقال قمر وقال
بعضهم يسمى هلالا حتى يبهر ضوئه سواد الليل ثم يقال
قمر وهذا يكون في الليلة السابعة ولعل في وصفه بالتراجيه
تاييد لهذا القول وجعله مجازا بالمشابهة من باب ما يؤول
اليه الشيء سمح والبرية الخلق يقال براه الله يبراه خلقه
ويجمع على البرايا والبريات من البري التراب والسراج معروف
ويقال له النبراس ايضا وهو المشبه به وهذا التشبيه يسمى
التشبيه التسوية وهو ان يكون المشبه متعددا دون المشبه به
كقوله صدغ الحبيب وحالي كلاهما كالليالي وثغره في
صفاء وادمعي كاللآلي فان قلت المشبه به واجب ان يكون
اقوى واتم في وجه الشبه من المشبه قلت يجوز عند ارادة

الا ان يعود في الشهر الثاني وقال اخرون يسمى هلالا ثلث ليال ثم يسمى قمرا وقال اخرون يسمى هلالا الخ

الجمع بين شيئين في امر كتطلق اللون مثلا التشبيه ايضا
كتشبيه الصبح بغرة الفرس متى اريد ظهور منير في مظلم اكثر
من ذلك المنير من غير قصد الى المبالغة في وصف غرة الفرس
بالضياء والانبساط وفرط التلألؤ اذ لو قصد شيء من ذلك
لوجب جعل الغرة مشبها به لانه ازيد في ذلك ويمكن ان مشبها والصبح
يكون هذا التشبيه من باب تشبيه احاد من الجمل باخرى
مثلها بان يشبه كل من النيرين بالسراج المنير ويشبه من
يستضيء بنورهما وينتفع به وهم البرية بمن يستضيء بنوره
وينتفع به وازالتهما الظلمة واظهارهما الاشياء مع ظهورهما
بنفسهما بازالته الظلمة واظهاره الاشياء وظهوره بنفسه
الى غير ذلك من الاعتبارات ويمكن ان يكون من باب
تشبيه الهيئة الحاصلة من احاد جمل باخرى مثلها مثل
قوله وكان اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط ازرق
فانه يمكن فيه اعتبار كل من التشبيهين وان كان الثاني

احسن

يثنه ودم احسن ولما كان السراج في الاصل مصدرا لم يثنّ او
اتصاف ح يقال لما كان احدهما بالسراجية في وقت لم يجامع وقت
اتصاف الاخر بها افرد تنبيها على ذلك او هو جنس يطلق
على الواحد والمثنى او حذف في احدهما للظهور اي جعل
الشمس للبرية سراجا والقمر ايضا نورا وسراجا

ابتدأت بدله مِنْ غَيْرِ اَنْ تُمَارِسَ بِهِ فِيمَا اَبْتَدَعْتَهُ
لُغُوبًا وَلَا عِلَاجًا

كلمة غير وضعت للمغايرة وهي مستلزمة للنفي فتارة يراد
بها اثبات المغايرة كما في غير المغضوب عليهم ولا الضالين
فيكون اثباتا في حكم النفي لتضمنه اياه فيجوز تاكيده بلا
واخرى يراد بها النفي كقولك انا غير ضارب زيدا اي
لست ضاربا زيدا لا اني مغاير لشخص ضارب له فلفظة
لا مزيدة لتاكيد معنى ما في غير من معنى النفي ومارس
عالجه وزاوله كذا في القاموس والابتداع الاختراع

لا على مثال سابق وكل خلق لا على مثال سبق فهو
مبدع بفتح الدال وخالقه مبدع بكسرها وفي كلام الصاحب
الدعاء جعلت له الفداء مذكور في اصول الكافي في باب
جوامع التوحيد ابتدع ما خلق بلا مثال سبق ولا تعب
ولا نصب وكل صانع شيء فمن شيء صنع والله لا من شيء
صنع ما خلق والغرض انه تعالى خلق الخلق انشاء واوجده
ابتداء من غير مثال فلم يكن صنعه كصنع البشر لان الصانع
البشري انما يحصل بعد ان ترسم في الخيال صورة المصنوع
وتلك الصورة تحصل تارة عن مثال خارجي يشاهده
الصانع ويحذو حذوه وتارة بمحض الالهام فان كثيرا ما
يفاض على اذهان الاذكياء صور اشكال لم يسبقهم الى
تصورها غيرهم فيصورونها في الخارج وكيفية صنع الله
عز وجل منزهة عن الوقوع على هذين الوجهين اما الاول
فلانه تعالى كان ولم يكن معه شيء ولا قبل له فلا يكون خلقه

مسبوقا بمثال من صانع اخر صنع هو مثل صنعه واما الثاني
فلان الفاعل على وفق ما الهم وان كان مبتدعا ومخترعا
في الظاهر لكنه في الحقيقة ليس هو المبتدع وانما المبتدع هو
مفيض تلك الصورة وملهمها وهو مفتقر في الحقيقة الى الغير
الذي الهمه وافاض على ذهنه صورة ما ابتدعه ظاهرا
والله سبحانه منزه عن الافتقار والاحتياج فلم يكن صنعه
بهذا الوجه ايضا وفي بعض النسخ فيما ابتدأت به بالهمزة والمراد
به الابتداء الدهري او الزماني لو كان له معنى واذا لم يوجب
ابتداء الخلق من غير مادة نصبا ولا تعبا فبان لا توجبه
الاعادة لسبقها بالمادة اولى أفعيينا بالخلق الاول بل
هم في لبس من خلق جديد واللغب واللغوب النصب والتعب
والاعياء والعلاج العمل بالجوارح تقول عالجت الشيء
معالجة وعلاجا اذا زاولته والمراد انه صدرت منه
تعالى تلك الافاعيل العظيمة وظهرت منه هذه الاثار العجيبة

الغريبة المتحيرة فيها اذهان الاذكياء من غير ان يزاولها
ويعالجها بالاعضاء كما توهمه الكفرة الفجرة المجسمة والمشبهة
ومن يحذو حذوهم ومن دون ان يحمل فيها نصبا ولا
تعبا كما هو شان القوى المادية الجسمانية فانها تتجزا و
تكل عند تكثر الافعال وتوارد الاعمال لتاثرها و
انفعالها فهي لا تقدر على افعال غير متناهية بخلاف
القوى المجردة عنها وخاصة القدرة القديمة الواجبة
فهو سبحانه ابتدع بقدرته الخلق ابتداعا واخترعهم على
مشيته اختراعا وكونهم بارادته تكوينا واحدثهم بحكمته
احداثا من غير المزاولة بالاعضاء والمعالجة بالجوارح ومن
غير ان يمسه فيما فعله نصب ولا تعب واليه يشير بقوله
عز من قائل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب تذنيب روى رئيس
المحدثين في كتاب العلل باسناده عن صاحب الدعاء جعلت

له الفداء في حديث طويل انه قام اليه رجل من اهل الشام
فقال يا امير المؤمنين اني اسئلك عن اشياء فقال سل
تفقها ولا تسئل تعنتا فاحدق الناس بابصارهم فقال
اخبرني عن اول ما خلق الله تعالى وتبارك فقال خلق النور
قال فمم خلق السموات قال من بخار الماء قال فمم خلق الارض
قال من زبد الماء قال فمم خلقت الجبال قال من الامواج
والحديث طويل اخذنا منه موضع الحاجة ونقل عن
ثاليس الملطي ان اول ما ابدعه الله تعالى من الاجسام
هو الماء لانه قابل لكل صورة ثم حصل الارض منه بالتكثيف
والهواء والنار بالتلطيف اذ الماء اذا لطف صار هواء
وتكونت النار من صفوة الماء والسماء تكونت من دخان
النار ويقال انه اخذه من التورية لانه جاء في السفر الاول
منها ان الله خلق جوهرا فنظر اليه نظر الهيبة فذابت اجزاؤه
فصارت ماء ثم ارتفع منه بخار كالدخان فخلق الله منه السموات

وظهر على وجه الماء زبد فخلق منه الارض ثم ارساها بالجبال
ونقل صاحب الملل والنحل عن تاليس الملطى انه قال ان
المبدع الاول ابدع العنصر الذى فيه صور الموجودات و
المعدومات كلها فانبعث من كل صورة موجود فى
العالم على المثال الذى فى العنصر الاول فمحل الصور
ومنبع الموجودات هو ذات العنصر وما من موجود فى العالم
العقلى والعالم الحسى الا وفى ذات العنصر صورة ومثال
منه ثم قال ومن العجب انه نقل عنه ان المبدع الاول هو
الماء ومنه ابدع الجواهر كلها من السماء والارض وما
بينهما فذكر ان من جموده تكون الارض ومن انحلاله تكون
الهواء ومن صفوة الهواء تكون النار ومن الدخان والابخرة
تكون السماء ومن الاشتعال الحاصل من النار الاثير
تكون الكواكب فدارت حول المركز دوران المسبب
على السبب بالشوق الحاصل اليه ثم قال ان تاليس الملطى

انما تلقى

انما تلقى مذهبه من المشكوة النبوية يعنى ما نقل عن التورية
اقول ظاهر ما نقل عنها وصريح ما نقل عن تاليس الملطى
يفيد ان ذلك الجوهر او ذاك الماء اول ما ابدعه الله
من الجواهر الجسمانية فلا منافاة بينه وبين الروايات
الواردة من العامة والخاصة ان العقل اول مخلوق ابدعه الله
تعالى منها ما فى الكافى عن سماعة عن ابى عبد الله الصادق
عليه السلام ان الله عز وجل خلق العقل وهو اول خلق
من الروحانيين عن يمين العرش من نوره والظاهر ان
المراد بالعقل فى هذه الروايات هو النفس المجردة و
تسميتها بالعقل من باب تسمية المحل باسم الحال اذ العقل
باصطلاح اهل الشرع غريزة نفسانية مدركة لما فيه
صلاح النفس فى النشأة الاخرة وليس المراد بما اصطلح
عليه الفلاسفة من العقول العشرة اذ العقل باصطلاحهم
جوهر مجرد فى ذاته وفعله والرواية الصحيحة الواردة فى الطرفين

صريحة في ان المراد به اما النفس او قوة قائمة بها حيث قال
لا اكملنك الا فيمن احب اما انى اياك آمر واياك انهى و
اياك اعاقب واياك اثيب وقوله نعم ثم قال له اقبل فاقبل
ثم قال له ادبر فادبر محمول اما على الاستعارة التمثيلية
بتشبيه الهيئة الحاصلة من القاء اوامر الله ونواهيه
الى النفس وتلقيها اياها بالقبول بالهيئة الحاصلة من امر
السيد عبده المطيع له فيما يامره وينهاه فتارة يامره بالاقبال
فيقبل واخرى بالادبار فيدبر او على الاستعارة التبعية
فالاقبال استعارة عن الاتيان بالاوامر والادبار عن
الانتهاء عن النواهي فان قلت قد ورد عن النبي ص انه
قال اول ما خلق الله نوري وفي رواية روحي وفي اخرى
اول ما خلق الله القلم فكيف التوفيق بين هذا الخبر وهذه
الاخبار قلت اول ما خلقه الله نفس النبي ص وهي من حيث
انها تدرك الاشياء كما هي عقل ومن حيث انها تهتدي

بها نور

بها نور ومن حيث انها باعث حيوة الخلق بالمعرفة والعبادة
روح ومن حيث انها مظهر الحقايق والدقايق قلم واما
قول بعض الحكماء ان النفوس حادثة بحدوث البدن
فغير مسلم وكثير من الروايات ناطقة بخلافه منها صحيحة
بكير بن اعين عن الباقر ع المذكورة في الكافي خلق الله
ارواح شيعتنا قبل ابدانهم بالفي عام ولا استبعاد فيه
اذ كما يجوز تعلق الارواح بعد خراب هذه الابدان بابدان
مثالية جاز تعلقها بها قبل تعلقها بهذه الابدان كما دل
عليه كثير من الاخبار منها قول ابي جعفر عليه السلام ان
الله خلق الخلق ثم بعثهم في الظلال قال السائل قلت
واي شيء الظلال قال الم تر الى ظلك في الشمس شيء
وليس بشيء هذا ولما دلت الفقرات السابقة على انه
تعالى واجب الوجود لذاته متوحد في فعله غالب على
غيره اذ صدر عنه تلك الافاعيل العظام وخاصة ابتداء

الخلق وابتداعه من غير لغوب من القدرة الممكنة غير ممكن

ولا كلام فى ان من هذا شانه فهو باق بذاته قاهر

على غيره فرع عليه

تنبا من توحد بالعز والبقاء

تفرد وطلب من نفسه ان يكون واحدا والعز خلاف

الذل والعزة فى الاصل القوة والشدة والغلبة والرفعة

والامتناع يقال عز يعز بالكسر اذا صار عزيزا وعز يعز

بالفتح اذا اشتد والعزيز المنيع الذى لا يغلب ويقال

من عزّ بزّ اى من غلب سلب وعزه تعالى عبارة عن قدرته

وغلبته على الممكنات وبقى الشى من باب رضى بقاء

بالمد فهو باق لم ينفد ما عندكم ينفد وما عند الله

باق والبقاء صفة الوجود وهو استمراره او هو وجود

مخصوص فانه وجود مستمر وبقائه تعالى عين ذاته فاستحال

ان يسبقه عدم او يلحقه انقطاع بل هو باق ازلا وابدا

وان مرت

وان مرت الدهور والاعوام ومضت الازمان والايام

اذ لا غاية له من الزمان ينتهى اليها ولا مدة مضروبة

منه يقف عليها كما يكون للزمانيات من زمانها لان الدهور

والاعوام والازمان والايام من جملة مخلوقاته ووجوده

تعالى وان كان مساوقا لوجود الزمان بمعنى انه معه فى

فى الوجود اذ كان هو موجده وخالقه الا ان مساوقة

الزمان لا يقتضى الكون فى الزمان كالعالم فانه مع الجزئيات

وليس فيها واذا كان تعالى فى الزمان لم يكن له غاية منه

يقف عندها فثبت انه تعالى باق دائم على مر الدهور

والازمان والشهور لان الواجب بالذات ممتنع العدم

دائما فان كل ما كان واجب الوجود لذاته فى وقت فهو

واجب الوجود فى جميع الاوقات ازلا وابدا ما دام الذات

لان الواجب بالذات ما كان مجرد ذاته كافيا فى كونه واجبا

فكل ما كان مجرد ذاته كافيا فى كونه واجبا وجب وجوده

فی کل وقت اذ لو وجد فی وقت دون وقت لزم اما الترجیح
بلا مرجح او الوقوع بسبب وهم قد فسروا الباقی من اسمائه
تعالی بما لا سبیل علیه للفناء اذ الذی لا یعرض علیه عوارض
الزوال ولا ینتهی تقدیر وجوده فی الاستقبال ویعبر
عنه بانه ابدی الوجود لان بقاؤه غیر متناه ولا محدود
ولیست صفة بقائه ودوامه کبقاء الجنة والنار ودوامهما
لان بقائه ابدی ازلی وبقاؤهما ابدی غیر ازلی ولیس
المراد ببقائه استمرار وجوده من حیث انتسابه الی الزمان
الثانی کما هو المشهور فی تفسیره وجوزه بعض الفضلاء
المتاخرین المائلین الی القول بالزمان الموهوم کما اشرنا
الیه نعم یمکن تصحیح المعنی المشهور علی القول بالزمان التقدیری
کما اومأنا الیه فی بعض رسائلنا المعمولة لتحقیق الحدوث
الدهری فلیطالع من هناك

وَقَهَرَ عِبَادَهُ بِالمَوْتِ وَالفَنَاءِ

القهر

١٨٠

القهر الغلبة والقهار من صفاته تعالی والعباد جمع عبد
واکثر ما یطلق علی المملوك وقد یطلق علی الانسان حرا
کان او رقیقا قال صاحب المحکم یذهب بذلك الی انه مملوك
لباریه عز وجل وقال سیبویه هو فی الاصل صفة قالوا
رجل عبد ولکنه استعمل استعمال الاسماء وقال الجوهری
واصل العبودیة الخشوع والذل وللعبد عشرون جمعا
اشهرها عباد وعبید واعبد وجعل بعضهم العباد
وغیره من الجمع لله والمخلوقین والمراد بالعباد هنا جمیع
ما سوی الله تعالی لاشتراك الکل فی الامکان المصحح لطریان
العدم یعنی انه تعالی یجعلهم مقهورین مغلوبین باماتتهم
وافنائهم ویتفرد هو بالبقاء کل من علیها فان ویبقی وجه
ربك ذو الجلال والاکرام والتعبیر بصیغة الماضی للدلالة
علی تحقق وقوعه کانه امر وقع وتحقق ومن لا یقول باعادة
المعدوم بعینه بل بتفرق اجزاء الجسم وخروجها عن حیز

يأول الفناء في القرآن والحديث بالتغير لخ

الانتفاع بأوله بان ماسوى الله تعالى دائما في التغير والتبدل
وفي معرض الفناء والزوال وهو تعالى من حيث الذات
والصفات باق ازلا وابدا من حيث لا يلحقه شائبة تغير
اصلا لكل شيء فان الا ذاته تعالى وهذا مضمون رواية
صحيحة رواها ثقة الاسلام في اصول الكافي وجماعة
من المتكلمين على ان الموت فعل من الله او من الملك
يقتضي زوال حيوة الجسم من غير حرج وجمهور المعتزلة
القائلين بان النفس جسم لطيف بخاري يتكون من الطف
اجزاء الاغذية وينفذ في العروق الضوارب والحيوة
عرض قائم بالنفس وحال فيها قالوا وكيفية قبض ملك
الموت للنفس انه يلج في فم الانسان الى قلبه لانه جسم لطيف
هوائي لا يتعذر عليه النفوذ في المخارق الضيقة فيخالط
النفس التي هي كالشبيهة به لانها جسم لطيف بخاري ثم
ثم يخرج من حيث دخل والنفس معه وانما يكون ذلك في

الوقت

الوقت الذي باذن الله تعالى له فيه وهو حضور الاجل
وهؤلاء نافون للنفس المجردة واما المثبتون لتجردها كالاعاظم
الحكماء الالهيين واكابر الصوفية العارفين وجمع من المتكلمين
كقدماء اصحابنا الامامية مثل ابن بابويه والمفيد و
المرتضى وبني نوبخت والغزالي والفخر الرازي وغيرهم
فحقيقة الموت عند هؤلاء هي انقطاع تعلق النفس بالبدن
وتصرفها فيها لخروجه عن حد الانتفاع به وكيفية
قبض ملك الموت لها انه يتولى افاضة العدم على قوى
هذا البدن حال انقطاع تعلق النفس به وعلى هذا
فيكون خروج النفس عن ابدانها كما ورد في بعض الايات
والروايات كناية عن مفارقتها لها وانقطاع تعلقها
بها ولما كانت النفس منغمسة منغمرة في عوارض البدن
وعلائقه المادية وملاحظتها اياه دائما لا ينفك عن الالتفات
اليه مادامت متعلقة به لسعيها في مصالح هذا المزاج

وصلاحه واعدادها اياه لتمام التصريف والاستعمال كانت
كانها حالة فيه حلول الساكن فى الدار القائم بمصالحها
فعبر عن القائها اياه وطرحها له وتخليها عنه بالخروج
عنه فالموت عند الاولين من المتكلمين كما سبق وجودى
واستدلوا عليه بكريمة خلق الموت والحيوة ليبلوكم فان
المعدوم لا يوصف بالخلق والحق ان المراد به احداث اسبابه
على حذف المضاف وله اسباب منها ما به يفسد مزاج
القلب من الم شديد او كيفية مفرطة من الكيفيات المعلومة
او كيفية غريبة سمية او احتباس مادة النفس والبرسمون
فى الاكثر يموتون بعدم التنفس هذا وفنى المال يفنى
من باب تعب نفد ويتعدى بالهمزة فيقال افنيته والقول
بان الله يخلق الفناء فيفنى به الاجسام جميعا لكونه ضد
لها ليس بشىء لانه لو كان قائما بذاته كان جوهرا ولو كان
قائما بغيره فاما جوهرا او ينتهى اليه وعلى التقديرين لا يكون

ضد الجوهر

ضد الجوهر فلا ينافيه **تبصرة** قال بعض المحققين اعلم
ان الذى نطقت به الاخبار وشهد به الاعتبار ان الموت
ليس الا تغير حال وهو مفارقة الروح لهذا البدن الجارى
مجرى الالة للذى الصنعة وان الروح باقية بعده كما شهدت
به البراهين العقلية والاخبار النبوية المتواترة ومعنى
مفارقتها له انقطاع تصرفها فيه لخروجه عن حد الانتفاع
به فما كان من الامور المدركة لها يحتاج الى الة فهى
معطلة عنه بعد مفارقة البدن الى ان تعاد اليه
فى القبر او يوم القيمة وما كان لها بنفسها من غير آلة
فهو باق معها تتنعم به وتفرح او تحزن من غير حاجة
الى هذه الالة فى بقاء تلك العلوم والادراكات الكلية
لها هناك وقد ضرب للمفارقة التى سميناها بالموت
مثل فقيل كما ان بعض اعضاء المريض يتعطل بحسب
فساد مزاج يقع فيه او بحسب شدة تعرض للاعصاب فيمنع

نفوذ الروح فيها فتكون النفس مستعملة لبعض الاعضاء
دون ما استعصى عليها منها فكذلك الموت عبارة عن
استعصاء جميع الاعضاء وتعطلها وحاصل هذه (المفارقة)
يعود الى سلب الانسان عن هذه الاعضاء والالات
والتعينات الدنيوية من الاهل والمال والولد ونحوها
ولا فرق بين ان تسلب هذه الاشياء عن الانسان او (يسلب)
هو عنها اذا كان المولم هو الفراق وقد يحصل ذلك (بنهب)
مال الرجل وسلب ذريته وقد يحصل بسلبه ونهبه
عن اهله وماله فالموت بالحقيقة هو سلب الانسان
عن امواله بازعاجه الى عالم اخر فان له في هذا العالم (كان مع)
شيء يانس به ويستريح اليه فبقدر عظم خطره عنده (بعظم)
تحسره عليه في الاخرة ويكون سبب عظم خطره عنده
ضعف تصوره لما أعد للابرار المتقين في الاخرة مما
يستحقر في القليل منه اكثر نفائس الدنيا فاما اذا كان

عين بصيرته مفتوحة حتى لم يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا به
عظم نعيمه وتمت سعادته اذا خلى بينه وبين محبوبه فقطع علائقه
وعوائقه الشاغلة له عنه ووصل اليه وانكشف له هنالك ما
كان يدركه من السعادة بحسب الوصف انكشاف مشاهدة
كما يشاهد المستيقظ ما راه في النوم والناس نيام فاذا
ماتوا انتبهوا ولذلك كان الموت راحة للمؤمنين ومحبوبا
للمتقين كما اشار اليه سيد المرسلين صلوات الله عليه
واله اجمعين ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله

صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ

علم منقول من اسم المفعول المضعف سمي به نبينا الهاما
من الله وتفؤلا بانه يكثر حمد الخلق له **وَآلِهِ الاتقياء**
المتنزهين عما يشغل سرهم عن الاقبال عليك و(المتبتلين)
بتراشرهم اليك وهو التقوى الحقيقي المعنى بقوله تعالى (هذا مع)
واتقوا الله حق تقاته وقد سئل بعض اهل بيت العصمة

سلام الله عليهم عن معناه فقال هو ان لا يراك الله حيث نهاك
ولا يفقدك حيث امرك فالتقي من يجتنب المنهيات بآسرها
ويرتكب المامورات بتمامها وقد يراد به من يتوقى من
العذاب المخلد بالتبري عن الشرك فله ثلث مراتب والمعروف
باسم التقوى في عرف الشرع هو المرتبة الثانية والتقوى
المحظورات خ د في اللغة بمعنى الاتقاء وهو اتخاذ الوقاية من المحذورات
وعند اهل الحقيقة هي الاحتراز بطاعة الله عن عقوبته
وقيل هي وقاية النفس عما يضر في الاخرة من اعتقاد
عمل وخلق وقال بعض العلماء التقوى بحسب العرف
الشرعي تعود الى خشية الحق سبحانه المستلزمة للاعراض
عن كل ما يوجب الالتفات عنه من متاع الدنيا وزينتها
وتنحية ما دون وجهة القصد وقيل ان خزائن الدنيا
والاخرة جمعت تحت نقطة واحدة وهي التقوى انظر الى
ما في القران الكريم من ذكرها فكم علق عليها من خير ووعد

لها من ثواب واضاف اليها من سعادة دنيوية وكرامة اخروية
ولنذكر من خصالها وآثارها الواردة فيه اثنتي عشرة خصلة
الاولى المدحة والثناء قال تع وان تصبروا وتتقوا فان
ذلك من عزم الامور الثانية الحفظ والحراسة قال تع
وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا الثالثة التاييد
والنصر قال تع ان الله مع الذين اتقوا الرابعة النجاة من
من الشدائد والرزق الحلال قال تع ومن يتق الله يجعل
له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الخامسة صلاح
العمل قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا
سديدا يصلح لكم اعمالكم السادسة غفران الذنوب قال
تع ويغفر لكم ذنوبكم السابعة محبة الله قال تع ان الله
يحب المتقين الثامنة قبول الاعمال قال تع انما يتقبل الله
من المتقين التاسعة الاكرام والاعزاز قال تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقيكم العاشرة البشارة عند الموت

قال تعالى الذين امنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحيوة

الدنيا وفي الاخرة الحادية عشر النجاة من النار قال تعالى

ثم ننجي المؤمنين الذين اتقوا الثانية عشر الخلود في الجنة

قال تعالى اعدت للمتقين فقد ظهر لك ان سعادة الدارين

منطوية فيها ومندرجة تحتها وهي كنز عظيم وغنم جسيم

وخير كثير وفوز كبير انتهى والاتقياء جمع تقي وهو المتجنب

عن المعاصي وقال الشهاب الفيومي رجل تقي زكي وقوم

اتقياء وتقي يتقي من باب تعب تقاء واتقاء والاسم

التقوى واصل التاء واو لكنهم قلبوا انتهى فاصل تقي

وقي قلبت الواو تاء كما في تخمة وتراث **واسمع نداي**

سماع قبول واجابة والا فهو سبحانه سميع لا يشغله صوت

عن صوت ولا شان عن شان وهو الذي يسمع السر

والنجوى سواء عنده الجهر والخفوت والنطق والسكوت

فيكون المراد بالسماع الاجابة والقبول وهو في الاستعمال

شايع يقال فلان سامع اي سامع لما يؤمر به كانما كان

سمع طاعة وقبول ومنه قوله تعالى واتقوا الله واسمعوا

قال بعض العلماء اصل السماع الاصغاء لكنهم استعملوه

في الاجابة وقبول الامر كثيرا كما تقول سمع فلان ما قلت

له ومنه قولهم سمع القاضي البينة اي قبلها انتهى ومن

هذا القبيل قوله صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت

بسوء عندهم اذنوا وقول الاخر اصم عن الشيء الذي

لا اريده واسمع خلق الله حين اريده المشهور في الاستدلال

على كونه تعالى سميعا مع قطع النظر عما علم ضرورة من دين

نبينا عليه وآله السلام من كونه سميعا ان كمال الحيوة

ولا سيما كونها مع كمال التجرد يقتضي ادراك المسموعات

وليس سمعه تعالى من صفات الفعل المتعلقة بالموجود

العيني ليكون حادثا بعد الوجود بل هو من صفات

الذات فيكون قديما يمكن تعلقه بالمعدوم كسائر التعلق

وبعد وجود المسموع يتعلق به من حيث الوجود والحضور
ولا تفاوت بين حضوره باعتبار الوجود وعدمه فيما
يرجع الى هذه الصفة نعم لما كان هذا النوع من الادراك
فى الانسان مثلا مشروطا بشرايط لا يتصور فى المعدوم
لم يمكن تعلقه به ولا يشترط شئ فى سماعه تعالى فلا يستحيل لم يمكن له
تعلقه بالمعدوم وقال المحقق الطوسى لما كان السمع والبصر
الطف الحواس واشدها مناسبة للعقل عبر بهما عن
العلم ولاجل ذلك وصفوا البارى تعالى بالسميع والبصير
دون الشام والذائق واللامس وعنوا بهما العالم بالمسموعات
والمبصرات **وَاسْتَجِبْ دُعَائِي** اجب واستجب
بمعنى ولعله عليه السلام اراد الايماء بذلك الى قوله تعالى
ادعونى استجب لكم وللاجابة شرايط واداب من طرف
الداعى اذا اختل واحد منها لم يجبه منها اخلاص النية
وحضور القلب والاستكانة والخشوع والصدق والالحاح
وحسن

١١٨

وحسن الظن بالله وتعلق القلب به وقطعه عن الاسباب
ومن اسبابه الصلوة على رسول الله واهل بيته عليهم
السلام فلا ينبغى له الترك واليأس بل الواجب عليه اصلاح
سره وحاله ليكون مطابقا لمقتضى الحكمة والمصلحة فيجيبه
وقد يجيب ويوخر بضرب من المصلحة ولو لم يستجبه يعوضه
اما فى الدنيا او الاخرة كما اشار الى ذلك صاحب الدعاء
جعلت له الفداء فى وصية لابنه الحسن عليهما السلام حيث
قال ولا يقنطنك ابطاء اجابة فان العطية على قدر
النية وربما اخرت عنك الاجابة فيكون ذلك اعظم
لاجر السائل واجزل لعطاء الامل وربما سألت الشئ
فلا توتاه واوتيت خيرا منه عاجلا واجلا او صرف عنك
لما هو خير لك فلرب شئ قد طلبته فيه هلاك دينك امر له
لو اوتيته فانظر كيف عدد للتأخر الاجابة اسبابا يلاحظها
السائل عند تأخرها فلا يقنط من رحمته تعالى واما ما يقال

اى فائدة فى الدعاء لان المطلوب منه ان كان مقدرا وجب
وقوعه وان لم يدع له وان لم يكن مقدرا امتنع وقوعه وان
كثر فيه دعاؤه فجوابه معلوم لانه تعالى اذا قدر شيئا ان لا يقع
الا بالدعاء امتنع وقوعه الا بالدعاء وعدم دعائه دليل
على عدم كونه مقدرا له وقد جاء فى الخبر عن سيد البشر
انه سئل انحن فى امر فرغ منه او فى امر مستأنف فقال
نحن فى امر قد فرغ منه وفى امر مستأنف واما من دعا
لا يلزم من دعائه ان يصل اليه ما قدر وصوله اليه بالدعاء
فان الدعاء وحده ليس بسبب موجب بل يحتاج وصوله
اليه الى شرايط اخر كما سبق هذا والدعاء بالضم والمد
والندا متغايران بل مترادفان لان الدعا لغة الندا و
الاستدعاء تقول دعوت فلانا اذا ناديته وصحت به لان
اصله الصياح والدعوة المرة واصطلاحا طلب الادنى
للفعل من الاعلى على جهة الخضوع والاستكانة وقيل هو

الرغبة الى الله وطلب الرحمة منه على وجه الاستكانة
والخضوع وقد يطلق على التمجيد والتقديس لما فيه من
التعرض للطلب سئل عطا عن معنى قول النبى من خير
الدعاء دعائى ودعاء الانبياء من قبلى وهو لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت
وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وليس
هذا دعاء وانما هو تمجيد وتقديس فقال هذا امية
بن ابى الصلت يقول فى ابن جدعان اذا اثنى عليك المرء يوما
كفاه من تعرضه الثناء فيعلم ابن جدعان ما يراد منه
بالثناء عليه ولا يعلم رب العالمين ما يراد منه بالثناء عليه

وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ أَمَلِي وَرَجَائِي

امر من حق بمعنى ثبت اى اجعله محققا مقضيا او من
حق الامر بمعنى تحققه فالمقصود انه اجعله متحققا
متيقنا بحيث لا يكون مشكوكا لى والفضل الزيادة فى السعة

واصله ان يبقى من الشيء زيادة لا يحتاج اليه وفضله تعالى
افاضة جوده وكرمه ابتداء من دون سابقة استحقاق فاذا
عرف العبد سعة رحمته وفيضه ولطفه ورافته واحسانه
وجوده وامتنانه واجرائه نعمه عليه ظاهرة وباطنة جلية
وخفية ضرورية وغير ضرورية منذ كونه جنينا في بطن
امه بلا سبق استحقاق ولا تقدم استيهال كان ذلك
موجبا لسكون نفسه اليه باعثا على رجائه دليلا له على
توقع قضاء حاجته منه واسعافه بما موله فلا جرم جعل
ذلك سببا لسواله والامل محركة الرجاء فالعطف تفسيري

يَا خَيْرَ مَنْ دُعِيَ لِكَشْفِ الضُّرِّ وَالْمَأْمُولِ

حذف الداعي للتعميم لانه تعالى يدعوه ويسأله من في السموات
والارض كما اشار اليه في كتابه الكريم والكشف وهو
المدعولة كالضرب رفع الشيء عما يواريه ويغطيه وبعبارة
اخرى رفع الستر والحجاب عن الشيء ومنه الكشاف واضافة

المصدر

المصدر الى المفعول اى لكشفه الضر وفيه استعارة بالكناية
وترشيح او استعارة تمثيلية مرشحة بان يشبه الهيئة الحاصلة
من احاطة الضر بالمضطر واصطحاب احدهما الاخر
بالهيئة الحاصلة من احاطة الستر المستور واصطحاب
احدهما الاخر ومن اسمائه تعالى كاشف الضر معناه المفرج
الذي يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف عنه السوء والضر
بفتح الضاد خلاف النفع وبالضم الهزال وسوء الحال
وضره وضاره بمعنى والاسم الضر والمامول معطوف
على الكشف اى لحصوله وقضائه وانجاحه ففيه اشارة
الى انه تعالى مدعو لامرين دفع الضر وجلب النفع

لِكُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ صعب وسهل او جليل

وحقير لانه ينبغي للعاقل ان يرجع في كل حوائجه الى
ربه وينزلها به جليلة كانت او حقيرة ولا يانف من رفع
المحقرات اليه فانه غاية التوكل عليه يا موسى سلني

كل ما تحتاج اليه حتى علف شاتك وملح عجينك والعسر
ضد اليسر وهو الضيق والشدة والصعوبة فاليسر
هو السعة والرخاء والسهولة قال اسحق بن بهلول
القاضي فَلَا تَيْأَسْ وَإِنْ أَعْسَرْتَ يَوْمًا فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي دَهْرٍ
طَوِيلٍ ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله اولى بالجميل
وان العسر يتبعه يسار وقول الله اصدق كل قيل اعلم
ان من اسباب اجابة الدعاء ان لا يعتمد الداعي على
غير الله تعالى اذا اراد احدكم ان لا يسئل ربه شيئا الا
اعطاه فلييأس من الناس كلهم ولا يكن له رجاء الا من
عند الله فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسئل له شيئا
الا اعطاه يا عيسى سلني ولا تسئل غيري فيحسن منك
الدعاء ومني الاجابة والى ذلك اشار بقوله **بِكَ**
لا بغيرك **أَنْزَلْتُ حَاجَتِي** لانه ليس لانجاح بغيتي
واسعاف طلبتي قادر سواك فتقديم الظرف لافادة التخصيص

والحصر

والحصر وذلك لانه تعالى لما كان له خزائن السموات والارض
وكان امرها بيده لا معطي ولا مانع الا هو وقد امر بالدعا
وتكفل بالاجابة وكانت له القدرة التامة التي لا يعجزها
شيء والجود الذي لا بخل فيه والغنى الذي لا فقر معه لا
ينقصه عطاء ولا يضره منع لا جرم من طلب اصلاح خلته
وجبر فاقته من عنده ودام صرف الفقر عن نفسه به طالبا
لحاجته من موضعها الذي يعلم انها فيه وقصد ما طلبه
من جهته التي يقصد منها فكان حريا بالنجح لما سأل وجديرا
بالظفر بما طلب واما من توجه بحاجته الى احد من المخلوقين
واناخ مطايا الرجاء في ساحة فقير عاجز مثله او جعله — والطلب مع
سببا لنجاحها والظفر بها معتمدا عليه دون الله فقد
تصدى للمنع وفوت الاحسان من الله تعالى اذ لم يات حاجته
من الوجه الذي ينبغي ان ياتيها منه ولم يطلبها من
محلها الذي هي فيه ومن التمس الشيء من غير محله واتاه من

غير جهته لم يظفر الا بالحرمان ولم يحصل الا على خيبة المطلب
روى ان ابا عبد الله ع قرء في بعض الكتب ان الله تعالى
يقول وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي
لاقطعن امل كل مؤمل غيري باليأس ولاكسونه ثوب
المذلة عند الناس ولانحينه من قربي ولابعدنه من
وصلي ايؤمل عندي في الشدائد والشدائد بيدي و
يرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الابواب
وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني فمن ذا الذي املني
لنوائبه فقطعته دونها ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت
رجائه مني جعلت امال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا
بحفظي وملأت السموات ممن لا يمل من تسبيحي وامرتهم
ان لا يغلقوا الابواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي
الم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي انه لا يملك كشفها احد
غيري الا من بعد اذني فما لي اراه لاهيا عني اعطيته بجودي

مالم يسئلني

مالم يسئلني ثم انتزعته منه فلم يسألني رده وسال غيري
افتراني ابدا بالعطاء قبل المسئلة ثم اسئل فلا اجيب
سائلي ابخيل انا فيبخلني عبدي او ليس الجود والكرم
لي او ليس العفو والرحمة بيدي او لست انا محل الامال
فمن يقطعها دوني افلا يخشى المؤملون ان يؤملوا غيري
فلو ان اهل سمواتي واهل ارضي املوا جميعا ثم اعطيت
كل واحد منهم مثل ما امل الجميع ما انتقص من ملكي
مثل عضو ذرة وكيف ينقص ملك انا قيمه فيا بؤسا للقانطين
من رحمتي ويا بؤسا لمن عصاني ولم يراقبني وفي هذا
المعنى احاديث اخر رويها العامة والخاصة لا يقال
العالم عالم الاسباب فكيف يذم من رجع الى الغير لظنه
انه سبب لانا نقول الذم باعتبار ان قلبه تعلق به واعتمد
عليه واما من لم يركن اليه ولم يثق به ولم يعتمد عليه
فالظاهر انه غير مذموم والاولى مع ذلك ان يرجع الى الله

تعالى فان شاء ان يكون قضاء حاجته على يد احد جعله
وسيلة له شاء اولم يشاء هذا ونزل بالمكان حل به والمراد
بانزال الحاجة به تعالى عرضها عليه واستدعاء انجاحها
منه فهو على الكناية والترشيح لان الحاجة عرض لا
يتصف بالنزول لان الصعود والنزول والحركة والسكون
وما شاكلها من صفات الاجسام فلا يتصف بها الا
المتحيز بالذات والغالب ان النزول موصول بالى او على
الحمد لله الذى نزل على عبده الكتاب نزل به الروح الامين
على قلبك ربنا انزل علينا مائدة من السماء فاجعل اللهم
صباحى هذا نازلا على بضياء الهدى ان الله ينزل كل
ليلة الى السماء الدنيا اى رحمته والطائفة او ملائكته
فلعل الوجه ان استعمال النزول معهما انما يكون
اذا كان النازل فى جهة عالية والمنزول عليه على خلافها
كما فى الاية والرواية واما اذا كان الامر بالعكس فلابد من

وصلها بالباء لتدل على نحو من المقاربة حقيقة او حكما
ومنه نزل بك وانت خير منزول به والا فليس له تعالى
منزل ومكان ليتصور النزول به حقيقة فهو مجاز عن
القرب الحاصل بالتبتل والانقطاع عن غيره اليه و
التوكل عليه او هو مبنى على الكناية والترشيح بتشبيهه
تعالى ذلك بعظيم يشد اليه الرحال وينزل عليه الرجال
ولما حصر طرائق انجاح مطالبه ومسالك افاضة مسائله
وماربه عليه تعالى وهو جل ذكره كريم لا ينبغى له ان يرد
الطالب والسائل عن بابه خائبا كيف وقد قال فى كتابه
العزيز واما السائل فلا تنهر فرع عليه قوله

فَلَا تَرُدَّنِّى مِنْ سَنِىِّ مَوَاهِبِكَ خَائِبًا

السنى فعيل من السناء وهو الرفعة ومنه بشر امتى
بالسناء اى بارتفاع المنزلة والقدر عند الله تعالى وقد
سنى يسنى سناء اى ارتفع واما السنى بالقصر فهو الضوء

اى من مواهبك الرفيعة فالاضافة من قبيل جرد قطيفة
والهبة العطية الخالية عن الاعواض يقال وهبت له شيئا
وهبا وهبة والاسم الموهب والموهبة بالكسر وخائباً حال
عن ضمير المفعول وقد مرت الخيبة مفسرة والظرف
مع المضاف اليه متعلق به اى لا ترجعني في حال خيبتي
من عطياتك السنية وعن الباقر عليه السلام ما بسط
عبد يده الى الله عز وجل الا استحيى الله عز وجل ان
يردها صفرا حتى يجعل فيها من فضله ورحمته ما يشاء
فاذا احدكم دعا به فلا يرد يده حتى يمسح بها على راسه
ووجهه وفي دعائهم عليهم السلام ولم ترجع يدي طالبة
صفرا من عطائك وخائبة من نحل هبائك **يا**
كريم يا كريم يا كريم ثلثا قيل اذا عين ذكر بعدد
مخصوص فلا ينبغي ان يتجاوز الداعي العدد المنصوص
عليه ولا ينقص منه فان الظاهر ان الثواب او الاثر

بلغ

المترتب على عدد معين لا يترتب على اكثر منه او اقل
وبه صرح ابن طاوس وغيره وقد مثل له بانه اذا قال
لك صادق القول عد من هذا المقام عشرة اذرع
فحيث انتهى كان فيه كنز فلا شبهة في انه لا يمكن تحصيله
في ما فوق العشرة ولا دونها انتهى والكرم يطلق
على ضد اللوم ويطلق على الجود وهو المراد هنا
قال ابن الاثير من اسمائه تعالى الكريم وهو الجواد المعطي
الذي لا ينفد عطاؤه ولما كان الجود الالهي لا بخل فيه
ولا منع من جهته لم يخيب سائلاً عن حاجته وان عظم
خطره وجل قدره اذ لا اثر للنقصان في خزائن ملكه و
عموم جوده بل جوده غير متناهية وكرمه غير محدود حكى
ابو القاسم الدمشقي قال كنت واقفا على حلقة الشبلي
في جامع المدينة فوقف سائل على حلقته وجعل يقول
يا الله يا جواد فتأوه الشبلي وصاح فقال كيف يمكنني

ان اصف الحق بالجود به ومخلوق يقول في مثله

تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تطعه انامله

تراه اذا ما جئته متهللا كانك تعطيه الذي انت آمله

ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

هو البحر من اي النواحي اتيته فلجته المعروف والبر ساحله

ثم بكى وقال بلى يا جواد انت الجواد فانك اوجدت

تلك الجوارح وبسطت تلك الهمم ثم مننت بعد ذلك

على قوم بالاستغناء عنهم وعما في ايديهم فانت الجواد

كل الجواد فانهم يعطون عن محدود وعطاؤك لا حد له

ويفتقرون اذا اعطوا ولا تفتقر من العطاء ولا تعجز

عن الجزاء فيا جوادا يعلو كل جواد وبه جاد كل من جاد

هذا والكريم الكثير الخير ونخلة كريمة اذا طاب حملها

او كثر والعرب تسمي الذي يدوم ويسهل تناوله كريما

ومن كرمه تعالى انه يبتدء بالنعمة قبل استحقاقها ويغفر من غير استحقاق له

الذنوب

الذنوب ويعفو عن المسيء وقيل الكريم المعبود وقيل

انه الصفوح وقيل معناه العلي الرتبة ومنه كرائم الاموال

لنفاستها وقال الواحدي الكريم اسم جامع لكل

ما يحمد ويستحسن في بابه فالله تعالى كريم لانه محمود

في كل ما يحتاج اليه والقران كريم لانه يوجد فيه

بيان كل شيء اولئك لهم مغفرة ورزق كريم هو نعيم

الجنة المقرون بالدوام واللذة وقيل الكريم العزيز

كما تقول فلان اكرم علي من فلان اي اعز وقوله تعالى

انه لقران كريم اي عزيز وقيل اي كثير الخير دال على

انه من عند الله والجواد هو المنعم المحسن الكثير النعم

والاحسان والفرق بينهما ان الكريم هو الذي يعطي

مع السؤال والجواد يعطي من غير السؤال وقيل بالعكس هو الذى ع

والمراد بكرمه تعالى فيضان الخير عنه من غير بخل ومنع

وتعويق على كل من يقدر ان يقبله بقدر ما يقبله هذا

من باب تعليق الامر على الوصف ليدل على عليته
وذلك انه تعالى لما كان كريما والكريم اذا وعد وفى
وهو سبحانه قد وعد لاجابة الدعاء فقال ادعونى
استجب لكم فليس لايقا لوجهه الكريم وفضله العميم
ان يرد سائله من عطائه العميم واحسانه العظيم
فلا تردنى من سنى مواهبك ياكريم **برحمتك**
يا ارحم الراحمين الذى سبقت رحمته
غضبه وهو الذى كتب على نفسه الرحمه والباء
للاستعطاف او للسببيه اى فلا تردنى خائبا
بسبب رحمتك التى وسعت كل شئ لا بالاستحقاق
منى وتعقب الدعاء بهذا الندا توقعا لحصول المطلب
واستعطافا بوصفه الدال على انه الجواد المطلق الذى
لا يرحم لمنفعة تعود اليه ولا مضرة يدفعها عنه وكل
رحيم سواه فرحمته لغرض من الاغراض اما ثناء دنيويا

اواجرا اخرويا او للرقة الناشية من الجنسية او نحو ذلك على — او جزاء له
ان تلك الرحمة ايضا يتوقف على داعية يخلقها الله تعالى
فيه والافات والالام التى نراها فى هذا العالم لا تنافى رحمته
تعالى لان كلها مستتبعة لمصالح وغايات لا يعلمها الا هو — مستتبعة له
وانها ضرورية فى الوجود لاشتمالها على خيرات اكثر من
الشرور ومما يناسب ايراده هنا ما رواه بعضهم انه وقف
على صبى فى بعض الغزوات ينادى عليه بمن تزيد فى
يوم صائف شديد الحر فبصرت به امراة وهو ينادى عليه
فعادت مسرعة اليه واخذته والصقته الى بطنها ثم
القت ظهرها على البطحاء واجلسته على بطنها تقيه
الحر فتقول ابنى ابنى فبكى الناس وتركوا ما هم فيه
فاقبل رسول الله صلعم حتى وقف عليهم فاخبروه فقال
اعجبتم من رحمة هذه ابنها ان الله ارحم بكم من هذه
بابنها فتفرق المسلمون وهم فرحون مستبشرون

وروى انه سبحانه لما نفخ فى ادم من روحه وصار بشرا فعند
ما استوى جالسا عطس فالهم ان قال الحمد لله رب
العالمين فقال الله تعالى يرحمك الله يا ادم فكان اول خطاب
توجه منه اليه بالرحمة وحين ارسل موسى الى فرعون
ليبلغه قال له اخبره انى الى العفو والمغفرة اسرع منى
الى الغضب والعقوبة وروى انه لما استغاث بموسى
حين ادركه الغرق ولم يستغث بالله فاوحى اليه يا موسى
لم تغث فرعون لانك لم تخلقه لو استغاث بى لاغثته
وروى ان يونس بن متى لما صار الى البحر الذى فيه
قارون قال للملك الموكل به ما هذا الدوى والهول
الذى اسمعه قال هذا يونس الذى حبسه الله فى
بطن الحوت فجالت به البحار السبعة حتى صار الى هذا
البحر فهذا الدوى لمكانه قال افتاذن لى فى كلامه
فقال قد اذنت لك فقال له قارون يا يونس الا تبت

الى ربك

الى ربك فقال له يونس الا تبت انت الى ربك قال
له قارون ان توبتى جعلت الى موسى وقد تبت اليه
فلم يقبل وانت لو تبت الى الله لوجدته عند اول
قدم ترجع بها اليه اولا تنظر الى حسن صنعه بعباده
وكيف تعلقت عنايته بالاحسان اليهم والرحمة لهم
والرحمة النعمة وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اى
نعمة عليهم ويقال للقران رحمة وللغيث رحمة اى نعمة
ويقال لرقيق القلب من الخلق رحيم لكثرة وجود الرحمة
منه بسبب الرقة واقلها الدعاء للمرحوم والتوجع له
واطلاق الراحم عليه تعالى وعلى غيره انما هو من باب
الاشتراك اللفظى اذ لا شركة بينه وبين غيره فى المعنى
اصلا فان رحمته تعالى تناسب ذاته المقدسة ورحمة
غيره رقة انعطاف تقتضى الشفقة واللطف بالخلق
وليست فى حقه تعالى بمعنى الرقة بل معناها ايجاد النعمة

للمرحوم وكشف البلوى عنه لانه ذو الرحمة الشاملة التي
وسعت الخلق في ارزاقهم واسباب معاشهم وعمت المؤمن
والكافر والصالح والطالح وغيرهم من الموجودات
خذ الغايات واحذف المبادي وقد مرت في فواتح
الدعاء مبسوطة مشروحة فليتذكر وصلى
الله على خير خلقه سيدنا سيد ولد ادم بل
ادم ومن دونه تحت لوائه بل كان نبيا وادم بين الماء
والطين وهو المشرف بخطاب لولاك لما خلقت الافلاك
وفي اضافة المصدر المفيد للعموم دلالة على انه اشرف
المخلوقات واكمل الموجودات وهو كذلك لقوله انا سيد
من خلق الله وقوله تعالى خلقت الاشياء لاجلك و
خلقتك لاجلي لانه اول من تشرف بعناية الله وصار
مظهر جلاله وجماله وقد تقرر في مقره ان خلق الله شئ اول م
مناسبة بالله تعالى اذ لا واسطة بينه وبين خالقه واما

استدلال

استدلال صاحب الكشاف فيه بكريمة انه لقول رسول
كريم على افضلية جبرئيل منه صـ حيث قال وناهيك
بهذا دليلا على جلالة مكانة جبرئيل وفضله على الملائكة
ومباينة منزلته لمنزلة افضل الانس محمد اذا وازنت
بين الذكرين حين قرنت بينهما وقايست بين قوله
انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين
مطاع ثم امين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون ففيه
انه تعالى كشح البيان في هذا المكان عن ذكر نعوته اما لكونه
اجل من ان يمدح في عرض مدح غيره وان كان جبرئيل
او لان المخاطبين بهذه الاية لما زعموا انه مجنون وان
القران مما القاه الشياطين الى الكهنة اقتضى المقام
ان لا ينعته بصفات الكمال لئلا يزيدهم انكارا ولذا
اخرج الكلام على سبيل التلطف بهم والمداراة معهم
حيث اضيف صـ الى انفسهم وعد من جملتهم تنبيها على

ان شانكم ان تفخروا به على كافة البرايا حيث ان الله اصطفى
من انفسكم من بلغ تلك المرتبة العظمى لا ان تنسبوه الى ما
يرجع اليكم نقصا ويسلب عنكم عزا هذا وهذا الكلام
منه عليه السلام خبر وقع موقع الانشاء اما للتفأل
بلفظ الماضى على انه من الامور الحاصلة التى حقها
ان يخبر بافعال ماضية او لاظهار الحرص فى وقوعه
لان الطالب اذا عظمت رغبته فى شئ كثر تصوره
له فربما يخيل اليه حاصلا فيورده بلفظ الماضى وهذا
معنى قولهم ان الدعا بصيغة الماضى من البليغ يحتمل الامرين
وروى ابن الغازلى عن سلمة بن كهيل قال مر على بن
ابيطالب عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله
وعنده عايشه فقال يا عايشه اذا سرك ان تنظرى
الى سيد العرب فانظرى الى على بن ابيطالب فقالت
انت سيد العرب فقال انا امام المسلمين وسيد المتقين

واذا سرك

واذا سرك ان تنظرى الى سيد العرب فانظرى الى على بن
ابيطالب وعن سعيد بن جبير عن عايشه قال اقبل على
بن ابيطالب فقال النبى ص من سره ان ينظر الى سيد شباب
العرب فلينظر الى على بن ابيطالب فقالت الست سيد
شباب العرب فقال انا سيد ولد ادم وعلى سيد العرب
وفى رواية اخرى قال رسول الله انتهيت ليلة اسرى
الى سدرة المنتهى فاوحى الى فى على ثلث انه امام
امام المتقين وسيد المرسلين وقائد الغر المحجلين الى — الوصيين ن د
جنات النعيم والسيد عند بعض اهل اللغة المسن من
المعز قال الجوهرى وفى الحديث ثنى من الضان
خير من سيد المعز وقد يقال للملك القوم وعظيمهم سيد
وساد فلان قومه يسودهم سودا بالضم وسيادة اذا
صار رئيسهم وقال الزجاج السيد الذى يفوق فى
الخير قومه وقال بعض اهل اللغة السيد المالك ومن

في حكمه الذي يجب طاعته ولذا يقال سيد الغلام ولا
يقال سيد الثوب وقيل لقيس بن عاصم بم سدت
قومك قال ببذل الندى وكف الاذى وقال النبي
على سيد العرب فقالت عايشه يا رسول الله الست سيد
العرب فقال انا سيد ولد ادم وعلى سيد العرب فقالت
وما السيد فقال من افترضت طاعته كما افترضت طاعتي
فعلى هذا الحديث السيد هو الملك الواجب الاطاعة
وقد يطلق السيد على الرب والشريف والفاضل و
الكريم والحليم والمتحمل اذى قومه والمقدم والزوج
ومنه الفيا سيدها لدى الباب واصله سيود قلبت
الواو لاجل الياء الساكنة قبلها ياء ثم ادغمت
محمد وآله الطاهرين يطهر الله اياهم من كل
رذيلة واذهابه عنهم دنس كل كبيرة وصغيرة والطهارة
النقاء من الدنس والنجس والطاهر النقي منهما وفي اصطلاح

ارباب العرفان الطاهر من عصمه الله من المخالفات وهو
ينقسم على الطاهر الظاهر وهو من عصمه الله من المعاصي
والى طاهر الباطن وهو من عصمه الله من الوساوس
والهواجس وطاهر السر وهو من لا يزيغ عن الله طرفة عين
وطاهر العلانية وهو من قام بتوفيقه حقوق الحق
والخلق جميعا لسعته برعاية الجانبين ولا خفاء في ان المراد
به هنا ما يعم جميع هذه الاقسام وهذه النعوت لهم
عليهم السلام عين الحق ونفس الواقع كيف لا وهم الذين
قال الله في شانهم انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت ويطهركم تطهيرا وما احسن واصدق
ما قال الجاحظ فيهم هم سنام العالم وصفوة الامم
وغرة العرب ولباب البشر ومصاص بني ادم وزينة
الدنيا وحلية الدهر وطينة البيضا والمغرس المبارك
والنصاب الوثيق ومعدن المكارم وينبوع الفضائل

واعلام العلم وايمان الايمان صلوة الله عليهم اجمعين
واما قول القاضي البيضاوي وتخصيص الشيعة اهل
البيت بفاطمة وعلي وابنيهما لما روي انه عليه السلام
خرج ذات غدوة وعليه مرط مرجل اسود فجلس فاتت من شعر ح
فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء الحسن
والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا واحتجاج
الشيعة بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف
لان التخصيص لا يناسب ما قبل الاية وما بعدها والحديث
يقتضي انهم اهل البيت لا انه ليس غيرهم فضعيف اما
الاول فلان القران انما نزل على الاساليب المنطوية
عليها لغة العرب لقوله قرانا عربيا ومن عادة فصحائهم
وبلغائهم في كلامهم انهم ينصبون من خطاب الى خطاب
ثم يعودون اليه فمن ذلك ما وقع لامرء القيس من الفصل

بين

199

بين لذتي الحرب والبوس بلذة الدعة في قوله كاني
لم اركب جوادا للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم اسبي الزق الروي ولم اقل لخيلي كري كرة بعد
اجفال ففصل بين لذتي الحرب والبوس وهما قوله كاني
لم اركب الى اخره وقوله لم اقل لخيلي الى اخره بلذة الدعة
وهي قوله ولم اتبطن الى قوله الروي من غير ضرورة داعية
من محافظة على وزن او قافية اذ كان له ان يقول كاني
لم اركب جوادا ولم اقل لخيلي كري كرة بعد اجفال
لم اسبي الزق الروي للذة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال
فكون ما قبل الاية وما بعدها في ازواج النبي ص
لا يمنع كون وسطها فيهم اذ الخروج من حكم الى اخر
في القران كثير جدا فكثيرا ما نزل الاية اولها في شيء
واوسطها في شيء اخر واخرها في اخر ولو اريد
بالوسط النساء لقيل عنكن او يطهركن دون عنكم

ويطهركم فهذا قرينة على المراد والقول بالتغليب سيظهر
ضعفه واما الثانى فلما قال ابو سعيد الخدرى وانس
بن مالك ووائل الابن الاسقع وعايشه وام سلمه و
غيرهم ان الايه مختصه برسول الله وعلى وفاطمه و
ابنيهما عليهم السلام وقول النبى فى جواب ام سلمه
ادخلنى معك ومعهم فى الكساء انت بخير والى خير وانما
نزلت هذه الايه فى هولآء خاصه وفى ناس بالباب
وفى تفسير الثعلبى عن ام سلمه ان النبى كان فى بيتها فاتته
فيها فاطمه ببرمة حريرة فقال لها ادعى زوجك وابنيك فقالت
فجاء على وحسن وحسين فدخلوا فجلسوا ياكلون
من تلك الحريره وهو وهم على مقام واحد له على و
كان تحته كساء خيبرى قالت وانا فى الحجرة اصلى
فانزل الله انما يريد الله ليذهب الايه قالت فاخذ
فضل الكساء فغشاهم به ثم اخرج يده فالوى بها الى

السماء

السماء ثم قال اللهم ان هولآء اهل بيتى وخاصتى فاذهب حامتي نخ
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فادخلت راسى البيت
وقلت وانا معكم يا رسول الله قال انك على خير و
باسناده قال مجمع ودخلت امى على عايشه فسالتها
ارايت خروجك يوم الجمل قالت انها كانت قدرا
من الله فسالتها عن على فقالت تسالنى عن احب
الناس كان الى رسول الله وزوج احب الناس كانت
الى رسول الله لقد رايت عليا وفاطمه وحسنا وحسينا
قد جمع رسول الله بثوب عليهم ثم قال اللهم ان هولآء
اهل بيتى وخاصتى فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
قالت فقلت يا رسول الله انا من اهلك قال تنحى انك
الى خير وروى الترمذى فى الجامع عن عمر بن ابى سلمه
ربيب رسول الله صلعم قال نزلت انما يريد الله ليذهب
الايه فى بيت ام سلمه فدعا النبى فاطمه وحسنا وحسينا

فجللهم بكساء وعلى ظهره ثم قال هولاء اهل بيتي فاذهب خلفهم
عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وقالت ام سلمة وانا معهم
يا رسول الله قال انت على مكانك وانت على خير وفي
رواية شهر بن حوشب فرفعت الكساء لادخل تحته معهم
فجذبه من يدي وقال انك على خير وفي رواية اخرى
فقالت زينب يا رسول الله الا ادخل معكم فقال رسول
الله مكانك فانك الى خير انشاء الله تعالى وفي صحيح ابي داود
السجستاني وهو كتاب السنن قالت ام سلمة وانا جالسة
عند الباب فقلت يا رسول الله الست من اهل البيت
فقال انك على خير انك من ازواج النبي ص فهذه وامثالها
الكثيرة الواردة في طريق القاضي تقتضي بكونهم المراد
باهل البيت دون غيرهم من ازواج النبي ص ونسائه
المذكورات في ما قبل الاية وما بعدها وبالجملة
ما ذكروه واحتملوه من التقليب وكون الاية تعليلا

لامرهن

لامرهن ونهيهن على الاستيناف ومن كون الحكم
عاما وتخصيص الشيعة اهل البيت بهولاء والاحتجاج
بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف الى غير
ذلك كلام في مقابل النص الصحيح وبيان الصريح الواردين
في الطريقين فلا يسمع ذلك منهم نعم لولا ورود الروايات
الصحيحة من الجانبين في بيانها لكان لما ذكروه واحتملوه
وجه واذ قد ثبت ان المراد باهل البيت في الاية هولاء
المذكورون ثبت ان اجماعهم بل قول كل منهم بحياله
حجة لان اذهاب الرجس ووقوع التطهير يستلزم عدم
العصيان والمخالفة لاوامر الله ونواهيه فوقوع الخطاء
منهم مامون فالاقتداء بهم والاخذ بقولهم وفعلهم
وتقريرهم دون من لم يومن وقوعه منه وتطرق الرجس
اليه واجب ومن العجب ان هذا القاضي يجور في حكمه
فيقضي على خلاف ما ورد من طرقه فيذكر منه ما نقل

التاويل الى ما يطابق دينه وهواه ويوافق مذهبه

واشتهاه ويترك او يتناسى بما هو نص بالباب والله

يهدى من يشاء الى الصراط السوى والطريق الصواب

ولنذكر نبذا مما ورد على ذلك في طريق الشيعة ففى كتاب

كمال الدين وتمام النعمة باسناده الى سليم بن قيس الهلالى

عن صاحب الدعاء جعلت له الفداء انه قال في اثناء

كلام له في جمع من المهاجرين والانصار في المسجد في

ايام خلافة عثمان ايها الناس اتعلمون ان الله عز وجل

انزل في كتابه انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل

البيت ويطهركم تطهيرا فجمعني وفاطمة وابني حسنا

وحسينا والقى علينا كساءه وقال اللهم ان هولاء

اهل بيتى ولحمتى يولمنى من يولمهم ويجرحني ما يجرحهم مالخ

فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فقالت ام سلمة

وانا يا رسول فقال انت او انك الى خير انما انزلت في وفى

اخى

اخى وفى ابنتى وفى ابنىّ وفى تسعة من ولد ابنى الحسين

خاصة ليس معنا فيها احد غيرنا فقالوا كلهم نشهد ان

ام سلمة حدثتنا بذلك فسالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثنا

كما حدثتنا ام سلمة وفى علل الشرايع باسناده الى عبد

الرحمن بن كثير قال قلت لابى عبد الله عليه السلام

ما عنى الله عز وجل بقوله انما يريد الله ليذهب الاية

قال نزلت هذه الاية في النبى وامير المؤمنين والحسن

والحسين وفاطمة عليهم السلام فلما قبض الله نبيه

كان امير المؤمنين ثم الحسن ثم الحسين ثم وقع تاويل

هذه الاية واولو الارحام بعضهم اولى ببعض في

كتاب الله وكان على بن الحسين ثم جرت في الائمة

من ولده الاوصياء فطاعتهم طاعة الله ومعصيتهم

معصية الله عز وجل وفى الاحتجاج عن على بن الحسين

في حديث طويل يقول فيه لبعض الشاميين فهل تجد

لنا فى سورة الاحزاب حقا خاصة دون المسلمين فقال
لا قال عليه السلام اما قرات هذه الاية انما يريد الله ليذهب
الاية والاخبار فى ذلك من الطريقين اكثر من ان يحصى
وفيما اوردناه كفاية لمن كان له قلب او القى السمع وهو
شهيد ومنه يظهر ان العصمة وان كانت من الامور الممكنة
الحصول فى غيرهم الا انها فى هذه الامة انحصرت فيهم
وخصت بهم واليه يشير قول صاحب التجريد ووجوب
العصمة وانتفائها عن غيرهم وفى معانى الاخبار عن
على بن الحسين عليهما السلام الامام منا لا يكون الا
معصوما وليست العصمة فى ظاهر الخلقة فيعرف بها فلذلك
لا يكون الا منصوصا وفى مجمع البيان استدلت الشيعة
باختصاص هذه الاية بهولاء الخمسة بان قالوا انما لاثبات
ما يذكر بعده ونفى ما سواه اذا تقرر هذا فالارادة فى الاية
اما ارادة محضة او ارادة يتبعها التطهير واذهاب الرجس

ولاسبيل

ولاسبيل الى الاول لانه تعالى قد اراد من كل مكلف هذه
الارادة المطلقة فلا اختصاص لها باهل البيت ولان
هذا القول يقتضى المدح والتعظيم لهم ولا فى الارادة مدح ع
المجردة فثبت الثانى وفى ثبوته عصمة المعنيين بالاية من
جميع القبائح وقد علمنا ان من عدا من ذكرنا من اهل
البيت غير مقطوع عصمته فثبت ان الاية مختصة بهم انتهى
ولعل السبب فى ذلك الاختصاص علم الله بقبول
المحل له دون غيره واليه يشير قوله الله يعلم حيث يجعل
رسالته ويجوز ان يكون ذلك من انفسهم بحيث لا يختارون
المعصية مع قدرتهم عليها لوفور عقلهم وكثرة علومهم
ومداومتهم على التفكر والنظر وملازمتهم على الطاعات
ومواظبتهم على العبادات والحاصل انهم من حيث هم بشر
متعلقون بجلابيب ابدانهم البشرية وقواهم الناسوتية
وان كانوا مائلين الى المعايب والامور الدنية وما هم

مقتضى الطبيعة النوعية واللوازم البشرية الا انه حصل
لهم لطهارة انفسهم القدسية وكمالها في نفسها بثبات
قوتها المتفكرة واستقامة وهمها منقادا تحت قلم العقل
سواء في ذلك صغيرهم وكبيرهم لما ثبت من امامة الجواد
القائم عليهما السلام بالسنة المتواترة القاطعة في حد
الصبي من العناية الازلية ما يمنعهم عن ذلك لمحبة
عالم القدس والتشبه بالمبادي العالية والملائكة المقربين
والتخلق باخلاق الله رب العالمين وهذا معنى قولهم
العصمة لطف يفعله الله بالمكلف بحيث لا يكون له داع
الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك
وامكان صدورهما عنه وبالجملة المعصومون من
البشر لهم جهتا ناسوتية ولاهوتية فبالاولى يقع عليهم
ما يقع على غيرهم من الاحوال المشتركة واللوازم البشرية
كالاكل والشرب والنوم والحركة وغيرها من التناكح والتناسل

وبالثانية يقهرون قوى انفسهم المتضادة واهوائها
المنازعة المتداعية الى الشرور والغرور وبذلك يكون
افضل من الملائكة اذ لهم امور مضادة للقوة العقلية
وشواغل من الطاعات العملية كالشهوة والغضب و
ساير الحاجات الشاغلة والموانع الخارجة والداخلة فا
المواظبة على الطاعات والمداومة على العبادات وتحصيل
الكمالات بالقهر والغلبة على ما يضاد القوة العقلية يكون
احمز وابلغ في استحقاق الثواب ولا معنى للافضلية
الا زيادة استحقاق الكرامة والثواب وقد سبق ان
هذه الجملة انما تحصل بدوام الفكر وقصر النظر في نعوت
كماله وصفات جماله وجلاله وحقايق مخلوقاته وبدايع
مصنوعاته وخواص مبدعاته وبالجملة بالتبتل عن دار
الغرور والتوصل الى عالم النور واليه يشير قول صاحب
الدعاء جعلت له الفداء وقد سئله اعرابي بم نلتما

نلت تعلقت على باب قلبي فلم ادع ان يدخله سوى الله
عليه من الصلوات افضلها ومن التحيات اكملها
وسط عليه السلام الدعا لنفسه بالدعاء للنبي ص بوجوه
احدها انه من اعظم اسباب اجابة الدعاء فيكون الدعا
معه اقرب الى محل الاجابة حيث وقع بين مستجابين فانه
سبحانه اكرم من ان يقبل الطرفين ويرد الوسط قال الصادق ع
من كانت له الى الله حاجة فليبدء بالصلوة على محمد وآله
ثم يسئل حاجته ثم يختم بالصلوة على محمد وآله فان الله
عز وجل اكرم من ان يقبل الطرفين ويدع الوسط
اذا كانت الصلوة على محمد وآله لا تحجب عنه وعن صاحب الدعاء
عليه صلوات الله ما دامت الارض والسماء اذا كانت
لك الى الله سبحانه حاجة فابدء بمسألة الصلوة على
النبي ص ثم سل حاجتك فان الله عز وجل اكرم من ان
يسئل حاجتين فيقضي احديهما ويمنع الاخرى وذلك

ان من باع امتعة صفقة واحدة فان المشتري لا يسوغ له
اخذ الصحيح ورد المعيب بل اما ان يرد الجميع او يقبل
الجميع فههنا الداعي مزج الدعا لنفسه بدعاء غيره من النبي
وآله وعرض الجميع صفقة واحدة على حضرة ذي الجلال
والاكرام فهو سبحانه اجل واكرم من ان يرد المعيب و
يقبل الصحيح كيف وقد نهى عن ذلك عباده ولا يليق
بكرمه جل شانه رد الجميع لان بعضه مقبول البتة فلم
يبق الا قبول الجميع وفيه المطلوب الثاني ان النبي
وآله عليهم السلام وسايط بين الله سبحانه وبين عباده
في قضاء حوائجهم ونجاح مطالبهم وهم ابواب معرفته
عز وجل فلا بد من التوسل بذكرهم في عرض الدعاء عليه
وقبوله لديه وذلك كما اذا اراد احد من الرعية اظهار
حاجته على السلطان توسل بمن يعظمه ولا يرد قوله
وعن سلمان المحمدي صلى الله عليه وآله قال سمعت محمدا

يقول ان الله عز وجل يقول يا عبادي اوليس من له
اليكم حوائج كبار لا تجودون بها الا ان يحمل عليكم
باحب الخلق اليكم تقضونها كرامة لشفيعهم الا فاعلموا
ان اكرم الخلق على وافضلهم لدي محمد واخوه علي و
من بعده من الائمة هم الوسائل الى الله الا فليدعني
من همته حاجة يريد نفعها او دهته داهية يريد كشف
ضررها بمحمد واله الطيبين الطاهرين اقضها له باحسن
ما يقضيها من تستشفعون باعز الخلق عليه فقال
له قوم من المشركين والمنافقين وهم مستهزؤن به يا
ابا عبد الله فالك لا تقترح على الله بهم ان يجعلك
اغنى اهل المدينة فقال سلمان دعوت الله وسألته
ما هو اجل وانفع وافضل من تلك الدنيا باسرها
وافضل سألته بهم صلى الله عليهم ان يهب لي
لسانا ذاكرا لتحميده وثنائه وقلبا ذاكرا لآلائه وبدنا

لدواهي

٢٠٥

لدواهي الداهية صابرا وهو عز وجل قد اجابني — على دواهي له
الى ذلك وهو افضل من ملك الدنيا بحذافيرها وما يشتمل
عليها من خيراتها مائة الف الف مرة وعن الصادق عليه السلام
لا يزال الدعا محجوبا حتى يصلى على محمد واله وعنه عليه السلام
من دعا ولم يذكر النبي ص رفرف الدعاء على راسه
فاذا ذكر النبي ص رفع الثالث انه ص اب معنوية لامته
من حيث الشفقة والنصيحة فيجب الدعاء له على كل احد
من امته قضاء لحق تعليمه واداء لواجب تعظيمه وتكريمه
وفي الحديث يا علي انا وانت ابوا هذه الامة وقد ثبت
عند ارباب التحقيق انه ص ابو الارواح كما ان ادم عليه السلام
ابو الاجساد قال بعض اصحابنا المتاخرين ان الارواح
كلها مخلوقة من روح واحد وهي روح النبي ص فروحه
اصل الارواح فكما ان ادم ع كان ابا البشر وخليفة الله
في الارض كان النبي ص ابا الارواح وخليفة الله في عالم

الارواح فالروح خليفته ومجمع صفاته الذاتية كالعلم
والحيوة والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام
والبقاء والجسد خليفة الروح وهو مجمع صفاته الفعلية
وذلك ان الله لما خلق روح النبي كان الله ولم يكن معه
شيء اخر حتى ينسب او يضاف اليه الروح غير الله بل
كان روحه اول شيء تعلقت به القدرة الازلية و
لذلك شرفه تشريف الاضافة الى نفسه وهو روح النبي م
كما قال واذا سويته ونفخت فيه من روحي ولم يقل نفخت
فيه روحي بل بدون من ليكون فيه دلالة على ان الروح
المنفوخ في ادم هو بعينه روح النبي م بل كان روح
ادم متولدا منه فالنبي الاب الروحاني لابي البشر
ولساير الانبياء وابو البشر الاب الجسماني وساير البشر
كما قال واني وان كنت ابن ادم صورة فلي فيه معنى شاهد
بابوتي وكذلك ارواح اولاد ادم مخلوقة من روح النبي م

لقوله

لقوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ونفخ فيه
من روحه وكذلك قال في حق روح عيسى ونفخنا فيه
من روحنا فكانت النفخة لجبرئيل والروح من روح النبي م
المضاف الى الحضرة الالهية ولاجل كون حقيقة على هذه — الروح م
المنزلة والشرف قصرت افهام الناس وتلاشت العقول
عن دركها كما تتلاشى انوار الابصار في شعاع الشمس و
لهذا قال الله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا فافهم هذا
المقال فانه مدرك عزيز المنال انتهى كلامه تتميم
نفعه عميم ما تضمنه الدعاء من الاعتراف بالذنوب والمعاصي
والاقرار بالخطايا والسيئات والمساوي مع عصمة
صاحب الدعاء وطهارته كما سبق محمول اما على تاديب
الرعية وتعليمهم كيفية الاقرار والاعتراف بالتقصير
والذنوب والاستغفار عنها والتوبة منها او على
التواضع والاعتراف بالعبودية وان البشر في مظنة المعصية

وليسوا كالملائكة الذين لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون ويؤيده ما روى عن صاحب الدعاء جعلت
له الفداء انه مر بقوم من اخلاط المسلمين ليس فيهم مهاجري
ولا انصاري وهم قعود في بعض المساجد في اول يوم
من شعبان واذا هم يخوضون في امر القدر وغيره مما
اختلف فيه الناس قد ارتفعت اصواتهم واشتدت
فيه جدالهم فوقف عليهم فسلم فردوا عليه ووسعوا
له وقاموا اليه يسئلونه القعود اليهم فلم يحفل بهم
ثم قال لهم وناداهم يا معشر المتكلمين الم تعلموا ان لله
عبادا اسكتتهم خشيته من غير عي ولا بكم وانهم
لفصحاء العقلاء الالباء العالمون بالله واياته ولكنهم
اذا ذكروا عظمة الله انكسرت السنتهم وانقطعت
افئدتهم وطاشت عقولهم وتاهت حلومهم اعزازا
لله واعظاما واجلالا فاذا افاقوا من ذلك استبقوا

الى الله

الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم مع الظالمين
والخاطئين وانهم براء من المقصرين والمفرطين الا
انهم لا يرضون لله بالقليل ولا يستكثرون لله الكثير
ولا يدلون عليه بالاعمال فهم اذا رأيتهم مهيمون
مروعون خائفون مشفقون وجلون فاين انتم منهم
يا معشر المبتدعين الم تعلموا ان اعلم الناس بالضرر
اسكتهم عنه وان اجهل الناس بالضرر انطقهم فيه
وله مؤيدات اخر يمنعني عن ايرادها خوف التطويل
فاكتفيت فيه بذكر هذا القدر القليل والله الهادي
الى سواء السبيل جعلنا الله واياكم من العالمين بالضرر
والساكتين عنه وخاصة عن امر القدر فانه من زحاليف
الاقدام والخائض فيه لا ينجو من الخطر ولذا نهى عنه رسول الله ص
وعترته المعصومين سادات البشر عليه وعليهم صلوات الله
وسلامه ما بزغت الشمس والقمر والحمد لله رب العالمين

هو

شرح ... جامع ... از تالیفات

آخوند ملا اسمعیل طاب ثراه العالی خواجوئی [illegible]

و در حیات [illegible] مرحوم مغفور آخوند [illegible] نوشته [illegible]

۱۲۴۲

و وفات آخوند ملا اسمعیل در محرم الحرام

[illegible]

[illegible]

وفات [illegible]

على توفيقه للاتمام والصلوة على رسوله واله البررة الكرام

خير البرية واشرف الانام سوده فى عنفوان شبابه

ونقله من السواد الى البياض بعد شيبته ونفاد ايامه

واقتراب اجله وكان السبب العائق له عن ذلك امورا

شرحها يوجب الاطناب ونقلها يدهش الالباب

ويشوش الاحباب والى الله المشتكى ثم الى رسوله

واله ائمة الهدى العبد الحقير الانس بولاه الجليل

محمد بن الحسين بن محمد رضا المازندرانى الشهير

باسمعيل عفى الله عن جرائمهم بمحمد واله وقائمهم

صلى الله على محمد واله الطاهرين حرره العبد الاثم

سيد اسمعيل بن ابراهيم

الطباطبائى

شرح دعای صباح ملا اسمعیل